



جمهورية السودان

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

كلية الدراسات العليا

دائرة القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

شعبة التفسير وعلوم القرآن

# السنن الربانية في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)

بحث مقدم لنيل درجة التخصص العليا (الدكتوراه) في التفسير وعلوم القرآن

إشراف الدكتور: الجزولي الأمير الجزولي

إعداد الطالب: صالح أحمد صالح شويط

١٤٤١هـ - ٢٠١٩م



## استهلال

قال تعالى:

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ  
اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾

(الأحزاب: آية، ٦٢)

## إهداء

إلى من أمر الله بالإحسان والعطف والبر إليهما، إلى من رباني وحرصا على تعليمي، إلى من تعاهداني بالتربية في الصغر وكانا لي نبراساً يضيء فكري بالنصح والتوجيه في الكبر والديّ الكريمين أبي وأمي بارك الله في عُمرهما، ووفقني لأداء حقوقهما علىّ.

وإلى من شملوني بعطفهم وأمدوني بالعون وحفزوني للتقدم، إخواني: عبد الغني وعابد وعلي وضيف الرحمن، وأخواتي: تقوى، وروضة، وزمزم، وأروى، وخديجة، وفايزة.

وإلى من شملتني بحبها وحنانها وعطفها وصبرت معي وتحملت عناء غربتي

زوجي الحبيبة.

وإلى من أحبهم قلبي، وعشقهم فؤادي، زهرات حياتي اليانعة أولادي الخمسة:

جبير وشهد ومحمد وعبد الرحمن وماريا حفظهم الله رعاهم الله.

إليهم جميعاً أهدي ثمرة جهدي وتاج مجدي.



## شكر وتقدير

بعد شكري لله تعالى على توفيقه وامتنانه وعونه، وامتنالاً لقول رسولنا الكريم محمد ﷺ: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)<sup>(١)</sup>، فأقدم بالشكر الجزيل لجمهورية السودان الشقيق قيادةً وشعباً، والشكر موصول لإدارة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ممثلةً بمديرها وهيئة التدريس وجميع القائمين عليها، وإلى كلية الدراسات العليا، وشعبة التفسير وعلوم القرآن، بأن مهدوا لي الطريق وأتاحوا لي الفرصة من أجل إكمال هذه الرسالة.

كما أخص بالشكر والعرفان شيخي وأستاذي فضيلة المشرف الدكتور/الجزولي الأمير الجزولي، عميد كلية القرآن الكريم الذي تفضل بالإشراف هذا البحث منذ لحظة البداية حتى نقطة النهاية، وجاد بالوقت والجهد في سبيل قراءته بالرغم من مشاغله الجمّة فأبدى ملاحظاته وتوجيهاته القيمة التي كان لها بالغ الأثر في ترتيب الأفكار الأساسية المتعلقة بمواضيعه، حتى وصل البحث إلى هذا المستوى، فله مني خالص الشكر وبالغ العرفان.

كما أتقدم بالشكر للأستاذين الكريمين المناقشين اللذين تفضلا بالموافقة على مناقشة هذا البحث وهما: د. / أحمد الحاج النور الزاكي. ممتحناً خارجياً، ود. / قاسم بشرى حميدان. ممتحناً داخلياً، فأسأل المولى عز وجل أن يجزيهما عني وعن طلاب العلم خير الجزاء، وأن يمدّهما بوافر الصحة ليظلا مرجعاً يستزيد من علمهم كل طلاب العلم، وأن أكون عند حسن ظنهم في الاقتداء.

والله أسأل أن ما تفضل به المذكورون جميعاً في ميزان حسناتهم، وأن يجزيهم أحسن الجزاء، راجياً من الله التوفيق، وأن يجعل أعمالنا صالحة وخالصة لوجهه الكريم، فإنه نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) مسند الإمام أحمد. ح رقم (٧٩٣٩) ٣٢٢/١٣، وسنن أبي داود، ح رقم (٤٨١١) ٢٥٥/٤، قال الألباني: حديث

صحيح، والجامع الكبير: للترمذي ح رقم (١٩٥٤) (٤٠٣/٣).

## ملخص الرسالة

من المعلوم أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو الحق بعينه، وبالتالي آياته وسننه ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان طالما وجدت مسبباتها، فهي بمثابة حقائق تزيد من إيمان المؤمن، وترسخه، وتدعو الناس أجمعين إلى التفكير فيما يدور حولهم من أحداث تتشابه مع أحداث عبر التاريخ في مجريات الكون وبذلك فقد جاءت هذه الدراسة؛ لتوضح تلك العلاقة الربانية، وآثرها على البشرية وفقاً للمعطيات والأسباب التي يقوم بها البشر، وتنعكس على مجريات حياتهم وقد اقتضت الدراسة أن تكون من خمسة فصول.

بحثت في الفصل الأول تعريف السنن الربانية، ومفهومها، وأنواعها، وذكرت مفهوم السنن عند أهل اللغة ثم المفسرين ثم أهل الحديث والفقهاء.

كما بيّنت أنواع السنن وفق مفهومها العام ورجحت أنها نوعين، وما ذكرها بعض الباحثين من تقسيم أوسع هو داخل ضمن النوعين الغير متعلقة بالتصرف البشري أو متعلقة بالتصرفات البشرية.

ثم عنييت في الفصل الثاني بالسنن الربانية المتعلقة بالمعتقدات السليمة والأعمال الصالحة، فدرس فيها السنن الربانية المتعلقة بالسلوكيات الصحيحة، والسليمة المتمثلة في الهداية والإيمان والتقوى، ثم وضحت السنن الربانية المتعلقة بالأعمال الصالحة والمتمثلة في العبادات والمعاملات.

بينما درست في الفصل الثالث: سنن الله في خلقه عند الانقياد لأوامره، وذلك من خلال سنة الله في المؤمنين باعتبارهم في مجتمع وجماعات مترابطة بروابط مختلفة ونحوها من خلال حالات النصر والاستخلاف والتمكين والأمن.

ثم ذكرت سنة الله في حياة المؤمنين الطيبة وسبب إسعاد المؤمنين كأفراد كلاً حسب

مقدار قربة من الله ودرجة إيمانه فشرحت سنة الله في صلاح الذرية، ثم بينت سنة الله في سعة الرزق، ثم درست سنة الله في الحياة الطيبة.

كما فصلت في الفصل الرابع السنن الربانية المتعلقة بالسلوك والأخلاق الباطلة والآثام التي تستحق العقاب الإلهي، فشرحت السنن الربانية المتعلقة بالسلوك والأخلاق الباطلة من خلال الظلم والطغيان والنفاق، وأثرها، كما درست السنن الربانية المتعلقة بالعصاة، وذلك من خلال بيان كبائر الذنوب وسنة الله تعالى في مرتكبيها، ثم وضحت صغائر الذنوب وسنة الله تعالى في مرتكبيها.

ثم شرحت في الفصل الخامس سنة الله وآثارها على خلقه عند مخالفتهم لأوامره من خلال شرح تفاصيل السنن الربانية المتعلقة بالأمر عند مخالفتها لأوامر الله تعالى.

ثم ختمت ذلك ببيان نتائج السنن الربانية في حاضر الأمة فوضحت تلك النتائج من خلال مناقشة كثرة الكوارث الطبيعية والأزمات الاقتصادية وكثرة انتشار الحروب.

## STUDY ABSTRACT

It is known that the Holy Quran is the word of Allah, The Almighty, whom no falsehood could come in between his hands or from behind for Allah himself is the truth. Therefore, his laws and norms (in Arabic: Alsunan Alrabaniyah) are constant and fixed which does not altered with the passing of time and changing of place as long as the causes are hold still there. Such laws and norms are facts which in turn increase the faith of the believer, strengthen it, and invites all people to think profoundly of the events around them similar to events throughout history in the course of the rabbinic. Thus, this study is aiming to clarify that the relationship of the universe and its impact on humanity based on the data and reasons performed by human beings, and reflected on the course of their lives. This study is of five chapters:

In **chapter I** which is the introductory, I discussed the rabbinic laws and norms, their definitions, types, and mentioned the definition of th laws and norms according to linguists, then interpreters, then the scholars of the prophets sayings (in Arabic: Hadith) and then the Islamic jurisprudence (in Arabic: Alfeqeh). Moreover, I mentioned the types of laws and norms according to the general concept and inferred that they are of two types. In addition, some researchers classified the laws and norms in a wider division. However, this division is considered to be within the two types, which are not related to human behaviors.

Then, in **chapter II**, I dealt with the rabbinic laws and norms related to sound beliefs and good deeds. I explained the rabbinic laws related to the good behaviors, and the correct ones of guidance, faith and piety. Then I explained the rabbinic laws related to the good works of worship and dealing with others.

In **chapter III**, I mentioned the laws and norms of Allah with his creations when submit to his orders through Allah's dealing with the believers as different bonds through victory, establishing and ruling, empowerment and security in a community and groups link them. Then, I mentioned the laws and norms of Allah in the good life of believers and the reason for the happiness of believers as individuals each according to the degree of closeness to Allah as well as the degree of his faith. I explained the laws and norms of Allah in the goodness of the children, then showed the laws and norms of Allah in the capacity of livelihood, and then studied the laws and norms of Allah in good life.

In **chapter IV**, I explained in details, the rabbinic laws concerning behavior, bad morals and sins that deserve divine punishment. I explained the rabbinic laws concerning behavior, bad morals through injustice, tyranny, hypocrisy, and its impacts. In addition, I explained the rabbinic laws related to disobedience, through the statement of the major sins and Allah's law with the perpetrators, and then explained the minor sins and Allah's law with the perpetrators.

In **chapter V**, I explained Allah's law and norms and their effects upon his creation when they violated His orders by explaining the details of the rabbinic law and norms concerning the nations when they violated Allah's orders.

**In conclusion**, I concluded this study by giving a statement of the rabbinic laws and norms in the nation's present and explained those results by discussing the many natural disasters and economic crises and the proliferation of wars.

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد.

فسنن الله في عباده لا تتبدل ولا تتغير فلا يردّها قوي مهما بلغت قوته، ولا تتعجل لمستعجل حتى تبلغ أجلها الذي ضربه الله لها يقول تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَحْدِلَ سُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (١).

فإن الله - تبارك وتعالى - أنزل في كتابه تبياناً لكل شيء، وأرسل رسوله محمداً ﷺ؛ ليبين للناس ما نزل إليهم، ولعلهم يتذكرون.

فلم يبق في دين الله وشرعه بعد بيان الله ورسوله قصوراً أو خللاً يحتاج إلى إكمال وإصلاح، وإنما يحتاج الخلق إلى فهم كلام الله تعالى وكلام رسوله - ﷺ - على أحسن الوجوه، وما جاءت الظنون الفاسدة والآراء والجهالات في دين الله إلا بسبب الجهل أو سوء القصد أو التقصير في البحث عن الحقيقة، أو القصور في الأفهام.

كما أن الناظر إلى الأحداث الجسيمة والنوازل العظيمة التي أحاطت اليوم بالعالم عامة وبالأمة الإسلامية خاصة لا يستغرب حدوثها ولا يفاجأ بها حينما يرجع إلى كتاب الله وينطلق من توجيهاته في ضوء سنن الله التي لا تتبدل ولا تتغير ولا تحابي فرداً على حساب فرد، ولا مجتمع على حساب مجتمع آخر؛ فالنتائج التي يتطلع إليها على وجه الأرض أكثر المؤمنين إيماناً وأشدّهم ورعاً وتقوى سوف يجنيها أكثر الكافرين كفراً وأشدّهم فسقاً وفجوراً وعتوا إذا وافق السنن التي حددها الله لتسير الأمور على وفقها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ

---

(١) سورة الأحزاب: آية (٦٢).

رَبُّكَ أَحَدًا ﴿١﴾، وسيتناول الباحث في بحثه هذا السنن الكونية، وذلك من خلال الدراسة الموضوعية لكتاب الله عز وجل.

### **أهمية البحث: تتجلى أهمية البحث في الجوانب الآتية:**

- ١- المساعدة على استقراء السنن الكونية في القرآن الكريم واستقصاؤها.
- ٢- توضيح المقاصد العامة والخاصة لكل سنة وبيان الهدف منها.
- ٣- الإسهام في إبراز الآثار السلبية والإيجابية المترتبة على التعامل مع سنن الله تعالى.
- ٤- الإسهام في إثراء المكتبة الإسلامية ولو بجزء بسيط في مجال التفسير وعلوم القرآن
- لما لهذا الموضوع من أهمية بالغة في بيان بعضا من أوجه الحكمة الإلهية في هذا الكون.
- ٥ - يعد موضوع السنن الربانية من المواضيع النادرة التي تتحدث عنها المناهج الدراسية على مختلف مراحل الدراسة وتستلزم بناء الأجيال على المعتقد والفكر السوي.

### **أسباب اختيار البحث:**

- ١- كون البحث في القرآن الكريم أشمل وأكمل منهج لتصوير موضوع السنن، فهو أشرف كتاب وأعظم رساله ومعين لا ينفد وبحر لا ساحل له.
- ٢- معرفة سنن الله تعالى في القرآن الكريم من خلال البحث عنها والاستقصاء والتأمل فيها.
- ٣- حاجة الناس الملحة اليوم إلى معرفة هذه السنن والاستفادة منها، في ظل أوضاع الأمة الإسلامية المتردية، وفي ظل تبشير عودة جماهير الأمة إلى دين الله.
- ٤- تتبع السنن الربانية في القرآن الكريم ودراستها دراسة موضوعية، تُعد إسهاماً في تجلية آية من آيات إعجاز هذا القرآن وعظمته.

---

(١) سورة الكهف: آية (٤٩)

- ٥- الرغبة في بحث يجمع بين الأصالة والمعاصرة، فيقدم ما ينفع لعصرنا مما قرره علماء التفسير، فيكون فهمنا وإدراكنا لسنن الله في مستفاداً من فهمهم، فيجمع بذلك بين حفظ أقوالهم، وتقديم الحلول الصحيحة للمشكلات التي تتعرض لها الأمة.
- ٦- ما يمتاز به الموضوع من جدة إذ لا توجد دراسة شاملة علمية -حد علم الباحث - تناولت هذا الموضوع.

### **أهداف البحث:** يهدف البحث إلى:

- معرفة السنن الربانية في القرآن الكريم، وأنواعها.
- معرفة السنن الربانية المتعلقة بالمؤمنين.
- معرفة السنن الربانية المتعلقة بالسلوكيات والأخلاق الباطلة .
- معرفة السنن الربانية المتعلقة بالجزاء والثواب.
- معرفة الآثار المترتبة في التعامل مع السنن الكونية.

### **مشكلة البحث:**

إن المتأمل في آيات القرآن الكريم وتفسيرها على اختلاف مدارسها يجد أن الآيات الكريمة التي تغطي الحديث عن السنن الكونية كثيرة وهذا الموضوع في القرآن الكريم، فيه إشارة واضحة لضرورة أن يعتني به المسلمون، وأن يولوه من الأهمية ما يستحق كباقي مواضيع الآيات القرآنية.

وتعد السنن الربانية من السبل القوية لمعرفة سنة الله من خلال الرجوع إلى كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم محمد ﷺ؛ لما فيهما من القول الفصل لكل نازلة، وأعظم بها من غاية وأعظم بها من سبيل تلك التي تدلنا على الله تعالى.

كما أن للسنن الربانية مظاهر جليلة تتجلى من خلال معرفة، شروط السنن وخصائصها، وانتظامها وتناسقها، في أن تكون هذه المعرفة لتلك السنن منارة لنا وهادياً لتسخير الكون بكل ما فيه من أجل فهم أشمل وأكمل للحياة، وبالتالي لامتلاك الأدوات المساعدة على استشراف



المستقبل من خلال تلك السنن والتي كما ذكرنا تتميز بالثبات والديمومة، إلا بما يقدره الله من أجل الابتلاء والامتحان للإنسان في هذه الأرض.

والعلم بسنن الله تعالى الربانية العامة يعد طريق إلى العلم بسنن الله الخاصة في المجتمع البشرى ومعرفة تقلبات الحياة به، ومعرفة تطوره، ومعرفة عوامل هذا التطور، ومعرفة مدى سلطان السنن الإلهية على هذا المجتمع؛ لأن العلم بهذه السنن عامة وخاصة هو القيم على توجيه الحياة وتصريفها بما وضع الله في خصائصه من طاقات لتصوير الظواهر الكونية ودوافعها القريبة أو البعيدة، وهذا العلم بالسنن الإلهية هو الذي وضع المجتمع الإسلامي في مكان الصدارة من الحياة يوم أن كان العلم بأوسع معانيه هو القائد لهذا المجتمع، فطاف آفاق السماوات والأرض نظاراً باحثاً يستشف الحقائق الكونية من وراء السجف، يكشفها له القرآن ويهديه إلى أصولها.

ومن هنا يمكن للباحث أن يلخص مشكلة البحث في التساؤل الرئيس الآتي :

**ما السنن الربانية في القرآن الكريم؟**

**أسئلة البحث:**

تتمثل أسئلة البحث في التساؤل الرئيس الآتي:

- ما السنن الربانية في القرآن الكريم؟ وما أنواعها؟
- ويتفرع من التساؤل الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية :
- ما السنن الربانية المتعلقة بالمؤمنين؟
- ما السنن الربانية المتعلقة بالسلوكيات والأخلاق الباطلة ؟
- ما السنن الربانية المتعلقة بسنة الله في خلقه عند مخالفة أوامره ؟
- ما الآثار المترتبة في التعامل مع السنن الكونية؟

## الدراسات السابقة:

أجريت القليل من الدراسات والبحوث المتعلقة بالسنن الكونية منها:

- السنن الإلهية في تغيير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم- رسالة ماجستير-لطالب/ أيمن بن نبيه بن غنام المغربي. بجامعة أم القرى. لعام- ١٤٢٨هـ- إشراف الأستاذ الدكتور/ محمد بن عمر باز مول. حيث تناولت هذه الرسالة بيان أسلوب السنن الإلهية وشرح بعض السنن الإلهية في تغيير المجتمعات بصورة إجمالية دون التفرقة بين عقائد أبناء الأمة الواحدة وكذلك سائر الأمم كان الحكم في منهجية الرسالة الغموض والإجمال في مواضع تستلزم البيان كما سلك الباحث التوسع والتفصيل في جزئيات لا داعي لها إضافة إلى التكرار والإطالة وهو ما سيتحاشاه الباحث في هذا البحث إضافة إلى عدم ذكر آثار السنن.

- سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم-رسالة دكتوراه د/ حسن بن صالح الحميد. بجامعة الملك سعود- لعام-١٤١٤هـ حيث اعتنت هذه الرسالة بإظهار خصائص ومجالات السنن في الأمم السابقة وآثار رعايتها، ولم يتطرق إلى ذكر جميع السنن بشكل عام، وهذا ما سيتناوله الباحث في هذا البحث.

- السنن الإلهية وتفسير القرآن الكريم في العصر الحديث- رسالة دكتوراه/ للطالب: عمر حيدوسي، جامعة الحاج لخضر باتنة، لعام، ١٤٣٣هـ، وقد تناولت هذه الرسالة العلاقة بين التفسير والسنن الإلهية وكيفية تفسير تلك السنن من خلال التفسير الحديث، ولم يتطرق إلى ذكر جميع السنن الكونية، وهذا ما سيتناوله الباحث في ذكر كل سنة من السنن الكونية المتعلقة بالنظام الإلهي الذي يحكم البشر.

## منهج البحث

- اعتمد الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث أنه المنهج المناسب مع دراسة الموضوع لسير عملية البحث، واستخدام أسلوب المنهج الوصفي من خلال تجميع

واستخلاص الأفكار من أمهات الكتب في علم التفسير عن طريق سرد أهم عناصر الموضوع، والاستشهاد بالآيات القرآنية الكريمة، وكتب التفسير الخاصة التي تناولت الموضوع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

- الحرص على أمانة النقل قدر الإمكان من الكتب الأصلية للمفسرين، مستخدماً كافة الوسائل التي توضح ذلك.

- أما من حيث الإسناد القرآني للبحث: سيقوم الباحث بذكر الآيات القرآنية برقم الآية واسم السورة من المصحف الشريف.

- أما ذكر الإسناد للحديث النبوي الشريف: سيقوم الباحث بذكر الحديث برقمه والجزء والصفحة والمراجع معتمداً على الصحيحين ما لم فسيقوم بتخريج الحديث من كتب التخريج المعتمدة، وبيان حكم العلماء فيه - إن وجد -.

- أما الإسناد التفسيري: سيقوم الباحث بذكر أقوال المفسرين مدعمة بأقوالهم من كتبهم لكل مفسر على حده، ولو تعددت في آرائهم كمدرسة واحدة - وذكر صاحب كل قول - وذكر كتابه برقم الصفحة والجزء وغير ذلك.

- ترجمة الرجال والأعلام المغمورين التي وردت أسماؤهم في متن البحث من قائمة المراجع والمختصة، ما عدا الخلفاء الراشدين، والصحابة المشهورين، وأمهات المؤمنين، وأئمة المذاهب وكذا المشهورين من أصحاب التفاسير فلم أترجم لهم؛ لاستفاضة شهرتهم.

### **هيكل البحث:**

يتكون البحث من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة.

أما المقدمة تشمل أهميته وأسباب اختياره وأهدافه، ومشكلته وأسئلته والدراسات السابقة ومنهج البحث وهيكله.

**الفصل الأول: التعريف بالسنن الربانية وفيه ثلاثة مباحث:**  
**المبحث الأول: لغة واصطلاحاً.**

**المبحث الثاني: أنواع السنن الربانية في القرآن الكريم.**

**المبحث الثالث: بيان مفهوم السنن التي تحكم سلوك البشر.**

**الفصل الثاني: السنن الربانية المتعلقة بالسلوك السليم وفضائل الأعمال الصالحة وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول: السنن الربانية المتعلقة بالسلوك السليم وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول: الهداية.**

**المطلب الثاني: الإيمان.**

**المطلب الثالث: التقوى.**

**المبحث الثاني: السنن الربانية المتعلقة بالأعمال الصالحة وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول: العبادات.**

**المطلب الثاني: المعاملات.**

**المطلب الثالث: العمل الصالح.**

**الفصل الثالث: سنن الله في خلقه عند الانقياد لأوامره، وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول: سنة الله في المؤمنين كجماعات وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول: سنة الله في جماعة المؤمنين بالنصر.**

**المطلب الثاني: سنة الله في جماعة المؤمنين بالاستخلاف والتمكين.**

**المطلب الثالث: سنة الله في جماعة المؤمنين بالأمن.**

**المبحث الثاني: سنة الله في إسعاد المؤمنين كأفراد وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول: سنة الله في صلاح الذرية.**

**المطلب الثاني: سنة الله في سعة الرزق.**

**المطلب الثالث: سنة الله في الحياة الطيبة.**

**الفصل الرابع: السنن الربانية المتعلقة بالسلوك والأخلاق الباطلة والآثام التي تستحق العقاب الإلهي. وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول: السنن الربانية المتعلقة بالسلوك والأخلاق الباطلة وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول: الظلم وسنة الله تعالى فيه.**

**المطلب الثاني: الطغيان وسنة الله تعالى فيه.**

**المطلب الثالث: النفاق وسنة الله تعالى فيه.**

**المبحث الثاني: السنن الربانية المتعلقة بالعصاة وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول: كبائر الذنوب وسنة الله تعالى في مرتكبيها.**

**المطلب الثاني: صغائر الذنوب وسنة الله تعالى في مرتكبيها.**

**الفصل الخامس: سنة الله في خلقه وآثارها عند مخالفة أوامره، وفيه ثلاثة مباحث.**

**المبحث الأول: السنن الربانية المتعلقة بالأمم الظالمة وفيه ثلاثة مطالب.**

**المطلب الأول: الاستدراج.**

**المطلب الثاني: الهزيمة.**

**المطلب الثالث: الاستبدال.**

**المبحث الثاني: السنن الربانية في القرآن الكريم المتعلقة بالظالمين كأفراد عند مخالفتهم**

**لأوامر الله تعالى، وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول: بلعام بن باعورا.**

**المطلب الثاني: الوليد بن المغيرة.**

**المبحث الثالث: نتائج السنن الربانية في حاضر الأمة، وفيه ثلاثة مطالب.**

**المطلب الأول: كثرة الكوارث الطبيعية.**

**المطلب الثاني: الأزمات الاقتصادية.**

**المطلب الثالث: كثرة انتشار الحروب.**

**الخاتمة:**

**النتائج**

## **التوصيات**

### **الفهارس:**

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث النبوية والآثار.

فهرس الأعلام المترجم لهم.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

## **الفصل الأول**

### **ويشمل التعريف بموضوع البحث**

**وفيه ثلاثة مباحث:**

**المبحث الأول:** التعريف بالسنن الربانية في اللغة والاصطلاح.

**المبحث الثاني:** أنواع السنن الربانية في القرآن الكريم.

**المبحث الثالث:** مفهوم السنن الربانية التي تحكم سلوك البشر.

## **المبحث الأول**

**التعريف بالسنن الربانية وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول:** تعريف السنن في اللغة.

**المطلب الثاني:** تعريف السنن في الاصطلاح.



## المطلب الأول

### تعريف السنن في اللغة

تتبع الباحث المعاني اللغوية لمادة (سنن) فوجد أنها تأتي بالمعاني الآتية:

-الطريقة: فالسُّنُنُ: جمع سُنَّةٍ، وسُنَّةُ الوجه: طريقته، وسُنَّةُ النَّبِيِّ: طريقته التي كان يتحرَّاهَا، وسُنَّةُ الله تعالى: قد تقال لطريقة حكمته، وطريقة طاعته، نحو قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْدِلَ سُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾<sup>(١)</sup> وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنْ يَجْدِلَ سُنَّةَ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.<sup>(٣)</sup>

وقيل أن معنى السُّنَنَ هي الطريقة يقال: استقام فلان على سنن واحد، ويقال: امضِ على سُنَنِكَ وسُنَنِكَ، أي على وجهك. وجاء من الخيل سنن لا يرد وجهه، وتنح عن سُنَنِ الخيل، أي عن وجهه<sup>(٤)</sup>.

والسنة في الأصل هي الطريقة والسيرة، وإذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبي ﷺ، ونهى عنه وندب إليه قولاً وفِعْلاً مما لم ينطق به الكتاب العزيز؛ ولهذا يقال في أدلة

---

(١) سورة الفتح: الآية (٢٣).

(٢) سورة فاطر: الآية (٤٣).

(٣) المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت: ٥٠٢هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢هـ، ص (٤٢٩)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، (ت: ٨١٧هـ) تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د، ط) ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م (٢٦٧/٣).

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (ت: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط: الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م (٢١٣٨/٥، ٢١٣٩)، ومختار الصحاح: لأبي عبد الله زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، (ت: ٦٦٦هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط: الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص (١٥٥).

الشرع: الكتاب والسنة أي القرآن والحديث<sup>(١)</sup>.

- حكم الله وأمره ونهيهِ يُقال: هَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ، "أي: حُكْمُهُ وَأَمْرُهُ وَنَهْيُهُ"<sup>(٢)</sup>.

وقد استوعب الزمخشري في أساسه للفظ السنة وتقلباتها فقال: سن سنة حسنة، واستن بسنته، والزم سنن الطريق: قصده، وتُطلق على الشيء المصبوب، ماءً أو تراباً، يُقال: سنّ الماء على وجهه: أي صبّه عليه صبّاً سهلاً، وفي حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: "فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَسُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ سَنّاً"<sup>(٣)</sup>. ويُقال "سن إبله: أي أحسن رعيته وصقلها كما يُسن السيف، وسن الأمير رعيته: أحسن سياستها، وفرس مسنونة: متعهدة يحسن القيام عليها، وجاء بالحديث على سننه: على وجهه، واستنت الطريق: وضحت، واستن به الهوى حيث أراد إذا ذهب به كل مذهب"<sup>(٤)</sup>.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: لمجد الدين أبو السادات ابن الأثير، (ت: ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، و محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (٢/٤٠٩)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: للفيروز آبادي، (٢٦٧/٣)، والمطلع على ألفاظ المقنع: لمحمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البجلي، (ت: ٧٠٩هـ) تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م ص (٤٠٦)، و لسان العرب: لأبي الفضل محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر- بيروت (د، ت) ط: الثالثة، ١٤١٤ هـ، (٢٥٥/١٣)، و مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار: جمال الدين، الكجراتي، (ت: ٩٨٦هـ) الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط: الثالثة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م (٢/١٢٩).

(٢) تهذيب اللغة: للأزهري، ٢١٤/١٢، و لسان العرب: لابن منظور، (٢٢٥/١٣).

(٣) أخرجه مسلم: لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ح، رقم (١٢١) (١٨١١٢)، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج.

(٤) ينظر: أساس البلاغة: للزمخشري، (ت: ٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م (١/٤٧٩، ٤٧٨).

من خلال العرض السابق لمعاني السنة يتضح أنها وردت بعدة معانٍ منها: الطريقة،  
ومنها حكم الله وأمره ونهيه وغيرها.  
والمشهور من هذه المعاني أنها الطريقة والمنهج، وأنها المتناسبة مع المعنى الاصطلاحي  
كما سيتضح.

## المطلب الثاني

### تعريف السنن في الاصطلاح

أولاً: تعريف السنن عند المفسرين.

وردت لفظة سُنَّة وسُنَن في القرآن الكريم ستة عشرة مرة، في إحدى عشرة آية، منها ما ورد بصيغة الجمع كما في سورة آل عمران وسورة النساء، ومنها ما ورد بصيغة الإفراد، فجاءت في تسعة مواضع مضافة إلى الله، كما جاءت في ستة مواضع مضافة إلى الناس، وجاءت في موضع واحد فقط بدون إضافة.

وقد يختلف معنى لفظة سُنَّة وسُنَن عند أهل العلم من المفسرين وغيرهم، ممن تصدى لتعريف سنن الله في الأمم، وأكثر من يذكر تعريف سنن الله هم المفسرون، وذلك لتفسيرهم للآيات التي ورد لفظ "السُنن" فيها، والتي يُقصد بها السنن التي تحكم بنى البشر أو السنن الكونية التي تتعلق بالظواهر الكونية.

فمن المفسرين من قال: إن السُنن: جمع سنة، والسنة: هي الطريقة المعبدة والسيرة المتبعة أو المثل المتبع<sup>(١)</sup>، ومنهم من قال: إن المراد بالسنن: ما سنه الله تعالى في الأمم من وقائعه، وقيل أصل السُنن: جمع سنة، وهي: الطريقة المستقيمة، أو الطريقة المتبعة في الخير والشر<sup>(٢)</sup>. وذكر بعضهم أن المراد بالسُنن: "يريد ما سنه الله في الأمم المكذبين من

---

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م (٢٣٠/٧)، وتفسير القرآن الحكيم: لمحمد رشيد رضا، (ت: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب (د، ت) ١٩٩٠م، ١١٥/٤، ومفاتيح الغيب: لأبي عبد الله فخر الدين الرازي، (ت: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت (د، ت) ط: الثالثة، ١٤٢٠هـ، (٣٦٩/٩).

(٢) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: لأبي محمد الحسين بن محمد بن الفراء البغوي، (ت: ٥١٠هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ، (٥١٣/١)، وفتح القدير: محمد بن علي الشوكاني، (ت: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٤هـ، (٤٣٩/١)، والجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله شمس الدين القرطبي، (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (٢١٦/٤).

وقائعه"<sup>(١)</sup>.

ومن الآيات التي وردت فيها لفظة سنة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. وقد بين البغوي معنى (سُنن) في هذه الآية بقوله: "قد مضت وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم من الأمم الماضية الكافرة، بإمهالي واستدراجي إياهم حتى يبلغ الكتاب فيهم أجلي الذي أجلته لإهلاكهم، وإدالة أنبيائي عليهم، فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين، أي: آخر أمر من المكذبين، وهذا في حرب أحد، يقول الله عز وجل: فأنا أمهلهم وأستدرجهم حتى يبلغ أجلي الذي أجلته في نصره النبي ﷺ وأوليائه وإهلاك أعدائه"<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر رشيد رضا<sup>(٤)</sup> عند تفسيره هذه الآية ما نصه: "إن إرشاد الله إيانا إلى أن له في خلقه سنناً يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علماً من العلوم المدونة؛ لنستديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم.. كما جاء القرآن يبين للناس أن مشيئة الله - تعالى - في خلقه إنما تنفذ على سنن حكيمة وطرائق قويمية، فمن سار على سنته في الحرب - مثلاً - ظفر بمشيئة الله وإن كان ملحداً أو وثنياً، ومن تنكبها خسر وإن

---

(١) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، (ت: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، (د، ت) ط: الثالثة، ١٤٠٧هـ، (١/٤١٧).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٣٧).

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن: للبغوي، (١/٥١٣).

(٤) هو: محمد رشيد بن علي رضا بن خليفة القلموني، أحد رجال الإصلاح الإسلامي في زمانه، كان من الكتّاب، والعلماء بالحديث والتفسير، ولد ونشأ في القلمون، وتعلم فيها وفي طرابلس، ثم رحل إلى مصر ولازم الشيخ محمد عبده وتلمذ له، رحل إلى الهند والحجاز وأوروبا. وعاد، فاستقر بمصر إلى أن توفي فيها ودفن بالقاهرة (١٣٥٤ هـ)، له مصنفات عدة منها، (مجلة المنار، و تفسير القرآن الكريم، وذكرى المولد النبوي)، وغيرها، ينظر، الأعلام: لخير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر، ٢٠٠٢م، (٦/١٢٥)، ومشاهير علماء نجد: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن محمد بن عبد الوهاب، الناشر: طبع على نفقة المؤلف بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ط: الأولى، ١٣٩٢هـ، ص (٢٨٨).

كان صديقاً أو نبياً، وأن له تعالى سُنناً عامة جرى عليها نظام الأمم من قبل، وأن ما وقع لهم مما يقصّ حكمته عليهم هو مطابق لتلك السنن التي لا تتحول ولا تتبدل" (١).

وبنحو هذا القول قال سيد قطب (٢) في تفسيره (٣).

ومنها قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٤). أي: "أنه تعالى يهديكم سنن الذين من قبلكم في بيان مالكم فيه من المصلحة كما بينه لهم، فإن الشرائع والتكاليف وإن كانت مختلفة في نفسها، إلا أنها متفقة في باب المصالح" (٥).

كما توحى هذه الآية إلى بيان حكمة الله في التشريع والمنهج الذي أراد تبينه لعباده ومدى لطفه بهم، كما وضح ذكر ذلك سيد قطب بقوله: "فهذا المنهج هو منهج الله الذي سنه للمؤمنين جميعاً، وهو منهج ثابت في أصوله، موحد في مبادئه، مطرد في غاياته وأهدافه، هو منهج العصبية المؤمنة من قبل ومن بعد، ومنهج الأمة الواحدة التي يجمعها موكب الإيمان على مدار القرون" (٦).

---

(١) تفسير القرآن الحكيم: لمحمد رشيد رضا (١١٤/٤-١١٧).

(٢) هو: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، مفكر إسلامي مصري، ولد في أسيوط، من شهداء النهضة الإسلامية الحديثة، تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) وعمل في جريدة الأهرام، وكتب في مجلتي الرسالة، والثقافة، وأوفد في بعثة لدراسة برامج التعليم، وانضم إلى الإخوان المسلمين، وترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم لمدة عام وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم، (ت: ١٣٨٥هـ)، له عدة كتب متداولة، منها، العدالة الاجتماعية في الإسلام، والتصوير الفني في القرآن، و مشاهد القيامة في القرآن، وفي ظلال القرآن، ومعالن في الطريق، وغيرها، انظر، الأعلام: للزركلي، (٣/٤٨١)، ومعجم المفسرين: عادل نويهض، قدم له: مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت- لبنان، ط: الثالثة، ١٤٠٩هـ، (١/٢١٩).

(٣) في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ) الناشر: دار الشروق- بيروت- القاهرة (د، ت) ط: السابعة عشر، ١٤١٢هـ، (١/٤٧٨، ٤٧٩).

(٤) سورة النساء: الآية (٢٦).

(٥) مفاتيح الغيب: للرازي، (١٠/٥٤).

(٦) في ظلال القرآن: سيد قطب، (٢/٦٣١).

ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ﴾<sup>(١)</sup>. وردت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن الكافرين وموقفهم من الإسلام، وكذلك إنفاقهم للأموال؛ ليصدوا بها عن دين الله، وإن هم أنفقوها فإنها ستكون عليهم حسرة ثم يغلبون، فجاءت هذه الآية لتبين لهم أن ينتهوا عن ما سبق من أفعالهم فإن الله بجلمه وعلمه وكرمه ورحمته سيغفر لهم سابق أفعالهم، وأن يعودوا لما شرعت به أنفسهم من محاربة الإسلام والصد عنه كسابق أفعالهم، فقد مضت سنة الله تعالى على من كان قبلهم من الأمم الماضية، وما مضى على من كان قبلهم من الذين كفروا، سيمضي على من سار على شاكلتهم، فسنة الله ماضية لا تتبدل ولا تتحول ولا تُحابي ولا تُجامل أحداً. وقد ذكر الطبري، في تفسير الآية الكريمة السابق ذكرها أن: "قل، يا محمد، للذين كفروا، من مشركي قومك إن ينتهوا، عما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله ورسوله، وقتالك وقتال المؤمنين، فينبوا إلى الإيمان يغفر الله لهم ما قد خلا ومضى من ذنوبهم قبل إيمانهم وإنابتهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله بإيمانهم وتوبتهم، وإن يعودوا، لقتالك بعد الوقعة التي أوقعتها بهم يوم بدر فقد مضت سنتي في الأولين منهم ببدر، ومن غيرهم من القرون الخالية، إذ طغوا وكذبوا رسلي ولم يقبلوا نصحتهم، من إحلال عاجل النقم بهم، فأحل بهؤلاء إن عادوا لحربك وقتالك، مثل الذي أحللت بهم"<sup>(٢)</sup>.

كما أن الآية تُعد خطاب للذين كفروا بأنه لازال هناك فرصة أمامهم سانحة لينتخوا عما كانوا عليه من الكفر، ومن التجمع والتحزب لمحاربة الحق وأهله، ومن إنفاق الأموال للصد

(١) سورة الأنفال: الآية (٣٨).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري، ٥٣٦/١٣، والهداية إلى بلوغ النهاية: لأبن محمد مكي بن أبي طالب بن مختار القيسي، (ت: ٤٣٧ هـ) تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د. الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م (٢٨٢١/٤).

عن سبيل الله، فالطريق مفتوحة أمامهم إن هم انتهوا عن ما كانوا عليه ورجعوا إلى الله تعالى، أما إن عادوا إلى الكفر والعدوان بعد هذا البيان فإن سنة الله في الأولين لا تتخلف، ولقد مضت سنة الله أن يعذب المكذبين بعد التبليغ والتبيين وأن يرزق أوليائه النصر والعز والتمكين، وهذه السنة ماضية لا تتخلف ولا تتحول ولا تتبدل وهي باقية ما بقى الزمان، وللذين كفروا أن يختاروا وهم على مفرق الطريق<sup>(١)</sup>.

ووردت لفظة "السنن" في القرآن الكريم بعدة معانٍ، منها ما ذكره وبينه بعض أهل العلم في التفسير كما تقدم معنا، وما بينه غيرهم من قدامى كانوا أم محدثين.

ومنها قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأُولِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. أي: قد مضت سنة الله في الأولين بإهلاك من كذب الرسل من الأمم الماضية، فاحذروا أن يصيبكم يا أهل مكة العذاب كما أصاب الذين من قبلكم، وهذا يُعدّ وعيداً وتهديداً لكفار مكة، فهذه طريقهم التي سنّها الله في إهلاكهم، وستمضي على جميع من سلك نفس طريقهم في التكذيب والاستهزاء برُسلهم، وتوحي الآية إلى تجديد إبلاغ القرآن الكريم لهؤلاء المجرمين على سنة إبلاغ الرسالات لمن قبلهم، وإعذاراً لهم قبل أن يحل بهم العذاب كما حل بالذين من قبلهم، فتلك هي سنة من سبقوهم إلى الكفر، فالسنة هي الطريقة التي تأتي عليها قضايا النتائج، ولا تأتي نتيجة إلا لمُقدّمات أو مُسبقات<sup>(٣)</sup>.

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب، (٣/١٥٠٨).

(٢) سورة الحجر: الآية (١٣).

(٣) ينظر: فتح القدير: للشوكاني ٣/١٤٨، ولباب التأويل في معاني التنزيل: لأبي الحسن علاء الدين بن محمد بن عمر الشيعي، المعروف بالخازن، (ت: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥هـ، (٣/٥٠)، و التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، (ت: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس(د، ت) ١٩٨٤هـ، (١٤/٢٤)، و تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، (ت: ١٤١٨هـ) الناشر: مطابع أخبار اليوم (د، ت، ط) ١٩٩٧ م (١٢/٧٦٦٠).



ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٧٦ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ۝٧٧﴾<sup>(١)</sup>، معنى الآية كما يذكر ابن عطية<sup>(٢)</sup>: "الإخبار أن سنة الله تعالى في الأمم الخالية وعادته أنها إذا أخرجت نبيها من بين أظهرها نالها العذاب واستأصلها الهلاك فلم تلبث بعده إلا قليلاً"<sup>(٣)</sup>.  
وبنحو هذا القول قال الثعالبي<sup>(٤)</sup> في تفسيره<sup>(٥)</sup>.

وقيل: "أن ما أجرى الله تعالى به العادة لم يتهيأ لأحد أن يقلب تلك العادة"<sup>(٦)</sup>.  
وذكر ابن جزي<sup>(١)</sup> وغيره: أن سنة الله هذه هي عادة الله مع جميع رسله، وما من قوم

(١) سورة الإسراء: الآية (٧٦، ٧٧).

(٢) هو: الإمام العلامة، شيخ المفسرين، أبو محمد عبد الحق بن الحافظ أبي بكر غالب بن عطية المحاربي الغرناطي، حدث عن: أبيه، وعن الحافظ أبي علي الغساني، ومحمد بن الفرج مولى ابن الطلاع، وأبي الحسين يحيى بن أبي زيد المقرئ بن البياز، وكان إماماً في الفقه، وفي التفسير، وفي العربية، قوي المشاركة، ذكياً فطناً مدركاً، من أوعية العلم، وطلب العلم وهو مراهق، وكان يتوقد ذكاء، ولي قضاء المرية في سنة تسع وعشرين وخمس مائة، توفي بحصن لورقة، في الخامس والعشرين من شهر رمضان، سنة إحدى وأربعين وخمس مائة. ينظر: سير أعلام النبلاء: لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الحديث - القاهرة، ط: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، (١٤/٤٠٢).  
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، (ت: ٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ، (٣/٤٧٧).

(٤) هو: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجزائري، المالكي الإمام علم الأعلام الفقيه المفسر، من كبار المفسرين وأعيان الجزائر وعلمائها. ولد ونشأ بناحية وادي يسر بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر، ترجم الشيخ نفسه في كتابه، الجامع، وولي القضاء على غير رضى منه، ثم خلع نفسه، (ت: ٨٧٥هـ)، له عدة تصانيف منها، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، وروضة الأنوار ونزهة الأخيار، والعلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة، وغيرها، انظر: معجم المؤلفين: عمر بن رضا بن محمد راغب، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، (١٩٢/٥)، وفهرس الفهارس: محمد عبد الحَي بن عبد الكبير الإدريسي، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت ص. ب: ٥٧٨٧/١١٣، ط: الثانية، ١٩٨٢م، (٢/٧٣٢)، ومُعْجَمُ أعلام الجزائر: عادل نويهض، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، ط: الثالثة، ١٤٠٠هـ، (١/٩٠-٩١).

(٥) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، (ت: ٨٧٥هـ) تحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨هـ، (٣/٤٠٩).

(٦) مفاتيح الغيب: للرازي، (٢١/٣٨١).

آدوا رسولهم وأخرجوه من بينهم إلا نزل بهم من الله الهلاك وأصناف العذاب حتي يستأصلهم، فهكذا هي عادة الله في الذين كفروا برسول الله، ولولا أنه ﷺ بُعِثَ رسول رحمة للعالمين لَحَلَ بهؤلاء القوم الذين كذبوا به وظاهروا على إخراجهم من النعم في الدنيا ما لا قبل لأحد به، فلو تتبدل أو تتحول سنة الله أو عادته إلى وقت آخر لاقتضت تغيير الأسباب عن أوضاعها وهذا محال عقلاً وعادة<sup>(٢)</sup>.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝٥٥﴾<sup>(٣)</sup>، أي: ما منع مشركي أهل مكة الذين حكيت أباطيلهم وكل من شاكلهم من الإيمان بالله تعالى إلا التعنت والعناد الكامن في ضمائرهم، مع يقينهم بصحة ما تدعوهم إليه يا محمد من البيان والرشاد، ولكثرة الحجج والبراهين والآيات التي تجعلهم يلتزمون الإيمان، لكن الذي منعهم عن الإيمان هو تعنتهم وعنادهم، حتى تأتيتهم سنة الأولين، وهو الاستئصال والهلاك وطلب وانتظار إتيانها، حتى يحل بهم كما حل بقتلى بدر

(١) هو: أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى ابن جزى الكلبي الغرناطي، هو الإمام العالم الشهير خطيب الجامع الأعظم بغرناطة، تقدم خطيباً ببلده على حداثة سنة فاتفقوا على فضله، وصفه تلميذه الحضرمي بالحفظ والإتقان، قتل في الكائنة بطريف، (ت: ٧٤١ هـ)، له تصانيف منها، وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم، والأنوار السنية في الألفاظ السنية، والتسهيل لعلوم التنزيل، وغيرها، انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية- صيدر اباد/ الهند، ط: الثانية، ١٣٩٢ هـ، (٨٨/٥)، وفهرس الفهارس: للإديسي، (٣٦/١).

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد ابن جزى الكلبي، (ت: ٧٤١ هـ) تحقيق: د/ عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت، ط: الأولى، ١٤١٦ هـ، (٤٥٢/١)، و البحر المحيط: لأبي حيان محمد بن يوسف بن حيان، (ت: ٧٤٥ هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر- بيروت، ١٤٢٠ هـ، (٩٣/٧)، وتفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، (ت: ٧٧٤ هـ) تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون- بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ، (٩٢/٥)، وغرائب القرآن: نظام الدين بن محمد النيسابوري، (ت: ٨٥٠ هـ) تحقيق: الشيخ كريما عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط: الأولى، ١٤١٦ هـ، (٣٧٥/٤).

(٣) سورة الكهف: الآية (٥٥).

وأحد<sup>(١)</sup>.

ويقول تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ (٣٨) <sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير - رحمه الله -: " سنة الله في الذين خلوا من قبل أي هذا حكم الله تعالى في الأنبياء قبله لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج، وهذا رد على من توهم من المنافقين نقصاً في تزويجه امرأة زيد موله ودعيه الذي كان قد تبناه وكان أمر الله قدراً مقدوراً أي وكان أمره الذي يقدره كائناً لا محالة وواقعاً لا محيد عنه ولا معدل"<sup>(٣)</sup>.

وورد لفظ (سنة) في هذه الآية بشأن النبي ﷺ وزواجه من زينب بنت جحش - رضي الله عنها -،....: "فكانت هذه المسألة مسألة تقرير مبدأ جديد، فقد مضى القرآن يؤكدّها ويزيل عنصر الغرابة فيها، ويردها إلى أصولها البسيطة، فقد فرض له أن يتزوج زينب، وأن يبطل عادة العرب في تحريم أزواج الأدياء، وإذن فلا حرج في هذا الأمر، وليس النبي ﷺ فيه بدعاً من الرسل، فهو أمر يمضي وفق سنة الله التي لا تتبدل، والتي تتعلق بحقائق الأشياء، لا بما يحوطها من تصورات وتقاليد مصطنعة لا تقوم على أساس، وقد أمر الله رسوله أن يبطل تلك العادة ويمحو آثارها عملياً، ويقرر بنفسه السابقة الواقعية، ولم يكن بد من نفاذ أمر الله، وسنة الله هذه قد مضت في الذين خلوا من قبله من الرسل"<sup>(٤)</sup>.

---

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري، ٤٩/١٨، و تفسير الماتريدي: لأبي منصور محمد محمود، الماتريدي، (ت: ٣٣٣هـ) تحقيق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م (١٨٦/٧)، و الوسيط في تفسير القرآن المجيد: لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، (ت: ٤٦٨هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م (١٥٤/٣)، ومحاسن التأويل: محمد جمال الدين الحلاق القاسمي، (ت: ١٣٣٢هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨هـ، (٤٤/٧).

(٢) سورة الأحزاب: الآية (٣٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٣٨٠/٦).

(٤) ينظر: في ظلال القرآن، (٢٨٧٠/٥).

ويقول تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْأُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۖ﴾ ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَفْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾<sup>(١)</sup>.

ذكر بعض أهل التفسير أن هذا إنذار عام لجميع المنافقين الغابرين واللاحقين وأمراض القلوب، بأنهم إذا لم ينتهوا عما يشيعونه في أواسط المجتمع من إشاعات وأراجيف، وزرعاً للفتن والفتنة فإن الله سيسلط نبيه ﷺ والمؤمنين على قهرهم وقتلهم حتى يكونوا مهدوري الدم أينما وجدوا، وهذه السنة لا تتبدل ولا تتغير، وهي طريقته في المنافقين في كل زمان وعلى من مضى من أمثالهم من الأمم، وأن هذه السنة هي الطريقة المتواترة التي لا تتبدل، وذلك لقيامها على الحكمة و المصلحة وصلاح الأمة، كما تعتبر هذه السنة حكم في حد ذاته، وهو لعن المنافقين وتقتيلهم وانتصار الرسول والمؤمنين عليهم، فمن تمادى في العصيان وظل على النفاق، ولم ينته عن مؤاذات النبي العدنان، فلن تجد لسنة الله مع الحاضرين ولا مع الذين خلوا من قبل ولا مع الآتين تبديلاً<sup>(٢)</sup>.

ومنها قوله تعالى: ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ۚ﴾ ﴿٤٣﴾﴾<sup>(٣)</sup>، معنى الآية فهل ينظرون إلا سنة الأولين، أي: هل ينتظرون سنة الله فيهم بأن ينزل بهم العذاب وأن يحل بهم من نقمتي على شركهم بي وتكذيبهم رسولي كما نزل بأولئك الذين كذبوا برسولهم من الأمم قبلهم، إذ جعل استقبالهم لذلك انتظاراً له منهم، وبين أن عادته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها، أي: لا يغيرها، فلن تجد لسنة الله تبديلاً، أي: لن تجد لعادة الله يا محمد في إهلاك الكفار تغييراً.

وبين الله أن سنته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل سنة لا يبدلها في ذاتها، ولا يحولها

(١) سورة الأحزاب: الآية (٦٠ - ٦٢).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي، (١٨٤/٢٥).

(٣) سورة فاطر: الآية (٤٣).

عن أوقاتها وأن ذلك مفعول لا محالة، ولا يقدر أحد أن يغير سنة الله التي سنّها بالأُمم المكذبة من إنزال عذابه بهم بأن يضع موضعه غيره بدلاً عنه؛ لأنه لا مرد لقضائه، ولن تجد لسنت الله تحويلاً، أي: انتقالاً: بل ينتقم منهم، وينزل عليهم سخطه، فإن أمهلهم وأملى لهم فلا بد من عادة الله فيهم بالانتقام كما مضت فيمن كان قبلهم من الأمم، بأن يحول ما جرت به سنة الله من العذاب، فيدفعه عنهم، ويضعه على غيرهم، ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما<sup>(١)</sup>.

ومنها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ (٨٤) فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ. وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥) ﴿٢﴾، قال: أي: لما رأى المشركون العذاب وشدته، ورأوه عياناً بياناً قالوا آمنا بالله وحده، وأعلنوا كفرهم بما أشركوا من الأوثان والأصنام مع الله في عبادته، كما أنه لم ينفعهم إيمانهم بالله عندما رأوا البأس وشاهدوا العذاب؛ لأن مثل هذا الإيمان لا يقبله الله وإنما يُعد إيمان عن قسر وإلجاء، كما في قوله تعالى - عندما أعلن فرعون - عليه اللعنة - إيمانه بعد أن إدراك أنه لا نجاة له من الغرق فردّ الله تعالى عليه بقوله: ﴿أَلَكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٩١) ﴿٣﴾، أي: أن فرعون لم يعلن إيمانه إلا بعد أن رأى عذاب الله وشدته، وسنة الله تعالى قد جرت على هؤلاء وأمثالهم في كل زمان ومكان بعدم قبول توبتهم بعد ظهور بأس الله

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري، (٤٨٤/٢٠)، وبحر العلوم: لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، (ت: ٣٧٣هـ) (د، ت، ط) (١١٣/٣)، والهداية إلى بلوغ النهاية: لأبي محمد بن مختار القيسي، (٥٩٩٣/٩)، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (ت: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي-بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٧هـ، (٦١٩/٣)، والمحزر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية، ٤٤٤/٤، ومفاتيح الغيب: للرازي، (٢٤٧/٢٦)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: لأبي البركات عبد الله بن أحمد حافظ الدين النسفي، (ت: ٧١٠هـ) تحقيق واخرج أحاديثه: يوسف علي بدوي، راجعه: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م (٩٣/٣)، ولباب التأويل في معاني التنزيل: للخازن، (٤٥٩/٣)، وفتح القدير: للشوكاني، (٤٠٨/٤).

(٢) سورة غافر: الآية (٤٨، ٨٥).

(٣) سورة يونس: الآية (٩١).

وعذابه، فهذه توبة فزع لا توبة إيمان، فعدم قبول الإيمان وقت اليأس سنة من سنن الله المطردة في كل الأمم<sup>(١)</sup>.

فلا قبول للتوبة إلا إذا توفرت شروطها وهي الإقلاع عن الذنب، والندم عليه، والعزم الجازم على ترك معاودته<sup>(٢)</sup>.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَحْدُوثُ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٢٢) سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجْدِلَ سُنَّةَ اللَّهِ بَدِيلًا (٢٣) ﴿<sup>(٣)</sup>، وفي هذه الآية تأتي البشارة من الله تعالى: "بأنه لو ناجزهم المشركون لنصر الله رسوله وعباده المؤمنين عليهم، ولا نهزم جيش الكفر فاراً مدبراً لا يجدون ولياً ولا نصيراً؛ لأنهم محاربون لله ولرسوله ولحزبه المؤمنين، ثم قال تبارك وتعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجْدِلَ سُنَّةَ اللَّهِ بَدِيلًا﴾ (٢٣) ﴿، أي هذه سنة الله وعادته في خلقه، ما تقابل الكفر والإيمان في موطن إلا نصر الله الإيمان على الكفر ورفع الحق ووضع الباطل، كما فعل تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين نصرهم على أعدائه من المشركين مع قلة عدد المسلمين وعددهم وكثرة المشركين وعددهم"<sup>(٤)</sup>.

---

(١) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: للواحدي، (ت: ٤٦٨هـ) تحقيق: صفوان عدنان داوود، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، (٢٣/٤)، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن: للبغوي، (١٢٤/٤)، وزاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد الجوزي، (ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ، (٤٤/٤)، ومفاتيح الغيب: للرازي، ٥٣٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (٣٣٦/١٥)، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، (ت: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د، ت، ط)، (٢٨٧/٧)، وفي ظلال القرآن: لسيد قطب، (٣١٠٢/٥)، وصفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، (د، ت)، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م (١٠٣/٣، ١٠٤).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لأبي بكر محمد بن بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد المعتمد بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، (٢٨٦/١).

(٣) سورة الفتح: الآية (٢٢، ٢٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٣١٦/٧، ٣١٧).

كما أن الله تعالى "يربط نصر عباده المؤمنين وهزيمة الكفار بسننه الكونية الثابتة التي لا تتبدل ولا تتغير، فأية سكينه؟ وأية ثقة؟ وأي تثبيت يجده أولئك المؤمنون في أنفسهم وهم يسمعون من الله أن نصرهم وهزيمة أعدائهم سنة من سننه الجارية في هذا الوجود، وهي سنة دائمة لا تتبدل، ولكنها قد تتأخر هذه السنة إلى أجل، وذلك لأسباب قد تتعلق باستواء المؤمنين على طريقهم واستقامتهم الاستقامة التي يعرفها الله لهم، أو تتعلق بتهيئة الجو الذي يولد فيه النصر للمؤمنين والهزيمة للكافرين ؛ لتكون له قيمته وأثره، أو لغير هذا وذاك مما يعلمه الله، ولكن السنة لا تتخلف، والله أصدق القائلين: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾<sup>(١)</sup> " (٢).

وقد عرّف ابن تيمية<sup>(٣)</sup> -رحمه الله- السنة بقوله: "إن السنة هي العادة في الأشياء المتماثلة، ولفظ السنة يدل على التماثل فإنه -سبحانه وتعالى- إذا حكم في الأمور المتماثلة بحكم فإن ذلك لا ينتقض ولا يتبدل ولا يتحول، بل أنه تعالى لا يفرق بين المتماثلين، وإذا وقع تغيير فذلك لعدم التماثل، وأنه -سبحانه- يسوي بين المتماثلين ويفرق بين المختلفين، وذلك

(١) سورة الفتح: الآية (٢٣).

(٢) ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب، (٦/٣٣٢٧، ٣٣٢٨).

(٣) هو: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، الشيخ الإمام المفسر الحافظ، نادرة العصر ذو التصانيف الباهرة والذكاء المفرط، بن تيمية وهو لقب لجده الأعلى، وكان آية من آيات الله تعالى في التفسير والأصول، قلمه ولسانه متقاربان، ولقد سارت بتصانيفه الركبان في فنون من العلم، وكان قوالا بالحق نهاء عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم ذا سطوة وإقدام وعدم مداراة الأغيار، توفي معتقلا بقلعة دمشق، ودفن إلى جانب أخيه الإمام شرف الدين رحمهما الله تعالى (ت: ٧٢٨ هـ): له عدة تصانيف منها، (الجوامع في السياسة الإلهية والآيات النبوية، ويسمى السياسة الشرعية، والفتاوى، ومجموعة الرسائل والمسائل) وغيرها، ينظر: ثلاث تراجم نفيسة للأئمة الأعلام: شمس الدين الذهبي، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، الناشر: دار ابن الأثير - الكوي، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ، ص، (٢١)، والنَّزَاجِمُ السَّاقِطَةُ مِنْ كِتَابِ إِكْمَالِ تَهْذِيبِ الْكَمَالِ: أبو عبد الله، علاء الدين مغلطي، تحقيق ودراسة: طُلاَّبُ وَطَائِبَاتِ مَرْحَلَةِ الماجستير (١٤٢٤ هـ - ١٤٢٥ هـ) شُعْبَةُ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ، الناشر: دار المحدث للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٦ هـ، ص، (٢٥)، وفوات الوفيات: محمد بن شاكر بن هارون، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، ط: الأولى، ١٩٧٣ م، (١/٧٤).

كما ورد في القرآن الكريم ودل على ذلك في عدة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَرَمِينَ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٢).

"ومن هذا الباب صارت قصص المتقدمين عبرة لنا، ولولا القياس واطراد فعله وسنته لم يصح الاعتبار بها، والاعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره كالأمثال المضروبة في القرآن، وهي كثيرة" (٣).

وعرّف ابن قيم الجوزية (٤) -رحمه الله- السنة بقوله: "فسنّته سبحانه عادته المعلومة في أوليائه وأعدائه بإكرام هؤلاء وإعزازهم ونصرتهم وإهانة أولئك وإذلالهم وكبتهم" (٥).

يتضح للباحث مما سبق أن التعريفات الاصطلاحية والتي تكاد تتفق في مجملها وتدور حول بيان المعنى الشرعي لسُنَنَ الله التي ورد ذكرها في القرآن الكريم من بعض متقدمي ومتأخري أهل العلم في التفسير أو غيرهم من أهل العلم.

كما يرى الباحث من ذكر مفهومها من منظور آخر خاصة كعلماء الحديث الذين اقتصروا على معنى السنة بشكل خاص ولم يتطرقوا لمعناها العام كعلماء التفسير نظر بعض

(١) سورة القلم: الآية (٣٥).

(٢) سورة الزمر: الآية (٩).

(٣) جامع الرسائل: لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، (ت: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار العطاء - الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (١/٥٥).

(٤) هو: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، الشيخ الإمام العلامة، أحد المحققين علم المصنفين نادرة المفسرين، لازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية وأخذ عنه علما جما، وكان يقول لا بد للسالك الى الله من همة تسيره وترقيه وعلم ييسره ويهديه، دفن بمقبرة الباب الصغير بدمشق، (ت: ٧٥١هـ)، من مصنفاته، (زاد المعاد في هدي خير العباد، وسفر الهجرتين وباب السعادت)، وغيرها، ينظر: الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت: ١٤٢٠هـ، (٢/١٩٧)، والرد الوافر: محمد بن عبد الله بن أبي بكر القيسي، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، ط: الأولى، ١٣٩٣هـ، (٦٨/٢٨).

(٥) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: لأبي بكر شمس الدين محمد ابن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ) الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د، ت) ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ص، (١٩٩٠).



العلماء إلى لفظ: "سنة" كمصطلح، يطلق على سيرة النبي ﷺ سواءً من قول أم فعل أم صفة خُلِقِيَّة أم خُلُقِيَّة راجعة إلى طبائعه النفسية في حالة الرضا والغضب، سواء كانت قبل البعثة أم بعدها، وزاد بعضهم: أو إشارة منه أو ما هم به، وهي بهذا ترادف الحديث عند بعضهم<sup>(١)</sup>. والسنة القولية: هي كل قولٍ قاله النبي ﷺ في شتى مجالات الحياة، منها ما روي عن عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إذا أقبل الليل وأدبر النهار وغربت الشمس فقد أفطر الصائم»<sup>(٢)</sup>.

أما السنة الفعلية: فهي كل فعلٍ فعله النبي ﷺ في سائر حياته، مثال على ذلك، ما روي عن أبي عطية، قال: دخلت أنا ومسروق، على عائشة رضي الله عنها، فقال لها مسروق: رجلان من أصحاب محمد ﷺ، كلاهما لا يألو عن الخير، أحدهما «يعجل المغرب والإفطار»، والآخر يؤخر المغرب والإفطار، فقالت: من يعجل المغرب والإفطار قال: عبد الله، فقالت: «هكذا كان رسول الله ﷺ يصنع» أي: يفعل<sup>(٣)</sup>.

أما السنة التقريرية هي: أن يحدث الفعل أمام الرسول ﷺ أو في زمنه والوحي لا يزال ينزل عليه فيُقر الرسول ﷺ ذلك الفعل ولا ينكره على فاعله، ويقر الوحي أيضاً ذلك ولا ينكر ولا يغير فتكون بذلك تقرير شرعي للفعل<sup>(٤)</sup>.

كما هو واضح فيما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: خرج رجلان في سفر، فحضرتهما الصلاة، وليس معهما ماء، فتيما صعيداً طيباً، فصليا، ثم وجدا الماء بعد في الوقت، فأعاد أحدهما الصلاة بوضوء، ولم يعد الآخر ثم أتيا رسول الله ﷺ فذكرا ذلك، فقال للذي لم يعد: «أصبت السنة وأجزأتك صلاتك». وقال للذي توضأ وأعاد، لك الأجر

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: مصطفى السباعي، (ت: ١٣٨٤هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي: دمشق - سوريا، بيروت - لبنان، ط: الثالثة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ص، (٤٧).

(٢) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، (ت: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د، ط) ح، رقم (١١٠٠) (٧٧٢/٢)، باب بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار.

(٣) المصدر السابق: ح رقم (١٠٩٩) (٧٧٢/٢)، باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، واستحباب تأخيرهِ وتعجيل الفطر.

(٤) ينظر: موسوعة الدفاع عن رسول الله ﷺ، للباحث: علي بن نايف الشحود، (١٢٥/١١).

مرتين»<sup>(١)</sup>.

كما أن السنة تقابل البدعة عند أهل الحديث، والبدعة هي: الدين الذي لم يأمر الله به ورسوله فمن دان ديناً لم يأمر الله ورسوله به فهو مبتدع بذلك<sup>(٢)</sup>، ويؤكد هذا ما روي عن العرياض بن سارية<sup>رضي الله عنه</sup> قال: صلى بنا رسول الله<sup>ﷺ</sup> الصبح ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: "أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"<sup>(٣)</sup>.

ويكتفي الباحث بهذا الذكر اليسير مما ذكره أهل الحديث حول بيان معنى السنّة بسنة

---

(١) مسند الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، التميمي السمرقندي، (ت: ٢٥٥هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م، ح، رقم (٧٧١) (٥٧٦/١)، باب التيمم، جامع الأصول في أحاديث الرسول: لأبي السعادات مجد الدين المبارك بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنبوط - التتمة تحقيق بشير عيون، الناشر: مكتبة الحلواني - الملاح - مكتبة دار البيان، ط: الأولى، ح، رقم (٥٢٩٨) (٢٦٥/٧)، أخرجه أبو داود، قال: وروي عن عطاء بن يسار عن النبي - ﷺ - قال ... ذُكِرَ أبي سعيد في هذا الحديث: ليس بمحفوظ، وهو مرسل، (ص: ٢٦٦)، وفي أخرى عن عطاء بن يسار «أن رجلاً من أصحاب النبي - ﷺ - ... بمعناه»، وفي رواية النسائي «أن رجلين تيمّما وصلّيا، ثم وجدا ماء في الوقت فتوضأ أحدهما، وعاد لصلاته ما كان في الوقت، ولم يُعِد الآخر، فسألا النبي - ﷺ -، فقال للذي لم يعد: أصبت السنّة، وأجزأتك صلاتك، وقال للآخر: أمّا أنت فلكَ مثلُ سهمٍ جمع»، وله في رواية «أن رجلين.. وساق الحديث»، الفرع الرابع: في التيمم إذا وجد الماء.

(٢) الاستقامة: لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن محمد ابن تيمية، (ت: ٧٢٨هـ) تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ (٥/١).

(٣) مسند أحمد: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، (ت: ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنبوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ح رقم (١٧١٤٥) (٣٧٥/٢٨)، و سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن عمرو الأزدي (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، رقم (٤٦٠٧) (٤/٢٠٠)، باب في لزوم السنة، من حديث العرياض بن سارية<sup>رضي الله عنه</sup>، وقال الألباني صحيح.

النبي ﷺ كونها خارجة عن موضوع وعنوان هذا البحث.

### ثانياً: تعريف السنن عند الفقهاء.

ذكر الفقهاء أن للسنة معانٍ عدة، منها، "أنها اسم للطريقة المسلوكة في الدين"<sup>(١)</sup>. وتطلق أيضاً عند بعض الفقهاء: على الفعل إذا واطب عليه النبي ﷺ ولم يدل دليل على وجوبه<sup>(٢)</sup>.

وعرّف بعض الفقهاء السنة: بأنها ما يستحق الثواب بفعله ولا يعاقب بتركه<sup>(٣)</sup>. فمن خلال ما سبق تبين أن تعريف السنة عند أهل اللغة وأهل التفسير، وإن اختلفت ألفاظ المصطلحات عندهما إلا أن المعنى واحد، فلا خلاف بين من عرّفها بأنها الطريقة المستقيمة أو المعبدة، أو الطريقة المتواترة أو المتبعة، أو بأنها العادة التي لا تتبدل والتي تسير عليها أمور هذا الكون بمقتضى حكمة الله تعالى وعدله.

كما يتبين لنا أيضاً أن من عدل عن سنة الله تعالى من بنى البشر ولم يمضِ وفق سنن الله خاب وخسر وإن كان مسلماً موحداً، ومن سار على ضوء هذه السنن ووفق مقتضياتها فاز وظفر وإن كان مشركاً ملحداً.

أمّا تعريف السنة عند أهل الحديث والفقهاء فلم يتطرقوا لبيان معنى السنة من حيث المعنى العام لها كسنة كونية، وإنما دارت تعاريفهم حول معنى السنة الخاصة بالنبي ﷺ، من قول أو فعل أو تقرير.

---

(١) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي: عبد العزيز بن أحمد بن محمد البخاري، (ت: ٧٣٠هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، (د، ت، ط) (٣٠٢/٢).

(٢) الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع: حسن بن عمر بن عبد الله السيواني المالكي، (ت: بعد ١٣٤٧هـ) الناشر: مطبعة النهضة، تونس، (د، ت) ط: الأولى، ١٩٢٨م، (١٢/١).

(٣) الفتاوى الهندية: لجنة علماء برئاسة نظام الدين البلخي، الناشر: دار الفكر، (د، ت) ط: الثانية، ١٣١٠هـ، (٦٧/١)، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى: مصطفى بن سعد السيوطي، (ت: ١٢٤٣هـ) الناشر: المكتب الإسلامي، (د، ت) ط: الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م (٩٢/١).

## المبحث الثاني

### أنواع السنن الربانية في القرآن الكريم

بعد تتبُّع الباحث العديد من الرسائل التي تناولت حول هذا الموضوع تبين له من بعض عناوين هذه الرسائل أن للسنن أنواع عدة.

يتضح ذلك في اقتراح بعض المؤلفين تسمية "السنن الربانية"، فإذا كان المعنى المتبادر إلى الأذهان بداية وبداهة هو ترادف المصطلحين؛ لكون الله هو الرب جلّ في علاه، ووصف الشيء بالإلهية أو الربانية ينتهي في الحالتين إلى ربطه بالله سبحانه وتعالى، فإذا كان الأمر كذلك فإن بعض المؤلفين استعمل تسمية "السنن الربانية" بالمعنى العام، حيث يشمل كل السنن الكونية والانسانية والتشريعية، فجعل السنة التشريعية هي المقصودة بتسمية "السنن الإلهية"<sup>(١)</sup>.

بينما استعمل البعض مصطلح "السنن الربانية" كنوع من السنن الإلهية التي تتعلق بالإنسان والمجتمع، ويبرر ذلك بكون وصف الربوبية يضيف على السنن الإلهية معاني العناية والرعاية الإلهية<sup>(٢)</sup>.

وهناك بعض الفروق التي ذكرتها إحدى الباحثات المعاصرات بين السنن الإلهية والقوانين الكونية، فقوانين الكون تقوم على صورتين:

**أولها:** الصورة التي خلق الله الكون عليها وهي السنن الإلهية.

**ثانيها:** القوانين التي اكتشفها العلماء، أي: أن "السنن" طرح من منظور إلهي مطلق، و"القوانين" منظور بشري نسبي متعلق بحالة مخصوصة، وهي ما نعيشه في حاضرننا اليوم، أما السنن فهي عامة شاملة للعالم الحاضر والغائب<sup>(٣)</sup>.

وبأحثه أخرى جعلت السنن ثلاثة أنواع، سنن إلهية وسنن كونية وسنن اجتماعية

---

(١) السنن الإلهية وتفسير القرآن الكريم في العصر الحديث، د/ عمر حيدوسي، رسالة دكتوراه، قسم العلوم الإسلامية،

إشراف: د/ عبدالحميد بو كعباش، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٢م، ص ٢٥٠.

(٢) مفهوم السنن الربانية: رمضان خميس زكي، ص(١٠٩، ١٢٠).

(٣) ينظر: علاقة السنن الإلهية بالقوانين الاجتماعية: د/ ناهد يوسف رزق يوسف، ص١٠٥.

انسانية<sup>(١)</sup>، فيؤول من تقسيمها هذا إلى أن السنن الإلهية تشمل السنن الكونية والاجتماعية، ويتبين ذلك عند تعريفها للسنن الإلهية، مرة بما يدل على السنن الكونية، وأخرى بما يدل على السنن الاجتماعية.

أما اختيار بعض المؤلفين تسمية "السنن الكونية" للحديث عن "السنن الاجتماعية"<sup>(٢)</sup>، مع تعقيبه على اصطلاح غيره بتسميات أخرى، وقد اعتبرها كلها صواباً مع اختلاف التسمية باختلاف زاوية النظر، ولا مشاحة في الاصطلاح<sup>(٣)</sup>، فقد أسماها رشيد رضا، "بالسنن الاجتماعية"<sup>(٤)</sup>، كونها وثيقة الصلة بالمجتمع، ويفضل محمد باقر الصدر تسميتها بـ "السنن التاريخية"<sup>(٥)</sup>، كون التاريخ لا يعرف إلا من خلالها، أما الإمام محمد الغزالي<sup>(٦)</sup> فيستعمل تسمية "السنن الإلهية" باعتبار أن الله هو مصدر السنن، ويستعمل أحياناً تسمية "السنن الاجتماعية"<sup>(٧)</sup>، فلا ضير إن اختلفت المباني فهي متفقة في المعاني، لكنه يؤثر تسميتها

---

(١) ينظر: قصة الاختلاف دراسة سننية: رندا عوني، ص ٣١.

(٢) ينظر: السنن الكونية في تفسير ابن باديس: بقلم/ محمد دراجي، ١٦/٧/٢٠١٧م، ص ٢.

(٣) السنن الإلهية وتفسير القرآن الكريم في العصر الحديث: عمر حيدوسي، ص، (٢٥٤) ..

(٤) تفسير القرآن الحكيم: محمد رشيد رضا، (١١٨/٤).

(٥) السنن الإلهية وتفسير القرآن الكريم في العصر الحديث: عمر حيدوسي، ص، (٢٥٤) ..

(٦) هو: الإمام زين الدين محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، الطوسي، الفقيه الشافعي، حجة الإسلام، إمام الفقهاء على الإطلاق، ورياني الأمة بالاتفاق، ومجتهد زمانه، وعين أوانه، مولده ووفاته في الطابران (ت: ٥٠٥ هـ)، (قصة طوس بخراسان)، كان شديد الذكاء والفتنة وناظر العلماء والأئمة في مجالسه حتى أصبح أنظر أهل زمانه وواحد أقرانه، كان يقول عن نفسه، طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله، له عدة مصنفات أشهرها، (إحياء علوم الدين، وياقوت التأويل في تفسير القرآن، وغيرها، ينظر: المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور: لأبي إسحاق تقي الدين، تحقيق: خالد حيدر، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ، (١٦١/٧٦)، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: لأبي عبد الله شمس الدين الذهبي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ط: الأولى، ٢٠٠٣ م (١١/٦٢)، وطبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الثانية، ١٤١٣هـ، (١٩١/٦).

(٧) كيف نتعامل مع القرآن الكريم: محمد الغزالي، الناشر: دار نهضة مصر، ط: الأولى، ص، (٥٠).

بالسنن الكونية لما في هذا المصطلح من عموم وشمول من جهة، ودقة وصرامة من جهة أخرى<sup>(١)</sup>، إذ لا يصح اختيار مصطلح "السنن الكونية" مع القصد بالاقتران على السنن البشرية وإخراج كل ما يتعلق بسنن الطبيعة منه مع أن المصطلح هو معناه الأصل، فيكون هذا الاصطلاح غير مبرر، فلا هو عام شامل كما ذكر، ولا هو متصف بمعاني الدقة والصرامة، فجميع سنن الله تعالى دقيقة صارمة، سواء أكانت سنن كونية أم إنسانية<sup>(٢)</sup>.

كما يطلق على هذه السنة أيضاً سنن النفس والمجتمع، أو سنن التاريخ والاجتماع؛ كونها تشمل على مجالات عدة، مثل "مجالات النفس الانسانية والمجتمعات مثل قوانين الاجتماع والسياسة والاقتصاد والنفس وغيرها من العلوم الانسانية"<sup>(٣)</sup>.

ومن أنواع هذه السنن أيضاً ما ذكره الدكتور. عبد الكريم زيدان في أحد كتبه، حيث تطرق إلى بيان أنواع السنن فقال: أن السنن نوعان، سنن تخضع لها جميع الكائنات الحية في وجودها المادي وجميع الحوادث المادية، ويخضع لها كيان الإنسان المادي وما يطرأ عليه مثل: نموه وحركة أعضائه ومرضه وهرمه ولوازم بقاءه حياً وغير ذلك، وهذه السنة مباحة للجميع ويمكن الحصول عليها من قبل المسلم والكافر، ولا يختص المسلمون منها بشيء باعتبارهم مسلمين، اللهم إلا في القصد من تعلمه وفي أوجه الانتفاع منها، وسنن تتعلق بتصرفات وافعال وسلوك البشر وما يترتب على ذلك من نتائج<sup>(٤)</sup>.

يرى الباحث مما سبق أن ما ذكره ممن سبقه بالبحث في هذا المجال بذكرهم لاسم من أسماء السنن، كمن فضّل التسمية بالسنن الربانية باعتبارها نوع من أنواع السنن الإلهية المتعلقة بالإنسان والمجتمع، ومن فضّلها أيضاً بالسنن الإلهية لكنه بيّن في تعريفه لها

---

(١) مقالات الشيخ محمد الغزالي، (٣/٢٦، ٤/٢٦٥).

(٢) ينظر: السنن الإلهية وتفسير القرآن الكريم في العصر الحديث: عمر حيدوسي، ص (٢٥٤).

(٣) ينظر: المصدر السابق، ص ٢٦٢.

(٤) ينظر: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية: د/ عبد الكريم زيدان، الناشر: مؤسسة

الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط: الأولى، ١٤١٣ هـ، ص (٧ - ١٢).

بشموليتها للسنن الكونية والاجتماعية، وبين من اقترح تسميتها بالسنن الكونية وشرع بالحديث عن السنن الاجتماعية، وما نراه أيضاً هو عدم اتفاق هؤلاء وغيرهم من أهل التفسير على أن للسنن أنواعاً معينة، ولكن الباحث يميل إلى قول من قال بأن السنن نوعان: كونية وهي ما تتعلق بالنظام أو الظواهر الكونية المادية التي تفوق قدرت وتصرف البشر وحدودهم. والنوع الثاني ما تتعلق بالتصرفات البشرية ويرجع إلى أفعالهم وتصرفاتهم وما ينتج عنها، وهذا النوع هو ما سنتناوله في هذا البحث؛ وذلك لأن ما جاء في تقسيم السنن عند بعض الباحثين هو داخل ضمن هذين النوعين.

### المبحث الثالث

#### مفهوم السنن الربانية التي تحكم سلوك البشر

المقصود بالسنن الربانية التي هي مجال البحث: هي السنن التي تتعلق بتصرفات البشرية وسلوكهم في الحياة الدنيا، باعتبارهم أفراداً وأماً وجماعات، والمقصود بخضوعهم لها أي: خضوع تصرفاتهم وأفعالهم وسلوكهم في الحياة وما يكونون عليه من أحوال وما يترتب على ذلك من نتائج كالرفاهية أو الضيق في العيش، والسعادة والشقاء والعز والذل والرقى والتأخر والقوة والضعف ونحو ذلك من الأمور الاجتماعية في الدنيا وما يصيبهم في الآخرة من عذاب أو نعيم وفقاً لأحكام هذه السنن الكونية<sup>(١)</sup>، وهذا هو موضوع بحثنا.

فما دامت هذه السنة هي التي تحكم أفعال البشر وسلوكهم، فإنها تتسم بالثبات والاطراد والعموم، فهي ثابتة لا تتغير قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>،

وتعد هذه السنة مطردة لا تتخلف، ومما يدل على اطرادها هو أن الله تعالى قصّ علينا قصص الأمم السابقة وما حلّ بها من صنوف العذاب، لكي نتعظ ونعتبر ولا نفعل فعلهم لنلا يصيبنا ما أصابهم، ولولا اطرادها لما أمكن الاتعاظ والاعتبار بها، كما تتصف سنة الله بالعموم أي: أنها عامة يسري حكمها على الجميع دون محاباة ولا تمييز، قال تعالى: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾<sup>(٤)</sup>، أشار بعض أهل التفسير إلى معنى ذلك بقوله: "ليس كفاركم خيراً من كفار من تقدم من الأمم الذين أهلكوا بكفرهم"<sup>(٥)</sup>. فهذا دليل على أن سنة الله تعالى ثابتة ومطرودة وعامة وغير مقتصرة على فرد دون فرد أو على قوم دون

(١) ينظر: السنن الإلهية: د/ عبد الكريم زيدان، ص، (١٢٠).

(٢) سورة الأحزاب: الآية (٦٢).

(٣) سورة فاطر: الآية (٤٣).

(٤) سورة القمر: الآية (٤٣).

(٥) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (١٧/١٤٥).



قوم، أو على أمة دون أمة ولولا ثبات واطراد وعموم هذه السنة لما كان معنى في ذكر قصص وأخبار الأمم السابقة وطلب الاعتبار بما حل بهم، ولكن لما تبين ما جرى لهم وعليهم يجري على غيرهم إذا فعلوا فعلهم، حُسن ذكر قصصهم وطلب الاعتبار والاتعاظ بها<sup>(١)</sup>.

وتوضيحاً لذلك فإن السنن الربانية بمفهومها العام، أي سننه تعالى الجارية وطريقته المتبعة في معاملته لعباده ومجازاته لهم بالعدل، والتي يمكن أن يطلق على هذه السنن بالقانون الإلهي الرباني، الذي لا يمكن أن يتغير ولا يتبدل ولا يتحول بتغير الأمم والأزمان والأحوال وتبدلها وتحولها، وذلك لأن ثباتها صادر ونابع من عدل الله تعالى حسب ترتيب الجزء من جنس العمل، ولكون السنن الانسانية تدرج تحت مظلة السنن الربانية، التي سيتمحور عليها البحث، ولكونها أيضاً تتعلق بالحياة الانسانية بجميع مستوياتها، سواء على الأفراد والأسر، أم على الجماعات والمجتمعات، أم على الأمم والحضارات.

---

(١) ينظر: السنن الإلهية: د/ عبد الكريم زيدان، ص، (١٥).

## **الفصل الثاني**

### **السنن الربانية المتعلقة بالسلوك السليم والأعمال الصالحة وفيه مبحثان.**

**المبحث الأول:** المتعلقة بالسلوك السليم.

**المبحث الثاني:** المتعلقة بالأعمال الصالحة.

## **المبحث الأول**

**السنن الربانية المتعلقة بالسلوك السليم.**

وفيه ثلاثة مطالب

**المطلب الأول: الهداية.**

**المطلب الثاني: الإيمان.**

**المطلب الثالث: التقوى.**

## المطلب الأول

### السنن الربانية المتعلقة بالهداية

إن نعمة الهداية من أعظم نعم الله تعالى على العبد بعد النعمة التي أنعم بها على جميع بني البشر المذكورة في قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ لِيَخْلُقَ اللَّهُ ذَلِكَ أَلَيْسَ أَلَدِيئُ الْقِيَمِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، والمراد به دين الإسلام؛ لأن الله خلق الخلق عليه، إذ هو الذي تقتضيه عقولهم السليمة، وإنما كفر من كفر لعارض أخرجه عن أصل فطرته، فالله تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وهذه عين الهداية، وأنه تعالى ساوى بين جميع خلقه في الفطرة على الجبل المستقيمة. ويؤكد ذلك ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن جزى رحمه الله: ومعنى لا تبديل لخلق الله، أي: لا تبديل لخلق الله بالفطرة التي خلق الناس عليها من الإيمان، ومعنى أن الله لا يبدلها، أي لا يخلق الناس على غيرها، فالنفي على هذا حكم لا خبر، ولكن يبدلها شياطين الإنس والجن بعد الخلقة الأولى<sup>(٣)</sup>. كما تعتبر الفطرة هي السنة الربانية الثابتة التي تقوم عليها الخليقة في أصلها<sup>(٤)</sup>. وقبل الشروع في بيان علامات الهداية حريٌّ بالباحث أن يعرف الهداية لغة واصطلاحاً

---

(١) سورة الروم: الآية (٣٠).

(٢) صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (٢٥٦هـ) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة ط: الأولى، ١٤٢٢هـ، ح، رقم (١٣٨٥) (٩٤/٢)، باب، إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، وأخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (٢٦٥٨) (٢٠٤٧/٤)، باب فضل تمر المدينة.

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: لأبن جزى الكلبي، (١٣٣/٢)، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٢٨٢/٦).

(٤) أسرار ترتيب القرآن: لأبي بكر، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ) الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، (د، ت، ط)، ص، (٢٣).

## الهداية في اللغة:

هَدَى: الهاء والdal والحرف المعتل: أصلان، الأصل الأول: بمعنى الإرشاد، نحو قوله: هديته الطريق هدايةً، أي: تقدمته لأرشده، والهدى خلاف الضلال، والهداية العصا والأصل الثاني، الهدية، وهي ما أهديت من لطف إلى ذي مودةٍ، والمِهْدَى: الطبقُ تُهْدَى عليه، والهدْيُ: العروسُ. والهدْيُ: هو ما أُهْدِيَ من النعم إلى الحرمِ قربةً لله<sup>(١)</sup>.

وَالْهُدَى: بضم الهاء وفتح الدال: ضدُّ الضلال وهو الرشادُ والدلالة، والهداية: بكسر الهاء، الدلالة على الخير في الدنيا والآخرة، وقد هداهُ الله للدين هُدًى وهُدًىً وَهْدَاً وَهْدَاً وَهْدِيَةً، أي: ارشده<sup>(٢)</sup>.

مادة (ه د ي): هَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ أَهْدِيهِ هِدَايَةً، فَيُقَالُ هَدَيْتُهُ إِلَى الطَّرِيقِ وَلِلطَّرِيقِ، وَهَدَاهُ اللَّهُ إِلَى الْإِيمَانِ هُدًى، وَالْهُدَى الْبَيَانُ، وَاهْتَدَى إِلَى الطَّرِيقِ، وَهَدَيْتُ الْعُرُوسَ إِلَى بَعْلِهَا هِدَاءً فَهِيَ هَدِيٌّ وَهْدِيَّةٌ، فَيُقَالُ هُدَيْتُ فَهِيَ مَهْدِيَّةٌ وَأَهْدَيْتُهَا فَهِيَ مُهْدَاةٌ<sup>(٣)</sup>.

## والهداية في الاصطلاح:

هي الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب، وقد يقال: هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب<sup>(٤)</sup>، أو الدلالة على طريق من شأنه الإيصال، سواء أحصل الوصول بالفعل في

---

(١) معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (٤٢/٦، ٤٣) باب (هدي).

(٢) لسان العرب، لابن منظور، (٣٥٣/١٥، ٣٥٤)، ومعجم لغة الفقهاء: لمحمد رواس قلججي - حامد صادق قنيبي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م، ص، (٤٩٣).

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي، (ت: نحو ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، (د، ت، ط) (٦٣٦/٢).

(٤) التعريفات: لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص، (٢٥٦).

وقت الاهتداء أم لم يحصل، وإنما المطلوب هو حصول نور الهداية في القلب<sup>(١)</sup>، فما دامت الهداية بياناً ودلالة فإن التفسير في حد ذاته عملية هداية، فإن الواقع الأصيل لتفسير القرآن هو بيان هداية الله تعالى في جميع مجالات الحياة الانسانية<sup>(٢)</sup>.

ومن أسماء الله تعالى "الهادي"، وهو الذي بصر عباده وعرفهم طريق معرفته حتى أقرؤا بربوبيته، وهدى كل مخلوق إلى ما لا بد له منه في بقائه ودوام وجوده<sup>(٣)</sup>.

ولما كان التوسل إلى الله تعالى مشروعاً، بل من اقرب القربات التوسل إليه بأسمائه الحسنی وصفاته الفضلى، فإن النبي ﷺ كان يتوسل إلى الله تعالى سائلاً منه الهداية، روي عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سألت عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها-، بأي شيء كان النبي ﷺ يفتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»<sup>(٤)</sup>.

لقد منح الله الانسان من الهداية ما يتوصل بها إلى سعادة الدارين وهذه الهداية - حسب تقسيم بعض العلماء لها - تأتي على أربعة أنواع<sup>(٥)</sup>.

الأولى: هداية الوجدان الطبيعي والإلهام الفطري، كهداية الطفل لرضاع الثدي، والطيور إلى أوكارها، والانعام إلى مراتعها.

---

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القديمي، (ت: ١٠٩٤هـ):

تحقيق: عدنان درويش و محمد المصري، الناشر: الرسالة - بيروت، ص١ (٩٥٢)، ومفاتيح الغيب: للرازي، (١/١٥٧).

(٢) السنن الإلهية وتفسير القرآن الكريم في العصر الحديث: عمر حيدوسي، ص١ (٣٦٧).

(٣) لسان العرب: لابن منظور، (١٥/٣٥٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، ح رقم (٧٧٠) (١/٥٣٤)، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

(٥) ينظر: تفسير القرآن الحكيم: رشيد رضا، (١/٥٢، ٥٣).

الثانية: هداية الحواس والمشاعر، وتشمل الانسان والحيوان، ويكون الحيوان فيها أكمل من الانسان؛ كون حواس الحيوان وإلهامه يكملان بعد ولادته بقليل، بخلاف الانسان الذي لا يكمل ذلك فيه إلا بالتدرج وفي زمن غير قصير.

الثالثة: العقل الذي يصحح غلط الحواس والمشاعر ويبين أسبابها، كتصحيح من يرى الكبير البعيد صغيراً، والعود المستقيم في الماء معوج، فالعقل هو الذي يحكم بفساد مثل هذا الإدراك، فهداية العقل للإنسان هي أرفع من هداية الحواس والإلهام.

الرابعة: الدين، وهو الذي لا فائدة في الهدايات السابقة بدونه؛ لأنه المرشد في ظلمات الأهواء، فما منح إنسان هداية أعلى وأعظم من هداية الدين، فالهدايات السابقة لا قيمة لهن إن لم تُتَوَجَّهْنَ هداية الدين.

ونذكر الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات في غريب القرآن أربعة أنواع أخرى للهداية، مستدلاً لكل نوع منها، يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٥٢)، وهي الهداية التي عمّ بجنسها كل مكلف من العقل، والهداية التي للناس بدعائه إياهم على السنة الأنبياء وإنزال القرآن ونحو ذلك، والتوفيق الذي يختص به من اهتدى، والهداية في الآخرة إلى الجنة (٥٢) يقول تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦).

(٣) ﴿٥٦﴾

(١) سورة الشورى: الآية (٥٢).

(٢) المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني، (١/٨٣٥، ٨٣٦).

(٣) سورة القصص: آية (٥٦).

ثم ذكر بعد ذكره هذه الأنواع: "وهذه الهدايات الأربع مترتبة، فإن من لم تحصل له الأولى لا تحصل له الثانية بل لا يصح تكليفه، ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة، ومن حصل له الرابع فقد حصل له الثلاث التي قبلها، ومن حصل له الثالث فقد حصل له اللذان قبله ثم ينعكس، فقد تحصل الأولى ولا يحصل له الثاني ولا يحصل الثالث، والإنسان لا يقدر أن يهدي أحدا إلا بالدعاء وتعريف الطرق دون سائر أنواع الهدايات"<sup>(١)</sup>.

وخص الله تعالى النوع الإنساني بأنواع أخرى من الهداية التي يعرفها ويتمكن من النطق بها لهداية غيره، ومن أعلى أنواع هذا الهدى هدى البيان والدلالة وتعريف الإنسان ومعرفته مراده ومراد غيره<sup>(٢)</sup>.

كما أشار القرآن الكريم في آيات كثيرة إلى أنواع الهداية التي وهبها للإنسان، منها قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾<sup>(٣)</sup>، أي: أن الله تعالى أودع في الإنسان - كما يقول سيد قطب - "خصائص القدرة على إدراك الخير والشر، والهدى والضلال، والحق والباطل، ليختار أيهما شاء، ففي طبيعته هذا الاستعداد المزدوج لسلوك أي النجدين، والنجد الطريق المرتفع، وقد اقتضت مشيئة الله أن تمنحه القدرة على سلوك أيهما شاء، وأن تخلقه بهذا الازدواج طبقا لحكمة الله في الخلق، وإعطاء كل شيء خلقه، وتيسيره لوظيفته في هذا الوجود"<sup>(٤)</sup>.

وقال صاحب تفسير القرآن الحكيم: "ولما كان الإنسان عرضة للخطأ والضلال في فهم الدين وفي استعمال الحواس والعقل، كان محتاجا إلى المعونة الخاصة، فأمرنا الله بطلبها منه في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾<sup>(٥)</sup>، ومعنى الآية: دلنا دلالة تصحبها معونة غيبية

---

(١) المصدر السابق، ص، (٨٣٦).

(٢) ينظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتزلة: لأبن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ) تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ، (٢/٧٧٥).

(٣) سورة البلد: الآية (١٠).

(٤) في ظلال القرآن: لسيد قطب، (٦/٣٩١٠، ٣٩١١).

(٥) سورة الفاتحة: الآية (٦).



من لدنك تحفظنا بها من الضلال والخطأ، وما كان هذا أول دعاء علمنا الله إياه، إلا لأن حاجتنا إليه أشد من حاجتنا إلى كل شيء سواه<sup>(١)</sup>.

وهداية الله التي جعلها لجميع عباده هي هداية دلالة، أي: أن الله تعالى بين لهم ودلهم على طريق الخير فمن شاء اتباع طريق الخير اتبعه، ومن لم يشأ تركه الله لما يريد، وتسمى هداية الدلالة بالهداية العامة التي هي أساس البلاغ من الله تعالى. حيث وقد بين الله تعالى لنا في منهجه ما يجب فعله ليرضى عنا، وترك ما يجب تركه حتى لا يسخط علينا، وليس كل من تبين له طريق الهداية اهتدى لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاصِقَةٌ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فهؤلاء لم يسلكوا طريق الهداية بالاختيار الذي أعطاه الله لهم، بل فضّلوا التخبط والعمى على الهدى، وأما الذين اتبعوا طريق الهداية اعانهم الله وزادهم هدى، وحبب إلي قلوبهم الإيمان والتقوى، لقوله: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ وَقَوْهُمْ<sup>(٣)</sup>﴾، ومن جاءه الهدى ولم يتبعه وخالف شرع الله وابتعد عنه تركه الله وتخلّى عنه<sup>(٤)</sup> وقال تعالى عنه: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ<sup>(٥)</sup>﴾، ومعنى الآية - كما صاحب تفسير مفاتيح الغيب، أنه من يتعمى عن شرع الله تعالى وهو يعلم أنه الحق ويتجاهله جعلنا له قريناً من الشياطين ليصده عن اتباع الحق والهدى<sup>(٦)</sup>. وللهداية الإلهية علامات وآثار تتحقق للإنسان إذا التزم بكل ما يوافق سنة الله تعالى فمن هذه العلامات ما يلي:

---

(١) تفسير القرآن الحكيم: رشيد رضا، (١/٥٤).

(٢) سورة فصلت: الآية (١٧).

(٣) سورة محمد: الآية (١٧).

(٤) ينظر: تفسير الشعراوي، (١/٨٤ - ٨٦).

(٥) سورة الزخرف: الآية (٣٦).

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي، (٢٧/٦٣٢).

١- انشراح الصدر واطمئنان القلب، يقول تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١)، ومعنى الآية: أن العبد إذا حصلت له مصيبة سواء في نفس أو مال أو قول أو فعل، وقد نال من الله الهداية فإنه يقابل تلك المصائب بسعة بال وانشراح قلب؛ كونه يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، ومن كان يؤمن بالله يهد الله قلبه للشكر حال النعمة والرخاء، ويهد قلبه للرضا والصبر حال الشدة والبلاء وإلى الغفران إذا ظلم، ويؤمن بأن كل شيء بإرادة الله وقضائه (٢).

٢- الإحساس بالأمن الرافع لكل خوف وحزن، يقول تعالى: ﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣)، وردت عدة معانٍ لجملة من اتبع هدى الله تعالى بعدم الخوف والحزن، فقيل: إنه لا خوف عليهم فيما يستقبلون من العذاب ولا يحزنون عند الموت، أو لا يتوقعون مكروها في المستقبل، ولا هم يحزنون لفوات المرغوب في الماضي والحال، أو أنه لا خوف عليهم فيما يستقبلهم، ولا هم يحزنون فيما خلفه، أو لا خوف عليهم فيما بين أيديهم من الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا، أو لا خوف عليهم من عقاب، ولا هم يحزنون على فوات ثواب، أو أن الخوف استشعار غم لفقد مطلوب، والحزن استشعار غم لفوات محبوب، أو لا خوف عليهم فيما بين أيديهم من الدنيا، ولا هم يحزنون على ما فاتهم منها، أو لا خوف عليهم يوم القيامة، ولا هم يحزنون

(١) سورة التباين: الآية (١١).

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري، (٤٢١/٢٣)، والكشف والبيان عن تفسير القرآن: للثعلبي، (٣٢٩/٩)، والهداية إلى بلوغ النهاية: لأبي محمد بن مختار القيسي، (٧٥٠٧/١٢ - ٧٥٠٩)، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن: للبغوي، (١٠٤/٥)، والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (١٣٩/١٨).

(٣) سورة البقرة: الآية (٣٨).

فيها، أو أنه أشار إلى أنه يدخلهم الجنة التي هي دار السرور والأمن، لا خوف عليهم فيها ولا حزن، أو لا خوف عليهم أمامهم، فليس شيء أعظم في صدر الذي يموت مما بعد الموت، فأمنهم الله منه، ثم سلاهم عن الدنيا، ولا هم يحزنون على ما خلفوه بعد وفاتهم في الدنيا، أو لا خوف حين أطبقت النار، ولا حزن حين ذبح الموت في صورة كبش على الصراط، فقل لأهل الجنة والنار: خلود لا موت، أو لا خوف ولا حزن على الدوام<sup>(١)</sup>.

وجميع هذه الأقوال متقاربة، ويتبين من ظاهر الآية عموم نفي الخوف والحزن في الدار الآخرة لمن اتبع هدى الله تعالى، أما في الحياة الدنيا فقد يُصاب من اتبع هدى الله بخوف أو حزن وما شابه ذلك.

٣- من أعظم علامات الهداية الوعي بسنن الله تعالى وحسن إدراكها والتعامل معها، يقول تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وقد سبق بيان هذه السُنَّة سابقاً مما أغنى عن إعادته هنا<sup>(٣)</sup>.

٤- ما نال عبد الهداية إلا زاده الله هدىً، وهذا من كرم الله وفضله للعبد؛ لأن الهداية لم تأت إلا لمن علم الله صدق نيته في طلبها، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآثَرَهُمْ نَقْوَاهُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، ومعنى الآية: أن الذين قصدوا الهداية وفقهم الله لها وثبتهم عليها وزادهم الله على ما هم عليه من الهدى هدىً بالتوفيق وشرح الصدور حتى بلغوا وارتقوا من درجة المهتدين إلى درجة الهادين.

والمقصود بزيادة الهدى الوارد في الآية كما ذكر ذلك غير واحد من المفسرين أنه: إما زادهم الله علماً، أو أنهم علموا ما سمعوا من قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ

---

(١) ينظر: والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (١/٣٢٩)، والبحر المحيط في التفسير: لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي

بن حيان أثير الدين، (ت: ٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ، (١/٢٧٥).

(٢) سورة النساء: الآية (٢٦).

(٣) الرسالة نفسها، ص، (٦).

(٤) سورة محمد: الآية (١٧).

عِنْدَكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنِفًا ؕ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾<sup>(١)</sup>، ثم علموا بما علموا، أو أنه تعالى زادهم بصيرة في دينهم وتصديقاً لنبيهم، أو شرح صدورهم بما هم عليه من الإيمان<sup>(٢)</sup>.

٥- ضمانه من الله تعالى بعدم الضلالة والشقاوة لمن كان للهدى متبعاً، يقول الله تعالى: ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ ﴿١٣﴾<sup>(٣)</sup>، ومعنى الآية: أن الله تعالى لما أنزل آدم وحواء وإبليس إلى الأرض بعد أن نهى آدم وحواء عن الأكل من الشجرة، جعل كلا منهما عدواً للآخر، ثم قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾، فالخطاب هنا لآدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وذلك باعتباره أصل لنوع الانسان، وفيه إحياء من الله تعالى لآدم بأنه سيكون منه جماعة، ولا يشمل هذا الخطاب إبليس؛ لأنه مفطور على الشر والضلال وقد أنبأه الله بذلك عندما رفض السجود لآدم عليه السلام، وأما المراد بالهدى، فقول: إنه الرسل، أو الرسل والأدلة، أو القرآن، وأما قوله تعالى: ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾، فهذا دليل على أن المراد بالهدى الذي ضمن الله على اتباعه هو اتباع الأدلة، ولا يكتمل اتباع تلك الأدلة إلا بالاستدلال والعمل بها معاً، ومن كان هذا حاله فقد ضمن الله له بأن لا يضل ولا يشقى، أي: لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، أو لا يضل ولا يشقى في الآخرة؛ لأن الله تعالى هداه إلى الجنة ومكنه فيها، أو لا يضل ولا يشقى في الدنيا<sup>(٤)</sup>.

لو قال قائل: هل تحصل الشقاوة في الدنيا لمن اتبع هدى الله؟ لكان الجواب بعدم حصولها؛ لأن المراد هو ألا يضل في الدين ولا يشقى بسبب الدين.

(١) سورة محمد: الآية (١٦).

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري، (١٧٠/٢٢)، ومفاتيح الغيب: للرازي، (٥٠/٢٨، ٥١)، والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (٢٣٩/١٦)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: للنسفي، (٣٢٦/٣)، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٢٩١/٧)، غرائب القرآن ورجائب الفرقان: للنيسابوري، (١٣٢/٦)، وظلال القرآن: سيد قطب، (٣٢٩٤/٦).

(٣) سورة طه: الآية (١٣٢).

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي، (١١٠/٢٢)، والتحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور، (٣٢٩/١٦).

ومن جانب آخر قد تحصل الشقاوة في الدنيا لكنها لا تمت إلى الدين بصلة. "﴿فَمَنْ أَتَّبَعْ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٣٣) ﴿١﴾.. فهو في أمان من الضلال والشقاء باتباع هدى الله، وهما ينتظران خارج عتبات الجنة، ولكن الله يقي منهما من اتبع هداه، والشقاء ثمرة الضلال ولو كان صاحبه غارقا في المتاع، فهذا المتاع ذاته شقوة، شقوة في الدنيا وشقوة في الآخرة، وما من متاع حرام، إلا وله غصة تعقبه وعقابيل تتبعه، وما يضل الإنسان عن هدى الله إلا ويتخبط في القلق والحيرة والتكفؤ والاندفاع من طرف إلى طرف لا يستقر ولا يتوازن في خطاه، ومن اتبع هدى الله فهو في نجوة من الضلال والشقاء في الأرض، وفي ذلك عوض عن الفردوس المفقود، حتى يؤوب إليه في اليوم الموعود" (٢).

يتضح مما سبق أن المعنى الاصطلاحي للهداية لا يخرج عن المعنى اللغوي، وسنة الله تعالى في من اتبع الهدى سنة لا تحابي ولا تجامل أحداً، فمن سلك طريق الرشاد والدلالة لاذ بالوصول إلى المطلوب، وإن لم يحصل المطلوب كفاه حصول الهداية في قلبه، وأعظم هداية منحها الله للإنسان هي هداية الدين؛ لأنها تُعد المنجية من الضلال في الدنيا ومن الشقاء في الآخرة، وبها يطمئن القلب وينشرح الصدر ويشعر بالأمان، فسنة الله تعالى في الهداية لن ينالها من لم يشرع في طلبها وعمل ما يجب في تحصيلها، فهي تجري هكذا على جميع خلقه.

## المطلب الثاني

### السنن الربانية المتعلقة بالإيمان

(١) سورة طه: الآية (١٣٢).

(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب، (٢٣٥٥/٤).

سنة الإيمان هي الشجرة التي غرسها الله في قلوب عباده الأخيار، وسقاها وغذاها بالعلوم النافعة، والمعارف الصادقة، وجعلها تؤتي أكلها وبركتها كل حين من الخيرات والنعم الغزار، فيعتبر الإيمان من أهم علوم الدين، وأعظم أصول الحق واليقين، يقول تعالى: ﴿لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾<sup>(١)</sup>، فمثل الله تعالى كلمة الإيمان التي هي أطيب الكلمات بشجرة هي الاشجار، فوصفها بهذه الأوصاف الحميدة، أصولها ثابتة مستقرة، ونماؤها مستمر، وثمراتها لا تزال، كل وقت وكل حين، تغل على أهلها وعلى غيرهم المنافع المتنوعة، والثمرات النافعة. وزاد صاحب التوضيح والبيان من هذا التشبيه، حيث وصف شجرة الإيمان بقوله: وهذه الشجرة متنوعة في قلوب المؤمنين ومتفاوتة تفاوتاً عظيماً، وذلك بحسب تفاوت الأوصاف التي وصفها الله بها، فعلى العبد أن يسعى لمعرفة أوصافها وأسبابها، وأصولها وفروعها، ويجتهد في التحقق بها علماً وعملاً؛ لأن نصيبه من الخير والفلاح، والسعادة العاجلة والآجلة مرهون بنصيبه من هذه الشجرة<sup>(٢)</sup>.

### الإيمان في اللغة:

الإِيمَانُ: مصدر: آمَنَ يُؤْمِنُ إِيْمَانًا، فَهُوَ مُؤْمِنٌ.

وَاتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنَ اللُّغَوِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ عَلَى أَنَّ (الإِيمَان) مَعْنَاهُ: التَّصَدِيقُ، الْمَحْضُ

وَالْتَهْذِيبُ<sup>(٣)</sup>، يقول تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴿١٤﴾﴾<sup>(١)</sup>، فمن

آمن بلسانه ولم يتبع القول العمل، فهذا ليس صادقاً في إيمانه، ولم يدخل الإيمان إلى قلبه،

(١) سورة إبراهيم: الآية (٢٤، ٢٥).

(٢) ينظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان: لأبي عبد الله عبد الرحمن آل سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) (د، ت، ط)، (٣٧-٣٩).

(٣) تهذيب اللغة: للأزهري، ٣٦٨/١٥، ولسان العرب: لابن منظور، (٢٣/١٣)، والتعريفات: للرجاني، ص، (٤٠)،

والمعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وآخرون، (٢٨/١)، والتعريفات الفقهية: للبركتي، ص، (٤٠)، والمفردات

فالانتماء أولاً إلى الإسلام، ثم التحقق بالإيمان؛ لأن الإيمان يتبع الإسلام وليس العكس، وهذا الأمر جليّ وواضح من خلال معنى الآية.

كما يتبين أن الأصل في الإيمان "الدخول في صدق الأمانة التي ائتمنه الله عليها، فإذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدّق بلسانه، فقد أدى الأمانة وهو مؤمن، ومن لم يعتقد التصديق بقلبه فهو غير مؤد للأمانة التي ائتمنه الله عليها وهو منافق"<sup>(٢)</sup>.

ولم يقتصر بعض أهل اللغة في تفسيرهم للإيمان على التصديق فقط، بل فسر الإيمان بأنه يتضمن عمل القلب أيضاً.

"وحدّ الزجاج<sup>(٣)</sup> الإيمان فقال: الإيمان إظهار الخضوع والقبول للشيعة ولما أتى به النبي ﷺ واعتقاده وتصديقه بالقلب"<sup>(٤)</sup>، وقيل أن الإيمان: "الثقة، وإظهار الخضوع، وقبول الشريعة"<sup>(٥)</sup>.

---

في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني، (٩٢/١)، وشرح العقيدة الأصفهانية: لأبي العباس تقي الدين عبد الحليم ابن تيمية، (ت: ٧٢٨هـ) ت: محمد بن رياض، الناشر: المكتبة العصرية - بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ، ص، (١٩٦).

(١) سورة الحجرات: الآية (١٤).

(٢) تهذيب اللغة: للأزهري، (٣٦٩/١٥)، وتاج العروس: لأبي الفيض، (١٨٧/٣٤).

(٣) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهيل الزجاج، من كبار النحاة، توفي ببغداد وقد أناف على الثمانين (ت: ٣١٦هـ)، له مؤلفات منها، كتاب (معاني القرآن وشرح إعرابه، والاشتقاق) وغيرهما، ينظر: طبقات النحويين واللغويين (سلسلة ذخائر العرب ٥٠): لأبي بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، (ت: ٣٧٩هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الثانية، الناشر: دار المعارف، (٣٨/١١١)، تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم: لأبي المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي (ت: ٤٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص (٣٨، ٣٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه: لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، (ت: ٣١١هـ) تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م (٣٨/٥).

(٥) القاموس المحيط: لأبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان

ط: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، (١١٧٦/١)، وتاج العروس: لأبي الفيض، (١٨٧/٣٤).

ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار، لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق وعمل القلب الذي هو الانقياد.

### الإيمان في الاصطلاح:

الإيمان: هو الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح<sup>(١)</sup>، ويُسمى القول والعمل تصديقاً<sup>(٢)</sup>، لما وري عن ابن عباس، قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم، مما قال أبو هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب على ابن آدم حظاً من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»<sup>(٣)</sup>، وقيل إن الإيمان هو: التصديق المستلزم للقبول والإذعان، وليس مجرد التصديق إيماناً، فلو كان مجرد التصديق إيماناً لكان أبو طالب مؤمناً؛ لأنه كان يقر بأن محمد ﷺ صادق، فكان أبو طالب يقول: (لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يُعنى بقول الأباطل) ولذلك لم يقبل أبو طالب بما جاء به النبي ﷺ، ولم يُدعن له، ومع كل ذلك لم يكن مؤمناً<sup>(٤)</sup>.

وقيل: أن الإيمان عبارة عن التصديق بجميع ما قاله الله تعالى ورسوله، فيما علم تفصيلاً، وإجمالاً فيما لم يعلم<sup>(٥)</sup>.

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية: لأبن تيمية، ص (١٩٦)، وزاد المسير في علم التفسير: لأبي الفرج الجوزي، (٢٨/١)، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (١/٧٦)، ولباب التأويل في معاني التنزيل: للخان، (١/٢٤)، وكتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: نخبة من العلماء، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢١هـ، ص (٢٥٧)، ومعجم لغة الفقهاء: محمد قلعجي، وحامد قنيبي، ص (٩٩)، والتعريفات الفقهية: للبركتي، ص (٤٠)،

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية: لأبن تيمية، ص (١٩٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح رقم (٦٦١٢) (٨/١٢٥)، باب قوله تعالى: ﴿وَكَرَّمْ عَلَى قَرَبَةٍ أَهْلَكَنَهَا أَتَهُمُ لَا يَرْجُمُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٥)، وأخرجه مسلم في (صحيحه)، ح رقم (٢٦٥٧) (٤/٢٠٤٦)، قال عبد في روايته: ابن طاوس، عن أبيه، سمعت ابن عباس، باب قدر على ابن آدم حظاً من الزنا وغيره،

(٤) ينظر: تفسير الفاتحة والبقرة: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، (ت: ١٤٢١هـ) الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ، (٣/٣٠).

(٥) غرائب القرآن ورجائب الفرقان: لنظام الدين النيسابوري، (٥/٣٧٠).



ويقول ابن القيم رحمه الله: "وها هنا أصل آخر: وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب وهو الاعتقاد وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام، والعمل قسمان: عمل القلب وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح"<sup>(١)</sup>.

وذكر ابن تيمية عن الإمام الشافعي رحمه الله قوله: "وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر"<sup>(٢)</sup>.

وما أجمع عليه سلف الأمة: "أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، أو هو: قول وعمل، قول القلب وهو: اعتقاده، وقول اللسان: وهو إقراره، وعمل: وهو عمل القلب، وعمل الجوارح، فالإيمان يشمل كل هذه الجوانب"<sup>(٣)</sup>.

فالإقرار والاعتراف بما لله تعالى من الأسماء الحسنى، والصفات الفضلى، والأفعال الناشئة عن أسمائه وصفاته، والاعتراف بما لله تعالى من الحقوق الخاصة وهو التأله والتعبد لله ظاهراً وباطناً، والاعتراف بما أخبر الله به عن ملائكته وجنوده، والموجودات السابقة واللاحقة، والإخبار باليوم الآخر، والإيمان بجميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وما وصفوا به في كتابه وسنة رسوله من الأوصاف الحميدة، والاعتراف بانفراد الله بالوحدانية والألوهية، وعبادة الله وحده لا شريك له، وإخلاص الدين لله، والقيام بشرائع الإسلام وحقائقه الظاهرة الباطنة. كل هذا من أعظم أصول الإيمان"<sup>(٤)</sup>.

وقول السلف: "يتضمن القول والعمل الباطن والظاهر، لكن لما كان بعض الناس قد لا يفهم دخول النية في ذلك؛ قال بعضهم: نية، ثم بين آخرون: أن مطلق القول والعمل والنية

---

(١) الصلاة وأحكام تاركها: لابن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ) الناشر: مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة (د، ت، ط)، ص، (٥٦).

(٢) مجموع الفتاوى: لابن تيمية، (٢٠٩/٧)، وأصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: محمد حسن عبد الغفار، (د، ت، ط) (٩/٣٩)، (٧/٤٥)، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: عبد الرحمن بن ناصر بن إبراهيم البراك، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، الناشر: دار التدمرية، ط: الثانية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م، ص، (٢٢٧).

(٤) انظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان: للسعدي، ص، (٣٤).

لا يكون مقبولاً إلا بموافقة السنة، وهذا حق أيضاً، فإن أولئك قالوا: قول وعمل؛ لبيبنوا اشتماله على الجنس، ولم يكن مقصودهم ذكر صفات الأقوال والأعمال، وكذلك قول من قال: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان وعمل بالجوارح. جعل القول والعمل اسماً لما يظهر، فاحتاج أن يضم إلى ذلك اعتقاد القلب ولا بد أن يدخل في قوله: اعتقاد القلب أعمال القلب المقارنة لتصديقه مثل حب الله وخشية الله، والتوكل على الله ونحو ذلك، فإن دخول أعمال القلب في الإيمان أولى من دخول أعمال الجوارح باتفاق الطوائف كلها<sup>(١)</sup>.

ثم قالوا: "لا يقبل قول وعمل إلا بنية، وهذا ظاهر، فإن القول والعمل إذا لم يكن خالصاً لله لم يقبله الله تعالى، ثم قالوا: لا يقبل قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة، وهي الشريعة وهي ما أمر الله به ورسوله -ﷺ-؛ لأن القول والعمل والنية الذي لا يكون مسنوناً مشروعاً قد أمر الله به يكون بدعة، وكل بدعة ضلالة ليس مما يحبه الله فلا يقبله الله ولا يصلح مثل أعمال المشركين وأهل الكتاب"<sup>(٢)</sup>.

"ومن شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق، ومن شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق، ومن أخل بالشهادة فهو كافر، والإيمان على خمسة أوجه: إيمان مطبوع، وإيمان مقبول، وإيمان معصوم، وإيمان موقوف، وإيمان مردود، فالإيمان المطبوع هو إيمان الملائكة، والإيمان المعصوم هو إيمان الأنبياء، والإيمان المقبول هو إيمان المؤمنين، والإيمان الموقوف، هو إيمان المبتدعين، والإيمان المردود، هو إيمان المنافقين"<sup>(٣)</sup>.

فحقيقة الإيمان الذي نريد تبينه والتحقق به سواءً على مستوى الفرد أم الأسرة أم المجتمع أم الأمة، هو الإيمان الذي يكون في حقيقته عمل نفسي أي طامعاً في التحلي به، حتى يبلغ بهذه النفس أغوارها ويحيط بها من جميع جوانبها، من إدراك وإرادة ووجدان، فبالإدراك الذهني يكشف به حقائق الوجود وبالواقع التي هي عليه، ولا يتم انكشاف هذه الحقائق إلا عن طريق فهم كتاب الله المقروء والمنظور، وبلوغ هذا الإدراك العقلي حد الجزم الموقن واليقين الجازم

---

(١) مجموع الفتاوى: لأبن تيمية، (٥٠٦/٧).

(٢) الاستقامة: لأبن تيمية، (٣١٠/٢).

(٣) التعريفات: للرجاني، ص، (٤٠).

الذي لا يتأثر بالشكوك ولا بالشبهات، يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ۖ ﴾ (١)، ولن يتحقق إذعان القلب وانقياده الإرادي الذي يتمثل في خضوعه وطاعته والرضى به والاستسلام لحكم من آمن به إلا إذا اصطبحت تلك المعرفة الجازمة، يقول تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۖ ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ۖ ﴾ (٣)، فإذا حصلت المعرفة بالإدراك وإذعان القلب بالاستسلام تبعتهما الحرارة الوجدانية القلبية، التي تبعث على العمل بموجب ومقتضيات العقيدة مع الالتزام بالمبادئ الخلقية والسلوكية والتضحية بالمال والنفس في سبيلها، ولهذا نجد وصف المؤمنين في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۚ ﴾ (٤) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴿٤﴾ ، كما نجد القرآن الكريم دائماً يعرض الإيمان في أخلاق عالية وأعمال زاهية، حتى يتميز أهله عن غيرهم من المنافقين والكفرة.

يقول تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۚ ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ ﴿٥﴾، ولفضل هذه الصفات التي اتصف بها المؤمنون، نذكر ما يؤيد ذلك الفضل بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي سمع عنده دوي كدوي النحل، فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال: «اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا، ولا تهنا،

(١) سورة الحجرات: الآية (١٥).

(٢) سورة النساء: الآية (٦٥).

(٣) سورة الأحزاب: الآية (٣٦).

(٤) سورة الأنفال: الآية (٢ - ٤).

(٥) سورة المؤمنون: الآية (١ - ٥).

وأعطينا، ولا تحرمنا، وآثرنا، ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا» ثم قال: «لقد أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة»، ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ حتى ختم العشر آيات<sup>(١)</sup>.  
ويصف الله تعالى المؤمنين الصادقين بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، ذكر سيد قطب رحمه الله في هذه الآية لمسات وإحياءات للإيمان فقال: "فالإيمان تصديق القلب بالله وبرسوله، التصديق الذي لا يرد عليه شك ولا ارتياب، التصديق المطمئن الثابت المستيقن الذي لا يتزعزع ولا يضطرب، ولا تهجس فيه الهواجس، ولا يتلجج فيه القلب والشعور، والذي ينبثق منه الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله، فالقلب متى تذوق حلاوة هذا الإيمان واطمأن إليه وثبت عليه، لا بد من دفع؛ لتحقيق حقيقته في خارج القلب، في واقع الحياة، في دنيا الناس، يريد أن يوحد بين ما يستشعره في باطنه من حقيقة الإيمان، وما يحيط به في ظاهره من مجريات الأمور وواقع الحياة، ولا يطيق الصبر على المفارقة بين الصورة الإيمانية التي في حسه، والصورة الواقعية من حوله؛ لأن هذه المفارقة تؤذيه وتصدمه في كل لحظة، ومن هنا هذا الانطلاق إلى الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، فهو انطلاق ذاتي من نفس المؤمن، يريد به أن يحقق الصورة الوضيئة التي في قلبه؛ ليراها ممثلة في واقع الحياة والناس، والخصومة، بين المؤمن وبين الحياة الجاهلية من حوله خصومة ذاتية ناشئة من عدم استطاعته حياة مزدوجة بين تصوره الإيماني، وواقعه العملي، وعدم استطاعته كذلك التنازل عن تصوره الإيماني الكامل الجميل المستقيم في سبيل واقعه العملي الناقص الشائن

(١) أخرجه أحمد في (مسنده)، ح، رقم (٢٢٣) (٣٥٠/١)، إسناده ضعيف لجهالة يونس بن سليم، ولم يرو عنه غير عبد الرزاق وتكلم فيه، ولم يعتمد في الرواية، وأخرجه الحاكم في (المستدرک على الصحيحين)، ح رقم (١٩٦١) (٧١٧/١)، "قال عبد الرزاق ويونس بن سليم هذا كان عمه واليا قال: أرسلني عمي إلى يونس بن يزيد حتى أملئ علي أحاديث" «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) سورة الحجرات: الآية (١٥).

المنحرف، فلا بد من حرب بينه وبين الجاهلية من حوله، حتى تنتهي هذه الجاهلية إلى التصور الإيماني والحياة الإيمانية<sup>(١)</sup>.

ولن تتحقق سنة الله لمن أراد أن يتحلى بالإيمان الحق أو العقيدة الحقّة إلا إذا جعل الإيمان بالله وباليوم الآخر والملائكة والكتب والنبیین نصب عينيه؛ كونها العناصر والمقومات الأساسية لعقيدة الاسلام، أما إذا فقد بعضها فلا يستحق أن يسمى إيماناً أو عقيدة؛ لأن الإيمان الحق هو الذي تشرق شمسهُ على جميع جوانب النفس، فتنفذ أشعتها اليها حاملة الضوء والحرارة والحياة، من أجل تنفذ هذه العقيدة إلى العقل فتقنعه ومن ثم تطمئنه ثم تنفذ إلى القلب فتقضيه وتحركه، وإلى الإرادة فتدفعها وتوجهها، فإذا حصلت القناعة في العقل وتحرك لأجلها القلب واتجهت الإرادة لتحقيقها، استجابت الجوارح وشرعت تبرهن ذلك بتنفيذها للعمل.

وورد في الاستقامة أن، "للعقل دلالة وللحكمة إشارة والمعرفة شهادة، فالعقل يدل والحكمة تشير والمعرفة تشهد أن صفاء العبادات لا ينال إلا بصفاء التوحيد"<sup>(٢)</sup>.

كما أن الله تعالى رتب على الإيمان دخول الجنة والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(٣)</sup>، أي الحال أنه مؤمن، أي: مصدق بقلبه لله وللأنبياء واليوم الآخر، وقد جعل العمل عمدة والإيمان حالاً للإيمان بأنه لا عبرة بالعمل بدون الإيمان<sup>(٤)</sup>، كما رتب عليه أيضاً رضوانه والفلاح والسعادة، يقول تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ

(١) في ظلال القرآن: لسيد قطب، (٣٣٤٩/٦، ٣٣٥٠).

(٢) الاستقامة: لابن تيمية، (١٤٥/١).

(٣) سورة غافر: الآية (٤٠).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (٣١٧/١٥)، وروح البيان: لأبي الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الخلوتي، (ت: ١١٢٧هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت، (د، ت، ط) (١٨٦/٨).

وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾<sup>(١)</sup>، ورضوان جاءت نكرة، "للتحقير، أي: ورضوان حقير يسير من رضوان الله أكبر من ذلك كله الذي أعطاهم الله إياه، وفيه دليل على أنه لا شيء من النعم وإن جلّت وعظمت يماثل رضوان الله سبحانه وأن أدنى رضوان منه لا يساويه شيء من اللذات الجسمانية، وإن كانت على غاية ليس وراءها غاية"<sup>(٢)</sup>، ويؤكد ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ قال: "إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى؟ يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا"<sup>(٣)</sup>، ولا يكون ذلك مما ترتب على الإيمان إلا بشموله للعقائد وأعمال القلوب، وأعمال الجوارح؛ لأنه متى فات شيء من الاعتراف التام بجميع ما أمر الله ورسوله بالإيمان به، والانقياد ظاهراً وباطناً، حصل من النقص وفوات الثواب، وحصول العقاب بحسبه<sup>(٤)</sup>.

كما جعل الله تعالى المقامات العالية لمن أتاه مؤمناً به، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾<sup>(٥)</sup>، فالدرجات الرفيعة في الجنة أعدها الله لمن أتى بالإيمان والأعمال الصالحات ولم يكن من مرتكبي الكبائر أو ممن غلبت عليه الآحاد على العشرات<sup>(٦)</sup>، ويؤكد ذلك ما روي عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: "أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم، أو قال

(١) سورة التوبة: الآية (٧٢).

(٢) فتح القدير: للشوكاني، (٤٣٥/٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه): ح، رقم (٧٥١٨) (١٥١/٩)، باب كلام الرب مع أهل الجنة، وأخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (٢٨٢٩) (٢١٧٨/٤)، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً.

(٤) ينظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان: عبد الرحمن ناصر السعدي، ص، (٤٣، ٤٤).

(٥) سورة طه: الآية (٧٥).

(٦) مفاتيح الغيب: للرازي، (٧٩/٢٢)، واللباب في علوم الكتاب: لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي النعماني، (ت: ٧٧٥هـ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية-

بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م (٣٣٠/١٣).

بخطاياهم فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً، أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر<sup>(١)</sup> ضبائر، فبثوا<sup>(٢)</sup> على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة، أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل<sup>(٣)</sup> السيل<sup>(٤)</sup>.".

ومن الآيات التي صرحت ببعض مقامات أهل الإيمان، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، فمن تحقق بالإيمان الكامل بلغ أعلى الدرجات بعد درجة الأنبياء، فيراد بالمؤمنين في هذه الآية أنهم بمنزلة الصديقين والشهداء، وهم الذين سبقوا إلى التصديق بالله ورسوله واستشهدوا في سبيل الله، كما أن لهم من الأجر والثواب مثل أجر وثواب الصديقين والشهداء<sup>(٦)</sup>، ويراد بأن المؤمنين هم الصديقون؛ لتصديقهم الجازم بجميع أخبار الله تعالى وأحكامه وشهادتهم بحقية جميع ذلك، فوصف الله المؤمنين بأنهم صديقون في الدنيا وشهداء على الناس يوم القيامة<sup>(٧)</sup>، ومما يؤكد منزلة المؤمنين هذه ما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري<sup>(٨)</sup>: أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون<sup>(٩)</sup> أهل

(١) (الضبائر): جماعات الناس، يقال: رأيتهم ضبائر أي جماعات في تفرقة، ينظر: تهذيب اللغة: للأزهري، (٢٣/١٢)، ولسان العرب: لأبن منظور، (٤٨٠/٤).

(٢) ( فبثوا ) : فريق الشيء وإظهاره، والله تعالى خلق الخلق وبثهم في الأرض لمعاشهم، ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنْهُ﴾، أي: كثيرة متفرقة، ينظر: مقاييس اللغة: لأبن فارس، (١٧٢).

(٣) (الحميل): ما حمله السيل من غناء، وكل محمول حميل وفي لفظ حمائل السيل والمراد الإخبار بسرعة نباتهم، ينظر: مقاييس اللغة: لأبن فارس، (١٠٧/٢)، وغريب الحديث: لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن محمد الجوزي، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ، (٢٤٣/١).

(٤) أخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (١٨٥) (١٧٢/١)، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار.  
(٥) سورة الحديد: الآية (١٩).

(٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: للنسفي، (٤٣٨/٣).

(٧) محاسن التأويل: للقاسمي، (١٥٠ - ١٤٨/٩).

(٨) (يتراءون): أي، يرون، ويدل على ذلك قوله: كما ترون، انظر: تهذيب اللغة: للأزهري، (٢٣٤/١٥)، لسان العرب: لأبن منظور، (٣٠٠/١٤)، وقيل معنى يتراءون: أهل عليين أي ينظرون إليهم ويتعاطون رؤيتهم ومنه قوله تراءينا الهلال أي تعاطينا رؤيته وتكلفناها، انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار: لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي، الناشر: المكتبة العتيقة ودار التراث (د، ت، ط) (٢٧٧/١).

الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الذي الغابر<sup>(١)</sup>، من الأفق من المشرق أو المغرب؛ لتفاضل ما بينهم» قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال «بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»<sup>(٢)</sup>.

فالإيمان بالله والتصديق بالرسول في الظاهر والباطن وكمال طاعتها هو الذي جلب لصاحبه هذه المنزلة العظيمة في الجنة.

الكمال لله وكمال العبد بالإيمان به ترتفع الدرجات في الدنيا والآخرة، وتحوز به الخير عاجلاً وآجلاً، وكل مطلوب يُراد الوصول إليه، فإن الله قد جعل له طرقاً وأسباباً توصل إليه، "كما جعل الله أيضاً لكل مطلوب مفتاحاً يفتح به، فمفتاح حياة القلوب تدبر القرآن التضرع بالأسحار وترك الذنوب"<sup>(٣)</sup>.

فأعظم وأهم وأعم مطلب هو الحصول على الإيمان، إذ جعل الله له العديد من الوسائل التي تُجلبه وتقويه، كما له العكس من الوسائل في إضعافه.

ومن وسائل جلب الإيمان والعمل على تقويته ضربان: مجمل ومفصل<sup>(٤)</sup>.

فالمجمل هو تدبر وفهم آيات الله تعالى المقروءة في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والتأمل والتفكر في الآيات الكونية المنظورة بمختلف أنواعها، والبحث عن معرفة الحق الذي خُلِق لأجله الإنسان، والعمل بمقتضى ذلك الحق.

"فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر

---

(١) (الغابر): الباقي في المشرق أو المغرب لم يغرب ويقال لما مضى غير إلا أنه للباقي هاهنا لوقوع الرؤية عليه، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: لأبي عبد الله بن أبي نصر محمد بن فتوح الأزدي، تحقيق: الدكتور: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر: مكتبة السنة - القاهرة - مصر، ط: الأولى، ١٤١٥هـ، ص، (٢٣٢).

(٢) (متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم (٦٥٥٥) (١١٤/٨)، باب صفة الجنة والنار، وأخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (٢٨٣١) (٢١٧٧/٤)، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء.

(٣) (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: لأبن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ) الناشر: مطبعة المدني، القاهرة (د، ت، ط) ص، (٦٩).

(٤) (التوضيح والبيان لشجرة الإيمان: لآل سعدي، ص، (٧١).



بحذافيرهما، وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما، ومآل أهلها، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنيانه وتوطد أركانه، وترى صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه<sup>(١)</sup>.

وأما المفصل فيشمل على العديد من وسائل جلب وتقوية الإيمان، فأعظمها وأجلها.

- معرفة وفهم معاني أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة، والتعبد لله بها، يقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فذكر الله تعالى له فوائد كثيرة في تغذية إيمان العبد بالله تعالى، كما يعمل على مراقبة الله تعالى وزيادة محبته والخشوع له والرغبة فيما عنده، من فوائد المداومة على ذكر الله تعالى استصغار مصائب الدنيا واحتقارها، وقد ثبت ذلك في الصحيحين عن أبي هريرة<sup>(٣)</sup>: أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها<sup>(٤)</sup> دخل الجنة».

فيُستمد الإيمان وقوته وثباته من العلم والفهم والعمل والمعرفة بأسماء الله الحسنى؛ كونها مرجع وأصل الإيمان، ومعرفة الأسماء تتضمن معرفة جميع أنواع التوحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات وهذه تُعد روح الإيمان وروحه، وأصله وغايته، فالعبد كلما ازدادت معرفته بأسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى، ازداد إيمانه، وقوي يقينه، فما نوصي به هو بذل

(١) مدارج السالكين: لابن قيم الجوزية (١/٤٥٠).

(٢) سورة الأعراف: الآية (١٨٠).

(٣) (أحصاها): علما وإيماناً بها ويقيناً بأنها صفات الله جل وعز، ولم يرد الإحصاء الذي هو العد، انظر: تهذيب اللغة: للأزهري، (١٠٧/٥)، والنهاية في غريب الحديث والأثر: لأبي السعادات مجد الدين محمد ابن عبد الكريم ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ، (٣٩٧/١)، وتاج العروس: لأبي الفيض، (٤٤١/٣٧).

(٤) (متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم (٢٧٣٦) (١٩٨/٣)، باب ما يجوز من الاشتراط والتثنية في الإقرار، والشروط التي يتعارفها الناس بينهم، وإذا قال: مائة إلا واحدة أو ثنتين، وأخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (٢٦٧٧) (٢٠٦٣/٤)، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها.

المؤمن أقصى جهده في معرفة وفهم أسماء الله وصفاته، شرط أن تكون هذه المعرفة معافية من داء التعطيل<sup>(١)</sup> والتمثيل<sup>(٢)</sup> اللذين ابتلي بهما كثير من أهل البدع والضلال المخالفة لما جاء به المصطفى -ﷺ-، بل يجب أن تكون مصدر المعرفة من الكتاب والسنة وما ثبت عن الصحابة ومن تبعهم بإحسان، فهذه هي المعرفة التي تجعل إيمان صاحبها في ازدياد وقوة في اليقين.

- التدبر للقرآن الكريم على وجه العموم، فمن تدبر القرآن استفاد من علومه ومعارفه، وازداد إيمانه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، توضح هذه الآية أن المؤمنون لا يخالفون ما جاء به من عند الله ورسوله، بل هم المؤمنون الصادقون في إيمانهم، ولمجرد سماعهم لآيات الله يزدادوا بها إيماناً وتصديقاً و يقيناً<sup>(٤)</sup>.

ومن أعظم مقومات الإيمان انتظام القرآن وإحكامه، وموافقة وتصديق بعضه بعضاً، وعدم وجود التناقض والاختلاف يقول تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾<sup>(٥)</sup>، أي: لا يمكن لأي كتاب مما تقدمه أو تأخر أن ينقضه، ولا كتاب يأتي بعده ولا ناسخ له<sup>(٥)</sup>، ويقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا

(١) (التعطيل) التفرغ، قال الله تعالى: ﴿وَيَبْتَغُوا مَعْطَلَةً﴾<sup>(٥٥)</sup> (الحج: ٤٥)، أي: قد باد أهلها فلا مستقى عليها، ومن ذلك: الْمُعْطَلُونَ: وهم الذين لا يثبتون الصانع عز وجل، ويقال: فلان معطل مبطل: أي ينفي الصانع وينسب الشرائع إلى الباطل، ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت: ٥٧٣هـ)، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإيراني - د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) ط: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (٦١٢/٧).

(٢) (التمثيل): مثله: أي صورته، ومثله به: أي شبهه، ينظر: المصدر السابق، (٦٢٢٣/٩).

(٣) سورة الأنفال: الآية (٢).

(٤) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: للبخاري، (٢٦٨/٢).

(٥) ينظر: لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، (ت: ٤٦٥هـ) تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط: الثانية، (٣٣٥/٣).

كَثِيرًا ﴿٨٢﴾<sup>(١)</sup>، ومعنى الآية: أن الله تعالى عاب المنافقين لإعراضهم ورفضهم عن تدبر القرآن والتفكر فيه وفهم معانيه، والتدبير هو أن يدبر الإنسان أمره في الحياة وكأنه ينظر إلى ما تصير إليه عاقبته، كما بيّنت هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ﴿٢٤﴾<sup>(٢)</sup>، على وجوب التدبر للقرآن حتى يتم فهم ومعرفة معانيه<sup>(٣)</sup>.

- معرفة أحاديث النبي ﷺ، وما تدعو إليه من علوم الإيمان وأعماله فكل ذلك يُعد من مقومات الإيمان، فالعبد كلما زادت معرفته بكتاب الله وسنة رسوله، زاد وقوى إيمانه وبقينه حتى يبلغ بعلمه وإيمانه إلى مرتبة اليقين، مرتبة الراسخين في العلم، يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلُ الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٧﴾<sup>(٤)</sup>، والراسخون في العلم هم الذين ثبتوا وتمكنوا فيه من العلم والفهم والمعرفة<sup>(٥)</sup>، وهي مرتبة العلم التام القوي الموجب لليقين التام، الذي يدفع به الشبهات والريب، فأصحاب هذه المرتبة من العلم هم سادة المؤمنين، وشهداء الله في أرضه الذين احتج بهم على غيرهم من المرتدين والجاحدين.

"إن مثل ما جاء به محمد رسول الله ﷺ لا يملك من يتدبره أن يظل معرضاً عنه، ففيه من الجمال، وفيه من الكمال، وفيه من التناسق، وفيه من الجاذبية، وفيه من موافقة الفطرة، وفيه من الإحياءات الوجدانية، وفيه من غذاء القلب، وفيه من زاد الفكر، وفيه من عظمة الاتجاهات، وفيه من قويم المناهج، وفيه من محكم التشريع.. وفيه من كل شيء ما يستجيش

(١) سورة النساء: الآية (٨٢).

(٢) سورة محمد: الآية (٢٤).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (٢٩٠/٥).

(٤) سورة آل عمران: الآية (٧).

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: للبيضاوي، (٦/٢).

كل عناصر الفطرة ويغذيها ويلبّيها «أفلم يدبروا القول» إذن؟ فهذا سر إعراضهم عنه ؛ لأنهم لم يتدبروه<sup>(١)</sup>.

"ولا ريب أن من تدبر القرآن والسنة، ومقاصد الشارع جزم بتحريم الحيل وبطلانها"<sup>(٢)</sup>، والراسخون هم الذين زال عنهم الجهل والريب وأنواع الشبهات، وهم الذين ردوا المتشابه من الآيات إلى المحكم منها، واستشهد بهم الله في الدنيا والآخرة، يقول: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، فالذين أوتوا العلم في هذه الآية هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون<sup>(٤)</sup>، فالتدبر للقرآن هو استخراج البركة منه، يقول تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٥)</sup>، ومن بركة تدبر هذا الكتاب الكريم، الحصول على الكثير من المنافع الدينية والدنيوية<sup>(٦)</sup>، وثبوت الخير الإلهي فيه<sup>(٧)</sup>، والخير كل الخير هو التدبر لآيات الله والتأمل فيها ومعرفتها.

- ومما يزيد على تقوية الإيمان معرفة النبي ﷺ وما هو عليه من معالي الأخلاق، وكامل الأوصاف، فمعرفته ﷺ هي أحد الأصول الثلاثة الواجبة على الإنسان معرفتها، فالأصل الأول: وجوب معرفة الله العظيم، والثاني: معرفة الدين الإسلامي الذي خلقنا الله من أجله وتعبدنا بالقيام به، والثالث: معرفة نبينا محمد ﷺ، لأنه بمقام الواسطة بيننا وبين الله تعالى، فلا سبيل لنا في الوصول إلى معرفة ما ينجيننا من غضب الله وعقابه ويقربنا من

(١) في ظلال القرآن: لسيد قطب، (٤/٢٤٧٤).

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: لأبن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ) المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، (د، ط) (١/٣٧٧).

(٣) سورة الروم: الآية (٥٦).

(٤) البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان الأندلسي، (٨/٤٠٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل: لأبن جزي الكلبي، (٢/١٣٦).

(٥) سورة ص: الآية (٢٩).

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود، (٧/٢٢٥).

(٧) انظر: روح البيان: لأبي الفداء الخلوتي، (٨/٢٥).

رحمته ورضوانه إلا بما جاء به نبينا ﷺ، ولا سبيل لمعرفة الأصل الأول والثاني إلا عن طريق واسطة بيننا وبينهما، لذلك تحتمت معرفته ﷺ حتى صارت أصلاً ثالثاً<sup>(١)</sup>، فلا سبيل لنيل السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة إلى عن طريق - معرفة الرسول ﷺ وتصديقه بجميع ما أخبر به، وطاعته فيما أمر به ونهى عنه، وكذلك لا سبيل إلى التفصيل في التمييز بين الطيب والخبيث إلى عن طريقهم، ولا ينال رضى الله أحد إلا على أيديهم، فصنوف الطيب من الأقوال والأفعال والأخلاق ليس إلا من هديهم ومما جاءوا به، فهم الميزان الراجح الذي توزن بهم الأقوال والأفعال والأخلاق، ويتميز بإتباعهم أهل الحق من أهل الباطل<sup>(٢)</sup>.

فما دامت سعادة العبد متعلقة في الدارين بهدي النبي ﷺ فالواجب على كل من أراد النجاة لنفسه وسعادتها هو معرفة هديه وسيرته، وأعظم ما يجب معرفته: معرفة ما بعث به. -  
التفكر في خلق السماوات والأرض وما فيهما من مخلوقات، وما يحدثه الله في هذا الكون من سنن ثابتة، من ليل ونهار، ورياح وأمطار، وفيضانات وسيول، وغيرها من السنن، كل ذلك بتصريف من الله وحده، والتفكر في هذا الكون يدل على أن له خالق قادر حكيم مستحق للعبادة وحده، فإظهار الله الآيات الكونية للناس لأجل الاستدلال بها وإفراده بالعبادة وحده، وأن ما سواه باطل، يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾<sup>(٣)</sup>، أي: ذلك النظام الكوني المحكم الثابت الدائم المنسق الدقيق، ذلك النظام قائم بأن الله هو الحق القادر واجب الوجود، والموجد لكل موجود، وأن ما يدعون ما يعبدون، من دونه الباطل، من غيره الزائل الذي لا أصل له ولا برهان عليه، قائم بهذه الحقيقة الكبرى التي تعتمد عليها كل حقيقة، والتي يقوم بها هذا الوجود، فكون الله هو الحق

---

(١) ينظر: حاشية الأصول الثلاثة: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني، (ت: ١٣٩٢هـ) الناشر: دار الزاحم، ط: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م (د، ت) ص، (١٢٥، ١٢٦).

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد: لأبن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م (١/٦٨، ٦٩) ..

(٣) سورة لقمان: الآية (٣٠).

سبحانه، هو الذي يقيم هذا الكون، وهو الذي يحفظه، وهو الذي يدبره، وهو الذي يضمن له الثبات والاستقرار والتماسك والتناسق<sup>(١)</sup>.

ومن الوسائل التي يبلغ بها المؤمن إلى درجة اليقين ثلاثة: تدبر القرآن، وتدبر الآيات التي يحدثها الله في الأنفس والآفاق التي تبين أنه الحق، والعمل بموجب العلم<sup>(٢)</sup>، يقول تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾<sup>(٣)</sup>، أي: سنريهم الآيات الدالة على حقيقته وكونه من عند الله، وفي الآفاق، ما أخبرهم به ﷺ مما سيحدث له ولخلفائه من بعده من الفتوحات والظهور على آفاق الدنيا، والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب وبأمر خارق للعادة، وفي أنفسهم، ما ظهر لأهل مكة وما حل بهم<sup>(٤)</sup>.

ويبين سبحانه وتعالى أنما يُري الآيات المشهودة ليؤكد صدق الآيات المسموعة مع أن شهادته بالآيات المسموعة كافية<sup>(٥)</sup>.

ولهذا لم يذكر القرآن الكريم الآيات الكونية على أنها مقصودة بذاتها، بل الغاية منها أنها دعوة عملية للإيمان بالله، وذلك من منطلق أن جميع ما نشاهده في هذا الكون خاضع للنظام الدقيق وللغاية المنشودة.

- الإكثار من ذكر الله تعالى فهو عدة للمتقين التي يبلغون بها إلى خيري الدنيا والدين، يقول تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، فذكر الله أكبر من أي عبادة، لأن

---

(١) ينظر: في طلال القرآن: لسيد قطب، (٢٧٩٦/٥)، و أوضح التفاسير: محمد عبد اللطيف بن الخطيب، (ت: ١٤٠٢هـ) الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، ط: السادسة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤ م (٥٠٣/١).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية، (٣/٣٣٠، ٣٣١).

(٣) سورة فصلت: الآية (٥).

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود، (١٩/٨).

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية، (٣/٣٣١).

(٦) سورة العنكبوت: الآية (٤٥).

العبادات تحتاج إلى استعداد، وإلى وقت، وإلى مشقة، وإلى تفرغ وعدم مشغولية، أما ذكر الله فلا يحتاج إلى أي تكلف، فهو يجري على لسانك في أي وقت، وبدون استعداد أو مشقة، ويلهج به لسانك في أي وقت، وعلى أي حال أنت فيه<sup>(١)</sup>، ومن معاني قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾<sup>(٢)</sup>، أي: فاذكروني بالطاعات والإحسان أذكركم بالثواب ونعيم الجنان، أو فاذكروني بالجنان أذكركم بنعمة الشهود والعيان، أو فاذكروني بالقلوب أذكركم بكشف الحجب، أو فاذكروني بالتوحيد والإيمان أذكركم بالدرجات في الجنان، أو فاذكروني بالشكر أذكركم بالزيادة، أو فاذكروني على ظهر الأرض أذكركم في بطنها.

يقول رسول الله ﷺ: «من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته، وصيامه، وتلاوته القرآن، ومن عصى الله فقد نسي الله، وإن كثرت صلاته، وصيامه، وتلاوته القرآن»<sup>(٣)</sup>.

أو: فاذكروني في الدنيا أذكركم في العقبى، أو: فاذكروني بالطاعات أذكركم بالمعافاة، يعني يحييه حياة طيبة، أو: فاذكروني في الخلاء والملا أذكركم في أفضل الملا، أو: فاذكروني في النعمة والرخاء أذكركم في الشدة والبلاء، أو: فاذكروني بالتسليم والرضا أذكركم بحسن التدبير ولطف القضاء، ومن يتوكل على الله فهو حسبه أو: فاذكروني بالشوق والمحبة

(١) ينظر: تفسير الشعراوي: لمتولي الشعراوي، (١٩/١٢٠٢٧، ١٢٠٢٨).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٥٢).

(٣) الزهد والرفائق: لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المزوزي، (ت: ١٨١هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي: دار الكتب العلمية - بيروت، (د، ط) (١٧/٢)، باب حسن السريرة، وشعب الإيمان: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ح، رقم (٦٧٧) (١٧٤/٢)، باب في ذكر آثار وأخبار وردت في ذكر الله عز وجل، وأخرجه الطبراني في (المعجم الكبير) ح، رقم (٤١٣) (١٥٤/٢٢)، من اسمه واقد واقد مولى رسول الله ﷺ، من حديث واقد، مولى رسول الله ﷺ.

أذكركم بالوصال والقربة، أو: فاذكروني بالتوبة أذكركم بغفران الحوبة، أو: فاذكروني بالدعاء أذكركم بالعطاء، أو: فاذكروني بالسؤال أذكركم بالنوال<sup>(١)</sup>.

وكل هذا دليله ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: " يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة " <sup>(٢)</sup>، فالإكثار من الذكر يحيي شجرة الإيمان في القلب ويغذيها وينميها.

وللإيمان الصحيح القوي الراسخ فوائد وثمار عاجلة وآجلة في الدنيا والآخرة، فمن بركة شجرة الإيمان أنها إذا تثبتت وقويت أصولها، عادت بالخير والنفع لحاملها ومن جالسها، وبها تندفع كل الشرور، فمن فوائد وثمار الإيمان ما يلي:

- ولاية الله الخاصة بالمؤمنين، والتي تُعد من أعظم ثمار الإيمان يقول تعالى: ﴿أَلَا

إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾،<sup>(٣)</sup>

ومعنى الآية: أن هذا وعد سبق من الله تعالى لأنصاره بعدم حصول الخوف من عقابه في الآخرة لرضاه عنهم، مع عدم الحزن على كل ما فاتهم من الدنيا، والأولياء جمع ولي، والولي هو النصير، ووردت عدة أقوال حول من هم المستحقون لهذا الاسم، فقال بعضهم: أنهم قوم إذا رؤوا ذُكرَ الله لرؤيتهم، وقال بعضهم: أنهم من ثبت وصفهم في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء، ولا شهداء

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: لأبي العباس الأنجري، (١/١٨٣، ١٨٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم (٧٤٠٥) (٩/١٢١)، باب قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ. وَإِلَى

اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران: ٢٨) وصحيح مسلم، ح، رقم (٢٦٧٥) (٤/٢٠٦١)، باب الحث على ذكر الله تعالى.

(٣) سورة يونس: الآية (٦٢، ٦٣).



يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة، بمكانهم من الله تعالى» قالوا: يا رسول الله، تخبرنا من هم، قال: «هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم على نور لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس»، وقرأ هذه الآية<sup>(١)</sup>،

---

(١) سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، الناشر، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ح، رقم (٣٥٢٧) (٢٨٨/٣)، باب، في الرهن، وصحيح ابن حبان: لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي، (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط: الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ح، رقم (٥٧٣) (٣٣٢/٢)، باب، ذكر وصف المتحابين في الله في القيامة عند حزن الناس، وخوفهم في ذلك اليوم، من حديث أبي هريرة، وقال الألباني: إسناده صحيح، وأخرجه ابن الأثير في (جامع الأصول في أحاديث الرسول) ح، رقم (٤٧٨١) (٥٥٢/٦)، الفرع الرابع: في الحب في الله.

وقال بعضهم: أنهم من وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقيل إنما تقتضيه الشريعة في الولي هو: أن من آمن واتقى داخل في أولياء الله<sup>(٢)</sup>.

- الحياة الطيبة لأهل الإيمان والعالمي الصالحات، يقول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا

مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

﴿١٧﴾<sup>(٣)</sup>، فهذه الآية تبين سنة من سنن الله تعالى بأن من يعمل صالحاً من ذكر أو أنثى

فإنه سيحظى بحياة طيبة في الدنيا جزاء من الله له على عمله الصالح، وما ينالوه من أجر

في الآخرة فهو أفضل مما عملوه في الدنيا.

ويشترط في قبول العمل الصالح وجود الإيمان، كما هو صريح في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ

مُؤْمِنٌ﴾، فذكر بعض المفسرين، أن إفادة العمل الصالح للحياة الطيبة مشروط بالإيمان<sup>(٤)</sup>،

وأن الله تعالى وعد لمن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى من بني آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله،

بأن يحييه الحياة الطيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن مما عمله في الدار الآخرة<sup>(٥)</sup>.

وتشمل الحياة الطيبة عدة معاني، فقد فسرهما ابن عباس وجماعة بأنها الرزق الحلال

الطيب، وفسرها علي بن أبي طالب وغيره بأنها القناعة، وقيل: لا يطيب لأحد حياة إلا في

الجنة، وقيل: الرزق الحلال والعبادة في الدنيا، وقيل: هي العمل بالطاعة والانشراح بها<sup>(٦)</sup>.

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري، (١١٨/١٥ - ١٢٣)، ومعالم التنزيل: للبغوي، (٤٢٤/٢، ٤٢٥).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبن عطية، (١٢٨/٣).

(٣) سورة النحل: الآية (٩٧).

(٤) مفاتيح الغيب: للرازي، (٢٦٧/٢٠).

(٥) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٥١٦/٤).

(٦) مفاتيح الغيب: للرازي، (٢٦٧/٢٠)، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٥١٦/٤)، وفتح القدير: للشوكاني،

(٢٣١/٣)، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (٦٣٣/٢).

والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله، ويؤيد ذلك ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه»<sup>(١)</sup>. وذكر أحد المفسرين كيفية الحياة الطيبة لمن عمل صالحاً وهو مؤمن؟ فقال: "وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح موسراً كان أو معسراً يعيش عيشاً طيباً، إن كان موسراً، فلا مقال فيه، وإن كان معسراً، فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله، وأما الفاجر فأمره على العكس: إن كان معسراً فلا إشكال في أمره، وإن كان موسراً فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه"<sup>(٢)</sup>.

- دفع الأذى والمكارة والمكائد عن المؤمنين يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾<sup>(٣)</sup>، هذه الآية تشير إلى أن المؤمنين قد يتعرضون لبعض الابتلاءات من قبل أعدائهم وأعداء الله، فجاء هذا وعد صدق وبشارة وضمنان من الله تعالى للذين آمنوا، بدفاعه عنهم بإبطال مكر أعدائهم، وكف أذاهم وضرهم، ورد كيدهم، كما يحمل الله عنهم عند نزول المكارة ما لا يستطيعون أن يتحملونه، فمن يدافع الله عنه فهو ظاهر على عدوه، ولا سبيل للعدو من الوصول إليه، وأنه تعالى يكره الاعتداء على المؤمنين من الكفار الخائنين<sup>(٤)</sup>.

- لا سبيل للكافرين على المؤمنين، يقول تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾<sup>(٥)</sup>، أي: إن الكافرين لا يكون لهم من حيث هم كافرون سبيل ما على المؤمنين من حيث هم مؤمنون يقومون بحقوق الإيمان ويتبعون هديه، وكلمة (سبيل) هنا نكرة في سياق

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (١٠٥٤) (٢/٧٣٠)، باب، في الكفاف والقناعة.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري، (٢/٦٣٣).

(٣) سورة الحج: الآية (٨).

(٤) ينظر: تفسير ابن باديس، (١/٣٥١)، وتفسير المراغي، (١٧/١١٧)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي، (١/٥٣٩)، وفي ظلال القرآن: لسيد قطب، (٤/٢٤٢٥)، والتفسير القرآني للقرآن: ليونس الخطيب، (٩/١٠٤٢).

(٥) سورة النساء: الآية (١٤١).

النفى فتقيد العموم، أي: بعدم تسليط الكافرين على المؤمنين عام في الدنيا والآخرة، فلا سبيل للكافرين على المؤمنين مطلقاً، وهذه سنة من سنن الله تعالى التي لا تتغير فيمن صدقوا في إيمانهم، وما غلب الكافرون المسلمين في الحروب والسياسة وأسبابها العلمية والعملية من حيث هم كافرون، بل من حيث إنهم صاروا أعلم بسنن الله في خلقه وأحكم عملاً بها، والمسلمون تركوا ذلك<sup>(١)</sup>، ويحتمل أن يكون المعنى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً، أي: في الدنيا بأن يسلطوا عليهم استيلاء استئصال بالكلية، وإن حصل لهم ظفر في بعض الأحيان على بعض الناس، فإن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة<sup>(٢)</sup>، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾<sup>(٣)</sup>.

يتبين من ظاهر النص أنه عام في الدنيا والآخرة، وأنه وعد قاطع وحكم جامع من الله تعالى، بأن لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً، وأنه متى استقرت حقيقة الإيمان في نفوس المؤمنين وظهرت هذه الحقيقة في حياتهم الخارجية كأعمال صالحة، وعبادة لله تعالى في الصغيرة والكبيرة، والانقياد المطلق والاستسلام التام لشرع الله فهم المؤمنون حقاً، وما جعل للكافرين سبيلاً في بعض انتصاراتهم على المؤمنين إلا وكان هناك ثغرة في تلك الحقيقة الإيمانية، فمن موجبات ومقتضيات الإيمان الأخذ بالأسباب، كأخذ العدة وإعداد القوة في كل حين بنية الجهاد في سبيل الله وتحت هذه الراية وحدها مجرة من كل إضافة، وبقدر حجم الثغرة في الحقيقة الإيمانية تكون الهزيمة الوقتية على المؤمنين، ثم يعود النصر لهم حين يوجدون<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: تفسير القرآن الحكيم: لرشيد رضا، (٣٧٩/٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣٨٦/٢).

(٣) سورة غافر: الآية (٥١).

(٤) ينظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب، (٧٨٢/٢).

- الحصول على البشارة من الله تعالى في الدنيا قبل الآخرة يقول تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١)، فما نال المؤمن هذه البشارة إلا بعد أن نال الولاية من الله تعالى بطاعته.

ومن البشارات التي يبشّر الله بها عباده المؤمنين في الدنيا، ما روي عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرايت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن» (٢)، فما ذكر مؤمن بخير في الدنيا إلا كانت من البشارات العاجلة له فيها وما حصل على ذلك إلا لسبق أعماله، فهذه من سنن الله تعالى الكونية فيمن تحقق بالإيمان.

ومن البشارات التي يطمئن بها المؤمن في حياته، ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة في مرضه، والناس صفوف خلف أبي بكر، فقال: «أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم، أو ترى له» (٣).

ومن بشارات المؤمن في الآخرة أخذ كتابه بيمينه، يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُوا وَكُنِيَ﴾ (٤)، أي: أن العبد عندما يأخذ صحيفته بيمينه يقول للناس اقرءوا

(١) سورة يونس: الآية (٦٤).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (٢٦٤٢) (٢٠٣٤/٤)، باب، إذا أثنى على الصالح فهي بشرى ولا تضره، ومعنى، "تلك عاجل بشرى المؤمن"، قال العلماء معناه هذه البشرى المعجلة له بالخير وهي دليل البشرى المؤخرة إلى الآخرة بقوله ﴿بُشْرِكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتْ﴾ (الحديد: ١٢) الآية وهذه البشرى المعجلة دليل على رضا الله تعالى عنه ومحبه له فيحبه إلى الخلق، انظر: حاشية المرجع نفسه.

(٣) أخرجه أحمد في (مسنده) ح، رقم (١٩٠٠) (٣٨٦/٣)، وإسناده صحيح على شرط مسلم، وفي سنن ابن ماجه: لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، (د، ط)، ح، رقم (٣٨٩٩) (١٢٨٣/٢)، باب، الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له، وقال الالباني: صحيح، وأخرجه أبو عبد الله محمد بن علي بن بشر الترمذي في (نواذر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ) (ت: ٣٢٠هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل - بيروت، (٣٩٠/١)، في حقيقة الرؤيا وان الشيطان لا يتمثل بالنبي صلى الله عليه وسلم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٤) سورة الحاقة: الآية (١٩).

كتابه، وهو في حالة من الاستبشار والسرور مما تتضمنه صفحات كتابه حتى جعلت ما بداخلها ظاهر على وجهه<sup>(١)</sup>.

ويعد أول دليل لنجاة المؤمن في الآخرة أخذه كتابه بيمينه، فقد روي عن زيد<sup>(٢)</sup> بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب، وله شعاع كشعاع الشمس، ف قيل له: فأين أبو بكر يا رسول الله؟ فقال هيهات هيهات! زفته الملائكة إلى الجنة»<sup>(٣)</sup>.

وهناك العديد من الآثار التي تعقب صاحب الإيمان الصحيح سواء في الدنيا أم في الآخرة، نذكر منها باختصار حتى لا يطول بنا المقام في هذا الشأن.

- عدم ضياع الإيمان وإن كان قليلاً، لما روي عن عبد الله<sup>(٤)</sup> بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان»<sup>(٥)</sup>، ومنها نيل محبة

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي، (٤٠٦/٢).

(٢) هو: زيد بن ثابت بن الضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة من بني سلمة، ثم من بني غنم بن مالك بن النجار، يكنى أبا سعيد، وقيل أبو خارجة، كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، قدم النبي ﷺ المدينة وهو ابن إحدى عشرة فأجازه عام الخندق، وكان حبر الأمة علماً وفقها وفرائض، من الراسخين في العلم، ينظر: معرفة الصحابة: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، ط: الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، (١١٥١/٣).

(٣) كتاب الديباج: لأبي القاسم إسحاق بن إبراهيم بن سنين الخثلي، (ت: ٢٨٣هـ) الناشر: دار البشائر، ط: الأولى، ١٩٩٤م، ح، رقم (٧) ص، (٢٣)، والمجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح الإمام البخاري: شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد الشافعي، (ت: ٩٥٦هـ) حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م (٣٨٣/٢)،

(٤) هو: أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، من كبار الصحابة، كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدرًا، وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على النفل، ومناقبه غزيرة، روى علماً كثيراً، وهو أول من جهر بالقرآن بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين، شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها وكان من أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ، توفي سنة (٣٢هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء: لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، (٤٦١/١)، والأعلام للزركلي، (١٣٧/٤).

(٥) أخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (٩١) (٩٣/١)، باب، تحريم الكبر وبيان.

الله، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾<sup>(١)</sup>، أي: ما أقبل عبد إلى الله بقلبه إلا أقبل الله بقلوب عباده المؤمنين إليه، حتى يرزقه الله مودتهم ورحمتهم<sup>(٢)</sup>، ومنها الانتفاع بالتذكرة والمواعظ، يقول تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، ومنها احتساب الأجر في شتى ظروف الحياة، كما روي عن عبدالرحمن<sup>(٤)</sup> بن أبي ليلى قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيراً له»<sup>(٥)</sup>، فالمؤمن يحظى بنعمتين، نعمة الشكر على السراء ونعمة الصبر على الضراء، وهذا ليس لأحد غير المؤمن.

فمن خلال ما سبق تبين أن معنى الإيمان ورد عند بعض أهل اللغة بمعنى التصديق فقط، بينما ذكر بعضهم أن الإيمان يتضمن عمل القلب وهو إظهار الخضوع وقبول الشريعة والإيمان بما جاء به النبي ﷺ، ويؤكد ذلك أن معنى الإيمان في الاصطلاح لم يقتصر على

(١) سورة مريم: الآية (٩٦).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري، (٢٦٢/١٨).

(٣) سورة الذاريات: الآية (٥٥).

(٤) هو: عبد الرحمن بن يسار بن أبي ليلى الأنصاري، ويقال دواد من بلال مولى بني عمرو بن عوف الأنصاري، ولد عبد الرحمن في خلافة عمر بن الخطاب وروى عن عثمان بن عفان، وعلي ابن أبي طالب، وأبي بن كعب، وكعب بن عجرة، والمقداد بن الأسود، وذكر يحيى بن معين أنه قال: عبد الرحمن بن أبي ليلى ثقة قال أبو نعيم: قتل عبد الرحمن ابن أبي ليلى، وأبو البختری، بدير الجماجم سنة ثمان وثمانين، ينظر: الجرح والتعديل: لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية- بحيدر آباد الدكن- الهند، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الأولى، ١٢٧١هـ- ١٩٥٢م، (٣٠١/٥)، تاريخ بغداد وذيوله، ١- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ٢- المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الديبشي، للذهبي ٣- ذيل تاريخ بغداد، لابن النجار ٤- المستفاد من تاريخ بغداد، لابن الدمياطي ٥- الرد على أبي بكر الخطيب البغدادي، لابن النجار: لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: الأولى، ١٤١٧هـ، (٤٥٩/١).

(٥) أخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (٢٩٩٩) (٢٢٩٥/٤)، باب، المؤمن أمره كله خير، من حديث صهيب ؓ.

التصديق فحسب، بل لأبد من ملازمة ذلك التصديق تصديق بالقلب وإقرار باللسان والعمل بالجوارح؛ لأن الإيمان لو كان بمجرد التصديق لكان أبو طالب مؤمناً، فالإيمان بما لله تعالى من أسمائه الحسنی وصفاته الفضلی وما له من حقوق خاصة، والعمل بالشرائع الإسلامية وحقائقها الظاهرة والباطنة، كل ذلك يستوجب القبول والإذعان والإقرار والاعتراف، ويعتبر من أصول الإيمان.

فإذا حصل نقص مما يستوجب الإيمان به فات الثواب ووقع العقاب، فمن التزم بالشریعة وتحقق بالإيمان الصحيح بلغ أعلى درجة بعد الأنبياء وهي درجة الصديقين.

ومن كانت غايته التحلي بالإيمان الحق أو العقيدة الحقّة، فلا بد له من اتباع الوسائل التي تعمل على جلب وتقوية الإيمان، مثل معرفة أسماء الله الحسنی، وفهم معانيها، وتدبر القرآن الكريم، ومعرفة النبي ﷺ؛ كونها أحد الأصول الثلاثة، والتفكر في خلق السماوات والأرض، والإكثار من الذكر، والعمل في سبيل إعلاء كلمة الله والتواصي بالحق والصبر عليها، وغيرها من الوسائل التي يتحقق ويقوى بها الإيمان.

كما أن للإيمان الذي لا يخالطه شك ولا ريب ثمار في الدنيا والآخرة، منها الدخول تحت ولاية الله الخاصة وهي أعظم ثمرة تنافس عليها المتنافسون، ومنها الحياة الطيبة في الدارين؛ لأن من خصائص الإيمان إيجاد الطمأنينة والراحة للقلب والقناعة بما آتاه الله، ومنها التحصين من الله تعالى للمؤمنين بدفع المكروه والشدائد عنهم، والتعجيل بالبشارة لهم، ونيل محبة الله والناس لهم، والانتفاع بالتذكّرة والمواعظ، وغيرها من الثمار التي يحظى بها صاحب الإيمان الصحيح.



### المطلب الثالث

#### السنن الربانية المتعلقة بالتقوى

يلي سنة الإيمان سنة التقوى، ولن تتحقق التقوى إذا لم يسبقها إيمان، فالتقوى خير زاد، وهي الورع وغاية شرف العبد، تلازم العبد في السر والعلن، بل في جميع أحواله.

**التقوى في اللغة:**

التقوى من "وقى)، الواو والقاف والياء: كلمة واحدة تدل على دفع شيء عن شيء بغيره، ووقيته أقيه وقياً، والوقاية: ما يقي الشيء، واتق الله: توقه، أي اجعل بينك وبينه كالوقاية"<sup>(١)</sup>، وقيل: "وقى: الوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره، يقال: وقيت الشيء أقيه وقاية ووقاء"<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ﴿فَوَقَّهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وقى: أي: "وقاه الله السوء وقاية: حفظه، والوقاء مثل كتاب كل ما وقيت به شيئاً، وروى أبو عبيد عن الكسائي الفتح في الوقاية والوقاء أيضاً، واتقيت الله اتقاءً، والتقية والتقوى اسم منه، والتاء مبدلة من واو، والأصل وقى"<sup>(٤)</sup>، وقيل التقوى: "الخشية والخوف، وتقوى الله خشيته وامتنال أوامره واجتناب نواهيه، وأصله (وقياً) قلبوه للفرق بين الاسم والصفة، والتقية الخشية والخوف، والتقية عند بعض الفرق الإسلامية"<sup>(٥)</sup>: إخفاء الحق ومصانعة الناس في غير دولتهم تحرزا من التلف"<sup>(٦)</sup>.

(١) معجم مقاييس اللغة: لأبن فارس، (١٣١/٦).

(٢) المفردات في غريب القرآن: للراغب الاصفهاني، ص، (٨٨١).

(٣) سورة الإنسان: الآية (١١).

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأبي العباس الفيومي، (٦٦٩/٢).

(٥) (الشبيعة الروافض): "و" التقية " هي شعار النفاق؛ فإن حقيقتها عندهم أن يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم وهذا حقيقة

النفاق، ينظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية، (٢٦٣/١٣).

(٦) المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، وآخرون، الناشر: دار الدعوة، (د، ت، ط)، (١٠٢٥/٢).

## التقوى في الاصطلاح:

وردت عدة تعاريف للتقوى في الاصطلاح الشرعي، جُلّها تدور حول فعل الأوامر وترك النواهي، ف قيل أن التقوى: "هي أن يتقي المهلك، وذلك يكون بالإجابة إلى ما دعي إليه قولاً وفعلًا، والانتهاز عما نهى عنه قولاً وفعلًا"<sup>(١)</sup>.

وقيل: إن التقوى "تجمع فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه"<sup>(٢)</sup>.

وذكر البعض أن أصل التقوى "معرفة ما يُتقى ثم العمل به؛ فالواجب على كل عبد أن يبذل جهده في معرفة ما يتقيه مما أمره الله به ونهاه عنه، ثم يلتزم طاعة الله ورسوله"<sup>(٣)</sup>.  
ومن معانيها أيضاً ما وري عن طلق بن حبيب أنه قيل له: ألا تجمع لنا التقوى في كلام يسير يرونه قال: "التقوى: عمل يطلبه الله على نور من الله رجاء ثواب الله، وترك معصية الله على نور من الله مخافة عقاب الله"<sup>(٤)</sup>.

---

(١) تفسير الماتريدي، (٤٦٢/١٠).

(٢) مجموع الفتاوى: لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، (ت: ٧٢٨هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م (٥٢٦/٨).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين: لابن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م (١٨٧/٢).

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: لابن إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، (ت: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م (١٤٣/١)، وتفسير القرآن: لأبي المظفر منصور بن محمد المروزي السمعاني، (ت: ٤٨٩هـ) تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، ط: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م (٢٥٦/٤)، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٢٤٤/١)، والدر المنثور: أبي بكر عبد الرحمن السيوطي، (ت: ٩١١هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت (د، ت، ط) (٦١/١)، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران الأصبهاني، (ت: ٤٣٠هـ) الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م (د، ت)، (٦٤/٣)، والزهد: لأبي السري هناد بن السري بن مصعب بن أبي بكر التميمي الدارمي، (ت: ٢٤٣هـ) تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، ط: الأولى، ١٤٠٦ ح، رقم (٥٢٢) (٢٩٦/١).

وقيل التقوى: أن تجعل بينك وبين ما يمكن أن ينشأ منه ضرر لك وقاية، ومهمة التقوى أن تتدمج مع الله في معيته، هذا في حق من يتحكم جيدا في نفسه، ويحملها على منهج الله، وهي الرقيب اليقظ الساهر في القلوب، وهي الضمان الأول والأخير<sup>(١)</sup>.

وقيل التقوى: "أن تقي نفسك من الله، أي من غضبه، وسخطه، وعقوبته، ولا يمكن هذا إلا بعد معرفته، ومعرفة ما يرضيه وما يسخطه، ولا يعرف هذا إلا من فهم كتاب الله تعالى - وعرف سنة نبيه ﷺ، وسيرة سلف الأمة الصالح مطالباً نفسه بالاهتداء بذلك كله"<sup>(٢)</sup>.

ذكر صاحب المفردات في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، أن معنى التقوى في هذه الآية تأتي على ثلاثة أوجه، "تقوى من غرور الدنيا، والتقوى من النفس، والتقوى من الله، فالتقوى من الدنيا، بأن تتقي محرماتها ثم شبهاتها ثم الزهد في مباحاتها، وأما التقوى من النفس بأن تتقي أولاً عقوبته، فمن استكمل هذه المنازل فقد اتقى الله حق تقاته"<sup>(٤)</sup>.

والتقوى اسم مصدر، والفاعل من ذلك هو المتقي، وهو كما يعرفه صاحب الكليات في معجم المصطلحات: "من يقي نفسه عما يضره في الآخرة وهو الشرك المفضي إلى العذاب المخلد، وعن كل ما يؤثم من فعل أو ترك، وعن كل ما يشغل عن الحق والتبتل عليه بالكلية"<sup>(٥)</sup>، وهو الحقيقي المشار إليه بقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾.

أما التقوى في اصطلاح الفقهاء فإن التقوى والنقى خُصّا باتقاء العبد لله تعالى بامتنال أمره واجتناب نهيه والخوف من ارتكاب ما لا يرضاه؛ لأن ذلك هو الذي يقي غضبه وعذابه، والتقوى هي الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، والتقوى في الطاعة يراد بها الإخلاص،

---

(١) ينظر: تفسير الراغب الاصفهاني: لأبي القاسم الحسين بن محمد، (ت: ٥٠٢هـ) تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م (٧٥٧/٢)، وتفسير الشعراوي، (١٩/١١٨٩٣).

(٢) تفسير القرآن الحكيم: رشيد رضا، (٤/٢٦١).

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٠٢).

(٤) تفسير الراغب الاصفهاني، (٢/٧٥٧).

(٥) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: لأبي البقاء القريني، ص، (٣٨).

وفي المعصية يراد بها الترك والحذر<sup>(١)</sup>.

ذكر الجرجاني<sup>(٢)</sup> أن للتقوى عدة معانٍ، وذلك حسب ورود سياق الآية التي وردت فيها كلمة التقوى، فقال: إن "التقوى عند أهل الحقيقة: الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك، والتقوى: في الطاعة: يراد بها الإخلاص، وفي المعصية: يراد بها الترك والحذر، وقيل: أن يتقي العبد ما سوى الله تعالى، وقيل: محافظة آداب الشريعة، وقيل: مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى، وقيل: ترك حظوظ النفس ومباينة النهي، وقيل: ألا ترى في نفسك شيئاً سوى الله، وقيل: أن لا ترى نفسك خيراً من أحد، وقيل: ترك ما دون الله، والمتبع عندهم هو الذي اتقى متابعة الهوى، وقيل: الاقتداء بالنبى ﷺ قولاً وفعلًا"<sup>(٣)</sup>.

وقد جعل الله تعالى التقوى ميزان الحق الذي يوزن الناس به، لا ميزان الحسب والنسب والجاه والمال، يقول تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾<sup>(٤)</sup>.

وهي ميزان النبى ﷺ كما روي عن أبي هريرة ؓ قال: سئل رسول الله ﷺ: من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم لله»<sup>(٥)</sup>، والفضل والكرم إنما هو بتقوى الله لا بغيره من الانتساب إلى القبائل،

---

(١) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت: (من: ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ)، ط: الثانية، طبع الوزارة - الكويت، (١٠٥/٤٣).

(٢) هو: السيد علي بن محمد بن علي، نور الدين، عالم الشرق المعروف بالسيد الشريف الجرجاني، كان مقرئاً مفتياً، أخذ عنه الأكابر، فاضل، من أهل شیراز، كان علامة دهره، توفي بشيراز، (ت: ٨١٦ هـ)، له مصنفات عدة منها، (التعريفات، شرح المواقف للعضد، وحاشية الكشف)، وغيرها، ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان، صيدا، (د، ط) (١٩٧/٢)، والأعلام: للزركلي، (٦/٢٨٨)، والتاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول: لأبي الطيب محمد صديق خان القنوجي، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط: الأولى، ١٤٢٨ هـ، ص، (٣٩٦).

(٣) التعريفات: للجرجاني، ص، (٦٥).

(٤) سورة الحجرات: الآية (١٣).

(٥) متفق عليه أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح رقم (٣٣٨٣) (٤/١٤٩)، باب قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلسَّالِّينَ﴾ وأخرجه مسلم في (صحيحه)، ح رقم (٢٣٧٨) (٤/١٨٤٦)، باب من فضائل يوسف عليه السلام، من حديث أبي هريرة.

وهذه الآيات القرآنية، تدل على أن دين الإسلام دين سماوي صحيح، لا ينظر إلى الألوان ولا إلى العناصر، ولا إلى الجهات، وإنما المعتبر فيه هو تقوى الله - عز وجل - وطاعته، فأكرم الناس وأفضلهم أنقاهم لله، ولا كرم ولا فضل لغير المتقي، ولو بلغ من النسب ما بلغ<sup>(١)</sup>.

ذكر الإمام الغزالي - رحمه الله - أن أحد الصالحين قال لبعض أشياخه أوصني بوصية، قال أوصيك بوصية رب العالمين للأولين والآخرين، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾<sup>(٢)</sup>، ثم قال الإمام: "أليس الله أعلم بصلاح العبد من كل أحد، أو ليس هو أنصح له وأرحم وأرأف من كل أحد، ولو كانت في العالم خصلة هي أصلح للعبد وأجمع للخير وأعظم للأجر وأجل في العبودية وأعظم في القدر وأولى بالحال وأنجح في المال من هذه الخصلة التي هي التقوى لكان الله تعالى أمر بها عباده، وأوصى خواصه بذلك لكمال حكمته وسعة رحمته، فلما أوصى بها الخصلة الواحدة، وجمع الأولين والآخرين من عباده في ذلك واقتصر عليها، علمت أنها الغاية التي لا متجاوز عنها ولا مقصود دونها، وأنه - عز وجل - قد جمع كل نصح ودلالة وإرشاد وتنبيه وتأديب وتعليم وتهذيب في هذه الوصية الواحدة، كما يليق بحكمته ورحمته، أن هذه الخصلة التي هي التقوى هي الجامعة لخيري الدنيا والآخرة الكافية لجميع المهمات المبلغة إلى أعلى الدرجات، وهذا أصل لا مزيد عليه، وفيه كفاية لمن أبصر النور واهتدى وعمل بذلك واستغنى والله ولي الهداية والتوفيق والمنة"<sup>(٣)</sup>.

وكفى هذه السنة شرفاً أنها وصية الله تعالى للأولين والآخرين، وما نالت تلك الوسام إلا لعظمتها وقدرها عند الله، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، (ت: ١٣٩٣هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (١٧/٤١٧، ٤١٨).

(٢) سورة النساء: الآية (١٣١).

(٣) منهاج العابدين: لأبي حامد الغزالي، مطبعة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده - بمصر، ١٣٣٧هـ، ص، (٢٦، ٢٧).

قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَمَا يُزِيدُ هَذِهِ السَّنةَ شَرَفًا أَيضًا هُوَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يحث أصحابه على التحقق بها، فقد روي عن أبي هريرة ؓ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يريد سفرا، فقال: يا رسول الله، أوصني، قال: "أوصيك بتقوى الله، والتكبير على كل شرف،" فلما ولى الرجل، قال النبي ﷺ: "اللهم ازو له الأرض، وهون عليه السفر" (١).

ولسنة التقوى ثمار، فأولى ثمارها الفرقان، يقول تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢)، معنى الآية كما ذكره بعض المفسرين: إن تتقوا الله في كل ما يجب أن يتقى بما يقتضي دينه وشرعه، وبما تقتضي سنته تعالى في شؤون خلقه، فيجعل لكم بمقتضى هذه التقوى هداية ونورا في قلوبكم، تفرقون بها بين الحق والباطل، ونصرا يفرق بين المحق والمبطل بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين، ومخرجا من الشبهات، ونجاة في الدنيا من كل مخاوفها، وفي الآخرة من عذابها وعقابها (٣).

(١) أخرجه أحمد في (مسنده) ح رقم (٨٣١٠) (٦٢/١٤)، وأسناده: حسن، وأخرجه الترمذي في (سننه) (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م، ح، رقم (٣٤٤٥) (٣٧٧/٥)، باب منه، هذا حديث حسن، وصحيح ابن خزيمة: لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة النيسابوري (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، حو رقم (٢٥٦١) (١٤٩/٤)، قال الألباني: إسناده حسن وهو في الصحيحة (١٧٣٠)، باب وصية المسافر بالتكبير عند صعود الشرف والتسبيح عند الهبوط.

(٢) سورة الأنفال: الآية (٢٩).

(٣) ينظر: الكشف: للزمخشري، (٢/٢١٤)، و أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لأبي سعيد عبد الله ناصر الدين عبد الله بن عمر البضاوي، (ت: ٦٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨هـ، (٥٦/٣)، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٣٨/٤)، وفتح القدير: للشوكاني، (٣٤٥/٢، ٣٤٦)، وروح المعاني: شهاب الدين محمود الألوسي، (ت: ١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥هـ، (١٨٤/٥).

\* الفرج والمخرج للمتقين، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۖ﴾ (٢)، (١)، أي: من يخف الله فيعمل ما أمره الله به ويجتنب ما نهاه عنه، ينجيه من المحن والشدائد، ويجعل له مخلصاً من كل شدة ومشقة، ومن كل أمر يضيق عليه، ومن يفوض أمره إلى الله يكفيه ما أهمه من أمر دينه ودنياه (٢)، ولا يقتصر فضل تقوى الله تعالى على تفريج الهموم وكشف الكرب وما شابه ذلك، بل يجعلك آمناً لرزقك، ويؤكد ذلك ما روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس، اتخذوا تقوى الله تجارة يأتاكم الرزق بلا بضاعة ولا تجارة» (٣)، ثم قرأ الآية.

\* معية الله للمتقين خاصه، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (١٢٨) (٤)، ومعنى الآية: أن الله مع الذين اتقوه في جميع أحوالهم، وحافظوا على أنفسهم بالبعد عن كل ما نهاهم الله عنه، فمعية الله تعالى بتوفيقه وعونه وفضله وتأييده ونصره

(١) سورة الطلاق: الآية (٢، ٣).

(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: لأبي محمد بن مختار القيسي، (١٢/٧٥٣٤، ٧٥٣٥)، و زاد المسير: لابن الجوزي، (٢٩٨/٤)، ومفاتيح الغيب: للرازي، (٣٠/٥٦٢)، وفتح القدير: للشوكاني، (٥/٢٨٩)، و تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، (ت: ١٣٧١هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، (د، ت)، ط: الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦ م (٢٨/١٤٠)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص، (٨٦٩).

(٣) المعجم الكبير: لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط: الثانية، (٢٠/٩٦)، باب، خالد بن معدان، عن معاذ بن جبل، وأخرجه أبو الخير شمس الدين محمد بن السخاوي، في المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة، (ت: ٩٠٢هـ) تحقيق: محمد عثمان، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ح، رقم (٣٤٣) ص، (٢٦١). باب حرف التاء المثناة. ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لأبي الحسن نور الدين علي الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م، ح، رقم (١١٤٢١) (٧/١٢٥) باب قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق: ٢)، رواه الطبراني، وفيه إسماعيل بن عمرو البجلي وهو ضعيف.

(٤) سورة النحل: الآية (١٢٨).

لهم<sup>(١)</sup>، ومما يرغب العبد في معية الله تعالى، ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: "يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة"<sup>(٢)</sup>.

وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة أن الذكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه، فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق، وللذاكر من هذه المعية نصيب وافر، والمعية الحاصلة للذاكر معية لا يشبهها شيء، ولا تدركها العبارة، ولا تتألفها الصفة، وإنما تعلم بالذوق<sup>(٣)</sup>. ومعية الله نوعين: معية خاصة وهي معية الله لرسله وأوليائه، كقوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾<sup>(٤)</sup>، ومعية عامة شاملة لجميع المخلوقات، وهي المعية بالعلم، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾<sup>(٥)</sup>، والمراد من كونه تعالى معهم هو كونه عالماً بكلامهم وسرهم وعلنهم عالماً بما تُكنه ضمائرهم، وكأن الله تعالى حاضراً معهم مشاهد لهم، وقد تعالى الله عن المكان والمعاناة<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية، (٤٣٣/٣)، والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (٢٠٣/١٠)، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، (ت: ١٤٣١هـ) الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة- القاهرة، (د، ت)، ط: الأولى، ١٩٩٨م، (٢٦٦/٨)، والتفسير الميسر: نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- السعودية، ط: الثانية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م (١/٢٨١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيح) ح رقم (٧٤٠٥) (١٢١/٩)، باب قوله تعالى (ويحذركم الله نفسه) وأخرجه مسلم في (صحيح)، ح رقم (٢٦٧٥) (٢٠٦١/٤)، باب الحث على ذكر الله تعالى.

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب: لأبن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ) تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث- القاهرة، ط: الثانية، ١٩٩٩م، (١/٦٥، ٦٦).

(٤) سورة التوبة: الآية (٤٠).

(٥) سورة الممتحنة: الآية (٧).

(٦) عشرون حديثاً من صحيح البخاري دراسة اسانيدھا وشرح متونها: عبد المحسن بن حمد العباد البدر، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط: الأولى، ١٤٠٩هـ، (١/١١١).

(٧) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي، (٩٢/٤٩٠).



\* نيل محبة الله تعالى وملائكته، فما نال عبداً شرفاً ومكانة خير من نيل هذا الوسام، يقول تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٤)، ومعنى الآية: أن الله تعالى يحب من عباده المتقين الذين يجتنبون قطع ما أمر الله به أن يوصل بادئ ما أمروا به، واتقاء الشرك والخيانة، وغير ذلك من المعاصي<sup>(٢)</sup>، ويقول تعالى أيضاً: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٧٦)<sup>(٣)</sup>، فإذا أحب الله العبد فرض حبه على أهل السماء وجعل له القبول في الأرض، روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: "إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض..."<sup>(٤)</sup>، بمجرد صدور هذا النداء الرباني إلى الملائكة وأمرهم بحب من أحبه، ينطلق الكون معلناً محبته لمن أحبه الله، ومن فوائد محبة الملائكة للعبد استغفارهم له، وإرادتهم خير الدنيا والآخرة له، وميل قلوبهم إليه لكونه مطيعاً لله محباً له، ومحبة العباد له اعتقادهم فيه الخير، وإرادتهم له دفع الشر عنه<sup>(٥)</sup>.

\* ومن ثمار التقوى أيضاً نيل الولاية، يقول تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا

(١) سورة التوبة: الآية (٤).

(٢) تفسير القرآن الحكيم: رشيد رضا، (١٠/١٦٥)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي، ص، (٣٢٨).

(٣) سورة آل عمران: الآية (٧٦).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (صحيحه)، ح رقم (٣٢٠٩) (٤/١١١)، باب ذكر الملائكة، وأخرجه مسلم في (صحيحه)، ح رقم (٢٦٣٧) (٤/٢٠٣)، باب إذا أحب الله عبداً حبه لعباده.

(٥) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت: ٨٥٢ هـ) الناشر: دار المعرفة - بيروت، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، أخرج وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، علق عليها العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ١٣٧٩ هـ، (١٠/٤٦٢).

يَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾<sup>(١)</sup>، فالولاية لا ينالها إلا من كان له الحظ العظيم والزداد الكثير من التقوى، ومعنى الآية: أن الله تعالى لا يتولى من عباده إلا الأتقياء الانقياء، وما بلغوا هذه الدرجة العالية والمقام الرفيع إلا؛ لأنهم جعلوا عبادتهم وإيمانهم وولاءهم خالصاً لله، فلم يستحق أن يكون قائماً على خدمة المسجد الحرام وحراسته إلا المتقون الذين يتقون الشرك والمعاصي ولا يعبدون سوى الله أحد، ويعظمونه حق تعظيمه، ويتطهرون من الآثام مطلقاً<sup>(٢)</sup>.

وقد "صرح الله تعالى في هذه الآية الكريمة بنفي ولاية الكفار على المسجد الحرام، وأثبتها لخصوص المتقين"<sup>(٣)</sup>.

\* البشرى الطيبة من الله بالرؤيا الصالحة والثناء الحسن، يقول تعالى: ﴿أَلَا إِنَّكَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(١٢)</sup> الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٤﴾.

فالبشارة من الله تعالى في الحياة الدنيا للمؤمنين المتقين من عباده وردت في أكثر من موضع، كما وردت أيضاً في السنة النبوية أنه ﷺ قال «الرؤيا الصالحة من الله..»<sup>(٥)</sup>، وعن أبي هريرة ؓ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات» قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة»<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة الأنفال: الآية (٣٤).

(٢) ينظر: الفواتح الإلهية: نعمة الله بن محمود النخجواني، (ت: ٩٢٠هـ) الناشر: دار ركابي - الغورية، مصر، (د، ت) ط: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م (٢٨٧/١)، والبحر المديد: لأبي العباس أحمد بن محمد الأنجري، (ت: ١٢٢٤هـ) تحقيق: أحمد عبد الله رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، ١٤١٩هـ، (٣٢٨/٢)، والتفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب، (ت: بعد ١٣٩٠هـ) الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة (د، ت، ط) (٦٠٤/٥).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: للشنقيطي، (٥٣/٢).

(٤) سورة يونس: الآية (٦٤).

(٥) أخرجه البخاري (صحيحه)، ح، رقم (٦٩٨٦) (٣٠/٩) كتاب التعبير، باب، الرؤيا الصالحة.

(٦) المصدر السابق:، ح، رقم (٦٩٩٠) (٣١/٩) باب، المبشرات.

أما دليل إثبات البشرى للمؤمن التقى، ما روي عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قيل لرسول الله ﷺ، رأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن»<sup>(١)</sup>.

فمحبة الخلق وثناؤهم للعبد دليل على سبق محبة الله له، وما نيل العبد هذه البشرى في الدنيا إلا دليل على إكرامه وعدم حرمانه من بشرى الآخرة ورضا الله تعالى عنه، وهذا ما نراه في أولئك الموفقين العاملين في حقل الدعوة الإسلامية.

\* ومن ثمار التقوى: تيسير الأمور للإنسان، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾﴾<sup>(٢)</sup>، ومعنى هذه الآيات: "أنه من أعطى أي بذل، واتقى أي محارم الله التي نهى عنها، وصدق بالحسنى أي: أن الله تعالى سيُخلف للعبد على عطائه، فسنيره لليسرى، أي: نرشده لأسباب الخير والصلاح، حتى يسهل عليه فعلها"<sup>(٣)</sup>.

كما دل قوله تعالى: ﴿فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾﴾<sup>(٤)</sup>، على أنه تعالى خص المؤمن بهذا التوفيق، وهو أنه جعل الطاعة بالنسبة إليه أرجح من المعصية، وقوله: ﴿فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾﴾<sup>(٥)</sup> يدل على أنه خص الكافر بهذا الخذلان، وهو أنه جعل المعصية بالنسبة إليه أرجح من الطاعة"<sup>(٦)</sup>.

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه) ح، رقم (٢٦٤٢) (٢٠٣٤/٤)، كتاب البر والصلة، باب، إذا أثني على الصالح فهي بشرى.

(٢) سورة الليل: الآية (٥ - ٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (٨٣/٢٠).

(٤) سورة الليل: الآية (٧).

(٥) سورة الليل: الآية (١٠).

(٦) مفاتيح الغيب: للرازي، (١٨٤/٣١).

يؤيد ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفاً" <sup>(١)</sup>.

ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝٤﴾ <sup>(٢)</sup>، قال صاحب الظلال عند تفسيره هذه الآية: "واليسر في الأمر غاية ما يرجوه إنسان، وإنها لنعمة كبرى أن يجعل الله الأمور ميسرة لعبده من عبادته، فلا عنت ولا مشقة ولا عسر ولا ضيقة، يأخذ الأمور بيسر في شعوره وتقديره، وينالها بيسر في حركته وعمله، ويرضاها بيسر في حصيلتها ونتيجتها، ويعيش من هذا في يسر رخي ندي، حتى يلقي الله" <sup>(٣)</sup>.

"وحقيقة اليسر أنها الخلّة والحالة السهلة النافعة الواقعة له وهي ضد العسر وذلك يتضمن تيسيره للخير وأسبابه فيجري الخير وييسر على قلبه ويديه ولسانه وجوارحه فتصير خصال الخير ميسرة عليه مذللة له منقادة لا تستعصي عليه ولا تستصعب؛ لأنه مهياً لها ميسر لفعالها يسلك سبلها ذللاً وتقاد له علماً وعملاً" <sup>(٤)</sup>.

وقال ابن القيم: "إن الذي يعطي ويتقي ويصدق بالحسنى يكون قد بذل أقصى ما في وسعه؛ ليزكي نفسه ويهديها، عندئذ يستحق عون الله وتوفيقه الذي أوجبه سبحانه - على نفسه بإرادته ومشيئته، ومن يسره الله لليسر فقد وصل، وعاش في يسر، حتى يفيض اليسر من نفسه على كل ما حوله وعلى كل من حوله" <sup>(٥)</sup>.

\* ومن ثمار التقوى أيضاً: نيل العلم وتحصيله، فما اتقى الله عبداً حق التقوى إلا وهبه الله من العلم والمعرفة ما تتجلى فيه قدرته تعالى على جزيل فضله وكرمه، يقول الله تعالى: ﴿

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم (١٤٤٢)، (١١٥/٢) : باب قوله تعالى: (فأما من أعطى واتقى)، وأخرجه مسلم في (صحيحه) ح، رقم (١٠١٠)، (٧٠٠/٢): باب في المنفق والممسك.

(٢) سورة الطلاق: الآية (٤).

(٣) في ظلال القرآن: لسيد قطب، (٣٦٠٢/٦).

(٤) التبيان في أقسام القرآن: لأبن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د، ط)، ص، (٦١، ٦٢).

(٥) في ظلال القرآن: لسيد قطب، (٣٩٢٢/٦).

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾<sup>(١)</sup> ومعنى الآية: أن من اتقى الله في جميع أوامره ونواهيه علمه الله، والعلم من الله هو إرشاد العبد لأمر الدين والدنيا، ويُعد هذا وعد من الله تعالى بإكرام من اتقاه بالعلم وإلقاء النور في قلبه؛ ليفهم ما يلقي إليه<sup>(٢)</sup>، وما أخرج الناس في الإسلام من الظلمات إلى النور إلا بالعلم وبالشرعية، "وأمر بالتقوى؛ لأنها ملاك الخير كله، وبها يكون ترك الفسوق، والأمر بالتقوى إيماء إلى أنها سبب إفاضة العلوم"<sup>(٣)</sup>.

\* ومن ثمارها أيضاً: تعظيم شعائر الله، إن الله تبارك وتعالى قد حث وحض على تعظيم شعائره، ويكفي في ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(٤)</sup>، قال الطبري بعد ذكره أقوال أهل العلم في هذه الآية "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: أن الله تعالى أخبر أن تعظيم شعائره، وهي ما حمله أعلاماً لخلقه فيما تعبدهم به من مناسك حجهم، والأعمال التي ألزمهم عملها في حجهم هي من تقوى قلوبهم، ومعنى تقوى القلوب فإنها من وجل القلوب من خشية الله، وحقيقة معرفتها بعظمته وإخلاص توحيده"<sup>(٥)</sup>. وما أخلق العاقل بالحرص على شيء شهد الله تعالى بأن فيه خيراً وبأن فيه منافع<sup>(٦)</sup>، وقد أضيفت التقوى إلى القلوب؛ لأن حقيقة التقوى ومحلها في القلب.

وهناك إشارة لطيفة، في ذكر البدن، "وذلك أن أصل شراء البدن ربما يحمل على فعل ما لا بد منه، فلا يدل على الإخلاص فإذا عظمها مع حصول الإجزاء بما دونه فلا يظهر له عمل إلا تعظيم الشرع، وهو من تقوى القلوب"<sup>(٧)</sup>، ويؤيد ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

(١) سورة البقرة: الآية (٢٨٢).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي، (٩٩/٧)، والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (٤٠٦/٣).

(٣) التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور، (١١٨/٣).

(٤) سورة الحج: الآية (٣٢).

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري، (٦٢٣/١٨).

(٦) مفاتيح الغيب: للرازي، (٢٢٦/٢٣).

(٧) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (٥٦/١٢).

قال رسول الله ﷺ: "التقوى هاهنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات.."<sup>(١)</sup>، وإذا خشع القلب واتقى، خشعت سائر الجوارح، يقول النعمان بن بشير سمعت رسول الله ﷺ يقول "إن الحلال بين وإن الحرام بين... ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسد، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"<sup>(٢)</sup>.

فشعائر الله تعالى لا يعظمها إلا من عظم الله واتقاه وعرفه حق المعرفة وقدره حق قدره وبلغت التقوى في قلبه ذروتها، وهذا أمر لا خلاف فيه بين المسلمين، وبين كل من يقرأ كتاب الله تعالى وسنة رسوله.

\* ومن ثمار التقوى أيضاً: الحفظ والرعاية من شر الأشرار ومن كل ما يحيك ضد أهل التقوى، فتعتبر التقوى حصانة شاملة من الله تعالى لكل المكائد والمؤامرات التي يحيكها أهل الشرك والنفاق لأهل التقوى، يقول تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾<sup>(٣)</sup>، فالتقوى إحدى الوسائل التي تجعل أهلها تحت رعاية الله وحفظه. وقد ذكر ابن جزى أن للتقوى خمس درجات: "أن يتقي العبد الكفر، وذلك مقام الإسلام، وأن يتقي المعاصي والحرمان وهو مقام التوبة، وأن يتقي الشبهات، وهو مقام الورع، وأن يتقي المباحات وهو مقام الزهد، وأن يتقي حضور غير الله على قلبه، وهو مقام المشاهدة"<sup>(٤)</sup>. ولأهل التقوى علامات يُعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم، من صبر على البلاء ورضي بالقضاء وشكر النعماء وذل لحكم الله...، وقيل إن داود قال لابنه سليمان عليهما السلام: يا بني إنما تستدل على تقوى الرجل بثلاثة أشياء: حسن توكله على الله فيما نابه، ولحسن رضاه فيما أتاه، ولحسن زهده فيما فاتته<sup>(٥)</sup>.

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (٢٥٦٤) (١٩٨٦/٤)، باب تحريم ظلم المسلم، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله.  
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم (٥٢) (٢٠/١)، باب فضل من استبأ لدينه وصحيح مسلم، ح، رقم (١٥٩٩) (١٢١٩/٣)، باب أخذ الحلال وترك الشبهات.  
(٣) سورة آل عمران: الآية (١٢٠).  
(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزى الكلبي، (٦٩/١).  
(٥) الدر المنثور: لأبي بكر عبد الرحمن السيوطي، (٦٢/١).

وروي عن سعيد بن أبي سعيد المقبري<sup>(١)</sup> قال: "جاء رجل إلى عيسى ابن مريم، فقال: يا معلم الخير: علمني شيئاً تعلمه وأجهله، وينفعني ولا يضرني، قال: ما هو؟ قال: كيف يكون العبد تقياً لله عز وجل حقاً؟ قال: بيسير من الأمر، تحب الله حقاً من قلبك، وتعمل له بكودك وقوتك ما استطعت، وترحم بني جنسك برحمتك نفسك، قال: يا معلم الخير، ومن بنو جنسي؟ قال: «ولد آدم كلهم، وما لا تحب أن يؤتى إليك، فلا تأتاه إلى غيرك؛ فأنت تقي لله حقاً»<sup>(٢)</sup>.

هذه بعض علامات أهل التقوى التي يرثونها بتقواهم لله تعالى والتي منحهم الله إياها وجعلها لمن جاهد نفسه من أجل الله تعالى.

يتبين مما سبق أن المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للتقوى يدوران حول مصطلحات متقاربة، حيث يبين أن التقوى هو: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه من سخط الله وغضبه وقاية تقيه من ذلك، ولا يمكن للعبد أن يقي نفسه من ذلك إلا بامتثال أوامر الله تعالى وإتيانها، واجتناب ما نهى عنه وما لا يرضى بإتيانها، ولمكانتها وقيمتها عند الله أوصى بها وصية أبدية ليتحقق بها جميع بنى البشر ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وما أوصى بها إلا لسابق علمه كونها جامعة لخيري الدنيا والآخرة.

(١) هو: أبو سعيد سعيد بن كيسان بن أبي سعيد المقبري، منسوب إلى المقابر؛ لأنه كان يسكن عندها، وقيل: لأن عمر بن الخطاب جعله على حفر القبور بالمدينة، مولى بني ليث من أهل المدينة روى عن أبيه وأبي هريرة وابن عمرو وأنس وغيرهم وعنه مالك بن أنس وابن أبي ذئب والليث وغيرهم روى له الجماعة قال أبو حاتم صدروق وقال ابن خراش ثقة خليل أثبت الناس فيه الليث قال ابن سعد ثقة لكنه اختلط قبل موته بأربع سنين قال الشيخ شمس الدين ما أظنه روى شيئاً في الاختلاط ولذلك احتج به مطلقاً أرباب الصحيح قيل توفي سنة خمس وعشرين وقيل سنة ست وعشرين وقيل سنة ثلاث وعشرين ومائة في خلافة هشام، ينظر: تهذيب الأسماء واللغات: لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، غنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (٢١٩/١)، والوافي بالوفيات: لصالح الدين الصفدي، (١٥٦/١٥).

(٢) الزهد: لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، (ت: ٢٤١هـ) وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ح، رقم (٣٣٢) (٥٢/١)، باب، من مواظ عيسى عليه السلام.

كما أن الله تعالى جعل لمن تحقق بالتقوى فرقاناً يفرق بها بين الحق و الباطل، ويعظم ما عظمه الله، وتيسيراً له في جميع أموره، وتحصيلاً لما ينفعه من العلم، وينال بها معية الله تعالى ومحبه وولايته، وينال أمن المعيشة في الدنيا والفوز برضوان الله تعالى في الآخرة، ويعيش العبد بتقواه لله تعالى في الحياة الدنيا عيشة يرافقها الأمن والاطمئنان والسعادة والاستقرار وراحة البال، فلا شقاوة لمن امتلأ قلبه بتقوى الله، ولا مكانة بعد تقوى للخوف والاضطراب والتشتت.



## **المبحث الثاني**

### **السنن الربانية المتعلقة بالأعمال الصالحة**

وفيه ثلاثة مطالب

**المطلب الأول: العبادات.**

**المطلب الثاني: المعاملات.**

**المطلب الثالث: العمل الصالح.**

## المطلب الأول

### السنن الربانية المتعلقة بالعبادات

من سنن الله تعالى على العباد أن فرض عليهم جملة من العبادات التي يسعد من عمل بها، ويشقى من تركها، فالقيام بهذه العبادات يتحقق بها راحة البال والاطمئنان في الدنيا والسعادة في الآخرة؛ لشمولها على العديد من المثل العالية والمبادئ السامية.

#### العبادة في اللغة:

(عَبَدَ) "العين والباء والdal أصلان صحيحان، كأنهما متضادان، فالأصل الأول العَبْدُ، وَهُوَ الْمَمْلُوكُ، وَالْجَمَاعَةُ الْعَبِيدُ، وَثَلَاثَةُ أَعْبُدِ وَهُمْ الْعِبَادُ، وأما عبد يعبد عبادة، فلا يقال: إلا لمن يعبد الله تعالى، يقال: منه عبد يعبد عبادة، وتعبد يتعبد تعبدًا، فالمتعبد: المتفرد بالعبادة، والأصل الآخر، الْعَبْدَةُ، وَهِيَ الْقُوَّةُ وَالصَّلَابَةُ، يقال: هذا ثوب له عبدة، إذا كان صفيقاً قوياً<sup>(١)</sup>"، و"العبد: الإنسان، حرّاً كان أو رقيقاً، يذهب بذلك إلى أنه مربوب لباريه، جل وعز، ويقال: فلان عبد بين العبودية والعبدية؛ وأصل العبودية الخضوع والتذلل<sup>(٢)</sup>".

وقد ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاتي»<sup>(٣)</sup>.

ففي هذا الحديث دلالة على عدم التكبر على العبيد واستصغارهم من قبل مواليتهم، أو انتساب عبوديتهم إليهم، فلا عبودية إلا لله وحده.

#### والعبادة في الاصطلاح:

وردت عدة معانٍ للعبادة في الاصطلاح، منها: أن العبادة، "هي الطاعة مع الخضوع، ولا يستحقها إلا الله عز وجل، وسمي العبد عبداً؛ لذلته وانقياده لمولاه"<sup>(٤)</sup>.

(١) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (٢٠٥/٤)، (٢٠٦).

(٢) لسان العرب: لابن منظور، (٢٧٠/٣)، (٢٧١).

(٣) أخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (٢٢٤٩) (١٧٦٤/٤)، باب حكم إطلاق لفظة العبد، والأمة، والمولى، والسيد.

(٤) التفسير الوسيط: للواحدى، (٦٨/١).

وقيل هي "المحافظة على حق الله، والورع عن ظلم الناس بالمحافظة على أحكامه"<sup>(١)</sup>.

وقيل أيضاً أن العبادة "عبارة عن الفعل الذي يؤتى به لغرض تعظيم الغير، وهو مأخوذ من قولهم: طريق معبد، أي مذل، أو هي الفعل المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم، لا تليق إلا بمن يصدر عنه نهاية الإنعام، ونهاية الإنعام عبارة عن إعطاء الوجود والحياة، والقدرة والشهوة والعقل، وقد ثبت بالدلائل أن المعطي لهذه الأشياء هو الله تعالى لا غيره، وإذا كان المنعم بجميع النعم هو الله لا غيره، لا جرم كان المستحق للعبادة هو الله تعالى لا غيره"<sup>(٢)</sup>، فهذا دليل على إثبات صحة قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾<sup>(٣)</sup>، أي: لما يحبه الله ويرضاه.

ومن رحمته تعالى وفضله على عباده، أنه من لقي الله لا يشرك به شيئاً نجى من عذاب الله، كما روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: بينا أنا رديف<sup>(٤)</sup> النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا أخرة الرحل، فقال: «يا معاذ بن جبل» قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة ثم قال: «يا معاذ» قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة ثم قال: «يا معاذ» قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: «هل تدري ما حق الله على عباده؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حق الله على عباده أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً»، ثم سار ساعة، ثم قال: «يا معاذ بن جبل» قلت: لبيك رسول الله

---

(١) تفسير الراغب الاصفهاني، (٢٩/١).

(٢) مفاتيح الغيب: للرازي، (٢٠٨/١) (٢٢٣/٢٠).

(٣) سورة الإسراء: الآية (٢٣).

(٤) (الرَدْفُ): الرَّكْبُ، خَلْفَ الرَّكْبِ، كَالْمُرْتَدِفِ، وَرَدَفَ لَمْ يَرُدْفِ، رَدْفًا، فَهُوَ رَدْفٌ وَرَدِيفٌ، وَإِذَا تَتَابَعَ شَيْءٌ خَلْفَ شَيْءٍ فَهُوَ التَّرَادُفُ، وَتَرَادُفُ الشَّيْءِ: أَيُ تَبَعَ بَعْضُهُ بَعْضًا. وَالتَّرَادُفُ: التَّتَابُعُ. يَنْظُرُ: تَهْذِيبُ اللُّغَةِ: لِلْأَزْهَرِيِّ، (٦٨/١٤)، وَلِسَانُ الْعَرَبِ: لِأَبْنِ مَنْظُورٍ، (١١٥/٩)، وَتَاجُ الْعُرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ: لِأَبِي الْفَيْضِ، (٣٣٥/٢٣).

وسعديك، فقال: «هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حق العباد على الله أن لا يعذبهم»<sup>(١)</sup>.

ولنا وقفات مع سنن الله تعالى في بعض هذه العبادات منها.

- الصلاة وسنة الله تعالى فيها، ولمكانة هذه العبادة في الإسلام أنها من العبادات التي لا تسقط مهما كانت حالة الإنسان، إلا في حالة ذهاب العقل، يقول تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ خَشْيَةً﴾ (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرَجَلًا أَوْ كَبْنَا <sup>ط</sup>... (٢٣٩) ﴿...﴾<sup>(٢)</sup>، أي: أنها لم تسقط ولم تخفف حتى مواطن الجهاد، ولشرف هذه العبادة جعلها الله عمود هذا الدين وأحد أركان الإسلام، ولقد ورد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه عليه السلام قال: " ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ " فقلت: بلى يا رسول الله، قال: " رأس الأمر الإسلام، وعموده وعموده وذروة سنامه الجهاد .."<sup>(٣)</sup>، فلو سقط هذا العمود لما صح بدونه أي بناء، فسنة الله تعالى في هذه العبادة أنه ما من مسلم قام بهذه العبادة وأدى حقها على أكمل وجه، إلا نال من الله الرضا والاطمئنان وصلاح الحال والأولاد، والسعة في الرزق في الدنيا، ونال الأجر في الآخرة، ولها فضائل عديدة، أما سنته تعالى في من ترك الصلاة عمداً، فهو كافر لقول الإمام أحمد وغيره: لا يكفر أحد بذنوب إلا تارك الصلاة عمداً، فإن ترك صلاة إلى أن يدخل وقت صلاة أخرى يستتاب ثلاثاً، وبه قال: آخرون<sup>(٤)</sup>.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم، (٥٩٦٧) (١٧٠/٧)، باب إرداف الرجل خلف الرجل، وأخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم، (٣٠) (٥٨/١)، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك دخل الجنة وحرم على النار.

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٣٨، ٢٣٩).

(٣) أخرجه أحمد في (مسنده)، ح، رقم، (٢٢٠١٦) (٣٤٥/٣٦)، وأخرجه الترمذي في (سننه)، ح، رقم (٢٦١٦) (٣٠٨/٤)، باب ما جاء في حرمة الصلاة، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٤) ينظر: الإقناع لابن المنذر: لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، (ت: ٣١٩هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ، (٢/٦٩١)، ومختصر اختلاف العلماء: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي المعروف بالطحاوي، (ت: ٣٢١هـ) تحقيق: د. عبد الله نذير أحمد، الناشر: دار البشائر الإسلامية- بيروت، ط: الثانية، ١٤١٧هـ، (٤/٣٩٣)، و المحلى بالآثار: لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي، (ت: ٤٥٦هـ) الناشر: دار الفكر- بيروت، (د، ت، ط) (٣٨٣/١٢).

وقال الإمام الشافعي وغيره: يستتاب فإن تاب وإلا قتل، وقال الزُّهري<sup>(١)</sup>: إن كَانَ إنما تركها ابتدع ديناً غير الإسلام قتل، وإن كَانَ إنما هو فاسق ضرب ضرباً مبرحاً، وسجن، وقيل: يضرب ويحبس حتَّى يصلي<sup>(٢)</sup>.

- الزكاة وسنة الله تعالى فيها، ولقيمة هذه السنة جعلها الله تعالى أحد أركان الإسلام الخمسة، وقد دل على وجوبها الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، فسنة الله تعالى في من امتثل لهذه السنة ولم ينكرها أن يزداد إيمانه، وينال رضى الله والسعادة في الدنيا والآخرة، وينال بأداء هذه السنة الأجر الكبير المضاعف، يقول تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>، وورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربها لصاحبه، كما يربي أحدكم فلوه<sup>(٤)</sup> أو قلوصله<sup>(٥)</sup>، حتى تكون مثل الجبل أو أعظم<sup>(٦)</sup>».

---

(١) هو: أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي، ولد سنة ثمان وخمسين في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان، وهي السنة التي ماتت فيها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قدم مصر على عبد العزيز بن مروان، روى عنه كثير من أهل مصر، كان ثقة كثير الحديث والعلم والرواية فقيها جامعاً، أول من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء، تابعي، وهو آخر حدّ الحجاز وأول حد فلسطين، وبداء، واد قرب أيلة من ساحل البحر، فأقام فيها فمرض هناك فمات وأوصى أن يدفن على قارعة الطريق، (ت: ١٢٤ هـ)، ينظر: تاريخ دمشق: لأبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، (ت: ٥٧١ هـ) تحقيق: عمرو العمروي، الناشر: دار الفكر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م (٣٠٧/٥٥ - ٣١١)، وتاريخ الإسلام: للذهبي، (٣/٣٥٦)، والوفيات: لأبي العباس أحمد بن حسن بن الخطيب الشهير بابن قنفذ، (ت: ٨١٠ هـ) تحقيق: عادل نويهض، الناشر: دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط: الرابعة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ص، (١١٨).

(٢) ينظر: الاقناع لأبن المنذر، (٢/٦٩١)، والمحلّى بالآثار: للقرطبي، (١٢/٣٨٣).

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٧٦).

(٤) (فلوه) المهر، لانه يفتلى، أي يطم، ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: للجوهري، (٦/٢٤٥٦).

(٥) (قلوصه): أي: الناقة الفتية ولا يطلق على الذكور، صحيح مسلم، (٢/٧٠٢).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم (١٤١٠) (٢/١٠٨)، باب الصدقة من كسب طيب، وأخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (١٠١٤) (٢/٧٠٢)، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب.

ومن سنته تعالى في المزكي إلحاقه بركب الأسخياء والكرماء والرحماء، وتطهيراً للنفس من البخل والطمع والشح والإقتار، ومن القسوة على الفقراء المعدمين، يقول تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، وتزكية نفس المزكي أي: تتميها بالخيرات وترفعها حتى تكون أهلاً لنيل السعادة في الدنيا والآخرة.

أما سنته تعالى في من جردها فهو كافر مرتد؛ كونه أنكر معلوماً من الدين بالضرورة كما ذكر الفقهاء<sup>(٢)</sup>، أما من منعها بخلاً أو تكاسلاً وهو في قبضة الإمام فعلى الإمام أن يأخذها منه قهراً<sup>(٣)</sup>؛ لقوله ﷺ "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله..." فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً<sup>(٤)</sup> كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها<sup>(٥)</sup>.

وذهب جمهور الفقهاء أنه إذا أخذت الزكاة قهراً من مانعها وهو تحت قبضة الإمام، فلا يأخذ معها شيء من ماله، واستدلوا بما روي عن فاطمة بنت قيس<sup>(٦)</sup>، أنها سمعته تعني

(١) سورة التوبة: الآية (١٠٣).

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية: (٢٣١/٢٣).

(٣) المصدر السابق، (٢٣٠/٢٣).

(٤) (عناقاً): الأنثى من ولد المعز التي لم تبلغ سنة، وجمعها عنوق وهذا جمع نادر، ينظر: غريب الحديث والأثر: لابن الجوزي، (١٣١/٢).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه) ح، رقم (١٣٩٩) (١٠٥/٢)، باب وجوب الزكاة، وأخرجه مسلم في (صحيحه) ح، رقم (٢٠) (٥١/١) باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(٦) هي: فاطمة بنت قيس بن خالد الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر القرشية الفهرية أخت الضحاك بن قيس، وكانت من المهاجرات الأول، لها عقل وكمال، وهي التي طلقها أبو حفص بن المغيرة، فأمرها رسول الله ﷺ أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم، وتزوجت معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وقدمت الكوفة، وهي التي اجتمع في بيتها أصحاب الشورى بعد مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، و تكرر ذكرها في المختصر والمهذب، وحديثها صحيح معروف ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة: لأبي الحسن علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، (٢٢٤/٧)، وتهذيب الأسماء واللغات: للنووي (٣٥٣/٢).

النبي ﷺ يقول: «ليس في المال حق سوى الزكاة»<sup>(١)</sup>.

وذلك بأن الصحابة- رضي الله عنهم- لم يأخذوا شيء زيادة على زكاة أولئك الأعراب الذين رفضوا دفع الزكاة في زمن أبي بكر.

ومن سنن الله تعالى في المزكي أن يوضع له البركة في المال والصحة في الأبدان، كما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، وأعدوا للبلاء الدعاء»<sup>(٢)</sup>.

وهذه السنة ملموسة في أرض الواقع، فكم شخص ابتلاه الله بمرض فتردد على أكثر من طبيب لكن دون جدوى، فلما أخرج اليسير من المال وتصدق به بنية الشفاء برئ مما كان يشتكى منه بإذن الله.

---

(١) انظر: سنن ابن ماجه، باب ما أدى زكاته ليس بكنز، ح، رقم (١٧٨٩) (٥٧٠/١)، وقال الألباني، ضعيف منكر، والسنن الكبرى: لأبي بكر أحمد ابن الحسين بن علي البيهقي، (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ح، رقم (٧٢٤٢) (١٤٢/٤)، باب الدليل على أن من أدى فرض الله في الزكاة فليس عليه أكثر منه إلا أن يتطوع، فهذا حديث يعرف بأبي حمزة ميمون الأعور كوفي وقد جرحه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين فمن بعدهما من حفاظ الحديث، والذي يرويه أصحابنا في التعاليق ليس في المال حق سوى الزكاة فليست أحفظ فيه إسناداً، والذي رويت في معناه ما قدمت ذكره.

(٢) انظر: المعجم الأوسط: لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، (ت: ٣٦٠هـ) تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة، (د، ط) ح، رقم (١٩٦٣) (٢٧٤/٢)، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم الأصبهاني، (٢٣٧/٤)، باب الأسود بن يزيد النخعي ومنهم القارئ القوام الساري الصوام الفقيه الأثير، الفقير الأسير، الأسود بن يزيد النخعي، وترتيب الأمالي الخميسية للشجري: يحيى بن الحسين بن إسماعيل الشجري الجرجاني، (ت: ٤٩٩هـ) رتبها: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ح، رقم (١٠٣٢) (٢٩٧/١)، باب. في التوبة وما يتصل بذلك.

وفي المقابل أيضاً أن سنة الله تعالى تجري على من لم يترك بهلاك المال؛ لما روي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه <sup>(١)</sup> قال: أتى رسول الله ﷺ وهو قاعد في ظل الحطيم <sup>(٢)</sup> بمكة، فقيل: يا رسول الله أتى على مال أبي فلان بسيف البحر فذهب، فقال رسول الله ﷺ: «مَا تَلَفَ مَالٌ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ إِلَّا بِمَنْعِ الزَّكَاةِ...» <sup>(٣)</sup>.

فسنة الله تعالى جارية سواء على من التزم بالشرع من فعل أو ترك، أو خالف الشرع من فعل أو ترك، فمن التزم بسنته أعطاه أجره، ومن خالف سنته نال جزاءه.

---

(١) هو: عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، ويكنى أبا الوليد، وكان لعبادة بن الصامت من الولد الوليد وأمه جميلة بنت أبي صعصعة، ومحمد وأمه أم حرام بنت ملحان، وشهد عبادة العقبة مع السبعين من الأنصار في روايتهم جميعاً وهو أحد النقباء الاثني عشر، وأخى رسول الله ﷺ - بين عبادة بن الصامت وأبي مرثد الغنوي، وشهد عبادة بدرًا وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ - وكان عبادة عقيباً نقيباً بدرياً أنصاريًا، ومات بالرملة من أرض الشام سنة أربع وثلاثين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، توفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان بالشام، ينظر: الطبقات الكبرى: لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، (٤١٣/٣).

(٢) (الحطيم): قيل أنه الذي فيه الميزاب، وإنما سمي حطيماً لأن البيت رفع وترك ذاك محطوماً، وقيل جدار جُبرِ الكعبة، ينظر: تهذيب اللغة: للأزهري، (٢٣١/٤)، والصاحح تاج اللغة وصحاح العربية: للجوهري، (١٩٠١/٥)، وتفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: لأبي عبد الله بن أبي نصر محمد بن فتوح الأزدي، (ت: ٤٨٨هـ) تحقيق: الدكتور: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر: مكتبة السنة - القاهرة - مصر، ط: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ص، (١٧١)، و مشارق الأنوار على صحاح الآثار: لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، (ت: ٥٤٤هـ) الناشر: المكتبة العتيقة ودار التراث، (١٩٢/١)، ولسان العرب: لابن منظور، (١٤٠/١٢).

(٣) انظر: الدعاء: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (ت: ٣٦٠هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤١٣هـ، (٣٤/٣١)، و معجم الشيوخ: لأبي القاسم ثقة الدين، علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، (ت: ٥٧١هـ) تحقيق: الدكتور: وفاء تقي الدين، الناشر: دار البشائر - دمشق، ط: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ح، رقم (١٥٤٤) (١١٨٢/٢)، حديث غريب وإبراهيم لم يدرك عبادة.



- الصوم وسنة الله تعالى فيه، إذ يُعد الركن الرابع من أركان الإسلام، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ (١٨٣) (١)، فمن سنن الله تعالى التي أودعها في هذه العبادة، أنه جعلها إحدى السنن التي يستجاب بها الدعاء، كما صح ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يرد دعاؤهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم» (٢).

ومن سنن الله تعالى الملحوظة في هذه العبادة، الشعور بالصحة والعافية في الأبدان، وهذه ما يؤكد قول أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صوموا تصحوا» (٣)، فبالصوم تتجدد البنية ويتخلص الجسم من الرواسب والتخمرات الضارة، وترتاح الأعضاء وتقوى الذاكرة، ويكسر حدة الشهوة، ويعمل على التخفيف من تأثيرها وسلطانها، وهذا مفاد قوله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (٤).

فهذه بعض سنن الله تعالى التي لا ينالها عبدٌ في الدنيا إلا إذا التزم بشرع الله ومشى وفق سنة الله في هذه العبادة، ولشرف هذه العبادة أنها الوحيدة من بين سائر العبادات التي نُسبت

(١) سورة البقرة: آية (١٨٣).

(٢) أخرجه أحمد في (مسنده)، ح، رقم (٧٤٢) (٤٣٦/١٥)، وأخرجه ابن ماجه في (سننه)، ح، رقم (٧٥٢) (٥٥٧/١)، باب في الصائم لا ترد دعوته، وقال الألباني ضعيف وصح منه شطره الأول لكن بلفظ المسافر وفي رواية الوالد مكان الإمام، والسنن الكبرى: للبيهقي، ح، رقم (٦٣٩٣) (٤٨١/٣). باب استحباب الصيام للاستسقاء لما يرجى من دعاء الصائم

(٣) الطب النبوي: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، تحقيق: مصطفى التركي، الناشر: دار ابن حزم، ط: الأولى، ٢٠٠٦م، ح. رقم (١١٣) (٢٣٦/١)، باب تدبير الصحة وأن الصوم مصحة.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم (٥٠٦٥) (٣/٧)، باب قول النبي ﷺ: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج» وهل يتزوج من لا أرب له في النكاح " وأخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (١٤٠٠) (١٠١٨/٢). باب استحباب النكاح لمن تاقته نفسه إليه، ووجد مؤنه.

إلى الله تعالى، كما روي ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: « قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به.. » <sup>(١)</sup>.

وهي التي خصها الله بأحد أبواب الجنة المسمى الريان، لقوله ﷺ: «إن في الجنة باباً يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، .. » <sup>(٢)</sup>.

وكونه أحد العبادات التي تشفع لصاحبها يوم القيامة، كما روي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: " الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل، فشفعني فيه "، قال: « فيشفعان » <sup>(٣)</sup>.

فهذه بعض سنن الله تعالى التي لا يحضها بها عبدٌ في الآخرة إلا لمن امتثل لأمره تعالى والتزم بشرعه في هذه العبادة، فمقتضى العبادة التي نسعى لنشر مفهومها الصحيح في أواسط المجتمع هي العبادة التي تجعل أقوال وأفعال الفرد المسلم وكافة تصرفاته وسلوكه وعلاقاته مع الناس وفق المناهج التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، فيفعل كل ذلك طاعة لله تعالى واستسلاماً لأوامره.

فإذا أرادت الأمة الإسلامية اليوم أن يتحقق لها وعد الله تعالى بالتمكين والاستخلاف في الأرض، فما عليها إلا أن تقوم بصياغة حياتها صياغة جديدة وفق المنهج الرباني، حتى

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم (١٩٠٤) (٢٦/٣)، باب، هل يقول إنني صائم إذا شتم، وأخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (١١٥١) (٨٠٧/٢)، باب، فضل الصيام.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم (١٨٩٦) (٢٥/٣)، باب الريان للصائمين، وأخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (١١٥٢) (٨٠٨/٢)، باب فضل الصيام، الكل من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد في (مسنده)، ح، رقم (٦٦٢٦) (١٩٩/١١)، إسناده ضعيف، ابن لهيعة - واسمه عبد الله -، وحبي بن عبد الله، كلاهما ضعيف، والمعجم الكبير: للطبراني، ح، رقم (٨٨) (٣٨/١٣)، والمستدرک على الصحيحين: للحاكم، ح، رقم (٢٠٣٦) (٧٤٠/١)، باب أخبار في فضائل القرآن جملة، هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

تصبح كل حياتها عبادة منذ بداية التكليف حتى لحظة الموت، امتثالاً وتحقيقاً لقوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، فما أوصل الأمة اليوم من الضياع والضعف وعدم القدرة على الوقوف أمام أعدائها، إنما بسبب فقدانها لأهم شروط التمكين والاستخلاف المتمثل في التحقيق الشامل لمفهوم العبودية.

من خلال ما سبق تبين لنا قيمة هذه العبادات وغيرها إذا قام العبد بأدائها كما أمره الله تعالى، فلا يمكن للعبد أن يتحقق فيه العبودية الحقّة لله تعالى إلا إذا تمثل بهذه العبادات وأقامها في حياته، وبتحقيق العبد لهذه العبودية ينال شرف القرب من الله تعالى ورضوانه وإسعاده في الدنيا قبل الآخرة، وقس على هذه العبادات جميع ما أمر الله تعالى عباده من القيام بها.

---

(١) سورة الأنعام: آية (١٦٢).

## المطلب الثاني

### السنن الربانية المتعلقة بالمعاملات

من خلال تتبع آيات الله تعالى الناطقة أو الصامته تتضح عظمة الخالق وعدله في الإثابة والعقاب باعتبار الجزاء من جنس العمل فسننه تعالى في الكون تتناغم ومعاملات البشر مع بعضهم البعض كأفراد داخل أسرة أو جماعات داخل مجتمعات أو حتى على مستوى المعاملات الدولية بين الدول والتي تقود كل لبيب وذي عقل وقلب سليم بأن ناموس هذا الكون لا يتغير ولا يتبدل وفق معطيات المعاملات ومدى موافقتها لشرع الله وسننه وعندئذ تنعكس على حياتهم بالخير والبركة في الأعمار والأرزاق وغيرها، أما إذا كانت المعاملات مخالفة للشرع الإلهي فالعاقبة والسنة عندئذ هي الهلاك والدمار في الدنيا والآخرة، وهنا سنذكر بعض من تلك المعاملات وكيف تكون سنة الله فيها ولكون سنن الله تعالى في المعاملات كثيرة، ويكتفي الباحث بذكر حالة واحدة وهي سنة الله تعالى في أرباب الربا باعتبارها كارثة؛ وذلك لما يلحق بالمجتمعات والدول من أضرار.

أولاً: الربا في اللغة: هو: الزيادة على رأس المال، لكن خص في الشرع بالزيادة على وجه دون وجه، ومنه، ربا: إذا زاد وعلا، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۖ﴾<sup>(١)</sup> أي: زادت زيادة المتربي، ويقول تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَا يَاسْأَلُكُمْ عَنْهُ الْقُلُوبُ غَرَبْتُمْ عَنْ يَوْمَئِذٍ ۖ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> أي: زائدة، وقد أربى الرجل، أي: دخل في الربا، وربا فلان: حصل في ربوة، وسميت الربوة رابية كأنها ربت بنفسها في مكان، ويعتبر الزيادة، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَتَيْتُم مِّن رَّبٍّ لِّرَبِّوٓا۟ فِيٓ أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِبُوٓا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ﴾<sup>(٣)</sup>،<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الحج: آية (٥).

(٢) سورة الحاقة: آية (١٠).

(٣) سورة الروم: آية (٣٩).

(٤) المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني، ص، (٢٤٠)، و الصحاح تاج اللغة: للجوهري، (٦/٢٣٥٠).

ثانياً: الربا في الاصطلاح: يتبين للباحث أن الربا في القرآن الكريم أتى بمعنى النمو والزيادة والعلو، يقول تعالى: ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۗ﴾<sup>(١)</sup>، أي: أكثر عدداً وأوفر مالاً بالنسبة للأمة الأخرى<sup>(٢)</sup>،

ومما ورد بمعنى العلو قوله تعالى: ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ۚ﴾<sup>(٣)</sup>، فالرابي هو: المرتفع على ما سواه، كما أنه تشبيه لارتفاع الحق على الباطل<sup>(٤)</sup>.

فسنة الله تعالى في الربا، أنه ما من أحد ولج في التعامل به إلا أهلكه وماله، ولا يقبل منه شيء، يقول تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ۚ﴾<sup>(٥)</sup>، أي: ينقصه ويذهب ببركته في الدنيا ويهلك المال الذي يدخل فيه، ويقول ابن عباس رضي الله عنه: يحق الله الربا، يعني: لا يقبل منه صدقة ولا جهاداً ولا حجا ولا صلة، ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: "الربا وإن كثر إلى قُلٍ"<sup>(٦)</sup>.

ويقول تعالى أيضاً: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۚ﴾<sup>(٧)</sup>، أي: ذروا ما بقي لكم من فضل على رؤوس أموالكم التي كانت قبل أن تربوا عليها، مع إيجاب أخذ المال دون الزيادة<sup>(٨)</sup>.

---

(١) سورة النحل: آية (٩٢).

(٢) تفسير القرآن: للسمعاني، (١٩٨/٣)، والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (١٧١/١٠)، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٥١٥/٤)، والجواهر الحسان في تفسير القرآن: للثعالبي، (٤٤٠/٣).

(٣) سورة الرعد: آية (١٧).

(٤) تفسير الماوردي: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان (١٠٦/٣)، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٥٢٣/٢)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية، (٧٠/٣).

(٥) سورة البقرة: آية (٢٧٦).

(٦) معالم التنزيل في تفسير القرآن: للبغوي، إحياء التراث، (٣٨٦/١)، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري، (٣٢١/١)، وفتح القدير: للشوكاني، (٣٤٠/١)، وتفسير القرآن الحكيم: لرشيد رضا، (٨٤/٣).

(٧) سورة البقرة: آية (٢٧٨).

(٨) الجامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري، (٢٢/٦)، والوسيط في تفسير القرآن المجيد: للواحيدي، (٣٩٧/١).

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾<sup>١</sup> ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴿٢٧٥﴾<sup>(١)</sup> ، الذين يأكلون الربا، أي: الذين يعاملون به، وإنما خص الأكل؛ لأنه معظم المقصود من المال لا يقومون، يعني: يوم القيامة من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه، أي: يصرعه الشيطان، أصل الخبط: الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء، وأكل الربا يبعث يوم القيامة كمثل المصروع<sup>(٢)</sup>، وروي عن جابر رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه»، وقال: «هم سواء»<sup>(٣)</sup>.

ومما يدل على تحريم الربا في السنة ما ذكره أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "جاء بلال رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بتمر ردي، فقال له النبي ﷺ، من أين هذا؟ قال بلال كان عندنا تمر ردي، فبعت منه صاعين بصاع؛ لنطعم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ عند ذلك: «أوه أوه»<sup>(٤)</sup>، عين الربا عين الربا، لا تفعل، ولكن إذا أردت أن تشتري فبع التمر ببيع آخر، ثم اشتره»<sup>(٥)</sup>.

فالشريعة الإسلامية إذا حرمت شيئاً أو صدت جميع الطرق والأسباب التي تدعو إليه أو تكون سبباً في الوصول إليه حتى لا يقترب الإنسان منه أصلاً، وذلك ما أوضحه النبي ﷺ بمثل ضربه لأمته يقوله: «الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من

(١) سورة البقرة: آية (٢٧٥).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن: للبغوي، إحياء التراث، (٣٨١/١).

(٣) أخرجه مسلم في (صحيحه) ح، رقم (١٥٩٨) (١٢١٩/٣)، باب لعن آكل الربا ومؤكله.

(٤) (أوه) حكاية المتأوه في صوته، وقد يفعله الإنسان من التوجع، والآهة من التأوه، وهو التوجع، ينظر: العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، (١٠٤/٤)، وتهذيب اللغة: للأزهري، (٢٥٤/٦)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (٢٢٢٥/٦).

(٥) أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم (٢٣١٢) (١٠١/٣)، باب: إذا باع الوكيل شيئاً فاسداً، فبيعه مردود.

الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات، كراع يرمى حول الحمى، يوشك أن يواقعها، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه»<sup>(١)</sup>.

فالحكمة من تحريم الربا أن فيه ظلماً واضحاً لا سيما في الربا الديون وربا القرض؛ لأن فيه أخذ مال من غير عوض؛ لأن من يبيع درهماً بدرهمين إلى أجل يحصل له زيادة درهم من غير عوض ولا جهد ولا عمل ولا تعرض لربح وخسارة وإنما يعيش على كد وسعي الآخرين، فهو يشارك العامل في معمله والتاجر في متجره والزارع في زرعه، والصانع في مصنعه، من غير أن يقوم هو بأي عمل وإنما تأتيه أرباحه وهو في بيته، وبينما غير كادح وجَلّ متوقع للخسارة في عمله وماله.

ومن خلال تتبع آيات تحريم الربا نجد أن الشريعة الإسلامية لم تحرمه من أول وهلة كبقية الأحكام وذلك مراعاة لنفسيات وأوضاع الناس المالية فتم التحريم بالتدرج حتى كان التحريم النهائي في حجة الوداع لقوله ﷺ: «.. ألا وإن كل ربا كان في الجاهلية موضوع، وإن الله قضى أن أول ربا يوضع، ربا العباس بن عبد المطلب، لكم رءوس أموالكم، لا تظلمون، ولا تظلمون»<sup>(٢)</sup>.

كما أن هذا التعامل هو أحد الكبائر والكبيرة الوحيدة التي جعل القرآن الكريم تولى حربها من قبله تعالى؛ لمالها من ملامسة لأقوات الناس وأرزاقهم والتحكم بها، في حين تكفل سبحانه وتعالى بالأرزاق للبشرية من أن كانوا في الأرحام وأن مكان الرزق منه جل في علاه، وليس من دونه فلا يلتفتوا لغيره، قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وبالتالي فإن ما شهدته البشرية في العقدين الأخيرين في بداية القرن الواحد والعشرين في مختلف دول العالم خصوصاً الغرب وأوروبا وأمريكا رغم تطورهم وتحكمهم بمعظم الاقتصاديات للدول حسب منظورهم الدوني حيث اجتاحتهم طوفان عارم شل حركتهم الاقتصادية ووضعهم

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، ، ح، رقم (٥٢) (٢٠/١) باب فضل من استبرأ لدينه.

(٢) أخرجه أحمد في (مسنده)، ح، رقم (٢٠٦٩٥) (٢٩٩/٣٤)، باب حديث عم أبي حرة الرقاشي.

(٣) سورة الذاريات: الآية (٢٢).

أمام أزمة مالية خانقة لازالت تعاني منها إلى اليوم ويرجع السبب في ذلك هي تعاملاتهم الربوية وفرض الفوائد الربوية المجحفة على الدول الفقيرة التي استكانت وخضعت لهم ولأذنانهم ونظرياتهم الاقتصادية الرأسمالية ولم تنج منها حسب إحصائيات دقيقة سوى الدول التي لا تتعامل بنوكها بالربا؛ كون بنوكها إسلامية تطبق النظرية الإسلامية في الاستثمار بدل الربا كما ليزيا وباكستان والسودان والبحرين وهذا يقودنا إلى تلك السنة والحقيقة الربانية بأن من تعامل بالربا فعليه أن ينتظر الحرب من الله؛ فيصيبه الفقر والإفلاس وكل آفة مالم يتوب ويرجع إلى الله تعالى.



### المطلب الثالث

#### السنن الربانية المتعلقة بالعمل الصالح

إن من سنن الله تعالى في خلقه هو إعطاء كل ذي حق حقه، فمن عمل صالحاً نال أجره، ومن عمل غير ذلك أخذ جزاءه، فبعض آيات القرآن الكريم التي يُذكر فيها الإيمان تأتي الأعمال الصالحة تارة أو التقوى أو الصبر تارة أخرى معطوفة عليه، حتى لا يكون الإيمان مقتصرًا على التصديق بالقلب فقط.

فالقيام بالأعمال الصالحات من الإيمان بل ولا يتحقق الإيمان إلا بها وتُعد من لوازم الإيمان، فمن ادعى الإيمان ولم يوجد دليل يؤكد على ما يدعيه، وذلك بالقيام بما أمره الله ورسوله به من الواجبات وترك المنكرات، فليس بصادق في دعواه.

ومن الأدلة التي يُستدل بها في صدق من ادعى الإيمان: ما روي عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-، أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فاستقبله شاب من الأنصار يقال له: حارثة بن النعمان، فقال له: «كيف أصبحت يا حارثة؟ قال: أصبحت مؤمناً حقاً، قال: فقال رسول الله ﷺ: انظر ما تقول، فإن لكل حق حقيقةً فما حقيقة إيمانك؟ قال: فقال: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة كيف يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار كيف يتعادون فيها، فقال له النبي ﷺ: أبصرت أو عرفت فالزم، مرتين أو ثلاث، عبد نور الله الإيمان في قلبه»<sup>(١)</sup>. فدليل صدق إيمان العبد هو القيام بالأعمال الصالحة.

---

(١) المنتخب من مسند عبد بن حميد: لأبي محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكشي، (ت: ٢٤٩هـ) تحقيق: صبحي البدري السامرائي، وآخرون، الناشر: مكتبة السنة - القاهرة، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م ح، رقم (٤٤٥) ص، (١٦٥)، وجاء في المنتخب، بصيغة، «يا حارث، عرفت فالزم، ثلاث مرات» شعب الإيمان: للبيهقي، باب، الزهد وقصر الأمل، ح، رقم (١٠١٠٦) (١٥٨/١٣)، وورد بصيغة، "يا حارثة، عرفت فالزم قالها ثلاثاً".

## العمل الصالح في اللغة.

(عمل): العين والميم واللام أصل واحد صحيح، وهو عام في كل فعل يفعل، وقيل: عمل يعمل عملاً، فهو عامل، واعتمل الرجل، إذا عمل بنفسه، والعمالة: أجر ما عمل<sup>(١)</sup>، وعمل الرجل عملاً: فعل فعلاً عن قصد، و العامل: من يعمل في مهنة، أو صناعة<sup>(٢)</sup>، واستعمله، أي: طلب إليه العمل<sup>(٣)</sup>، و العمل أخص من الفعل؛ لأنه فعل بنوع مشقة<sup>(٤)</sup>.

## العمل الصالح في الاصطلاح.

العمل: كل فعل يكون من الحيوان بقصد، فهو أخص من الفعل؛ لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد، وقد ينسب إلى الجمادات، والعمل قلما ينسب إلى ذلك، ولم يستعمل العمل في الحيوانات إلا في قولهم: البقر العوامل، والعمل يستعمل في الأعمال الصالحة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾<sup>(٥)</sup>، كما يستعمل العمل أيضاً في الأعمال السيئة<sup>(٦)</sup>، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٧)</sup>، والفرق بين الفعل والعمل: أن العمل هو: إيجاد الأثر في الشيء، يقال: فلان يعمل الطين خزفاً، ويعمل الخوص زنبيلًا، والأديم سقاء، ولا يقال يفعل ذلك؛ لأن فعل ذلك الشيء هو إيجاده على ما ذكر هنا<sup>(٨)</sup>، وقال الله

(١) معجم مقاييس اللغة: لأبن فارس، (١٤٥/٤).

(٢) القاموس الفقهي: د/ سعدي أبو حبيب، الناشر: دار الفكر، دمشق - سورية، ط: الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م (د، ت) ص، (٢٦٢).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: للجوهري، (١٧٧٥/٥)، ومختار الصحاح: للرازي، ص، (٢٨٤).

(٤) تاج العروس: لأبي الفيض، (٥٥/٣٠).

(٥) سورة الكهف: الآية (١٠٧).

(٦) المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني، ص، (٥٨٧).

(٧) سورة الأعراف: الآية (١٥٣).

(٨) الفروق اللغوية: لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (ت: نحو ٣٩٥هـ)

حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر (د، ط) (١٣٤/١).

تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup> ، أي: أن الله هو الذي خلقكم وخلق عملكم، إن كانت ما مصدرية، أما إذا كانت (ما) بمعنى الذي فتقدير الكلام أن الله هو الذي خلقكم وخلق الذي تعملونه<sup>(٢)</sup>.

ولبيان قيمة العمل الصالح فقد أقسم الله تعالى بالعصر أي: الدهر؛ لاشتماله على الأعاجيب، والتعريض بنفي ما يضاف إليه من الخسران، بخسارة الإنسان في هذه الحياة مستثنياً من الإنسان من تحقق في قلوبهم الإيمان، وعملوا بجوارحهم الأعمال الصالحات، وتواصوا بالحق في أدائهم للطاعات واجتتاب المحرمات، وتواصوا بالصبر إذا نزلت بهم المصائب، أو ما يبلوا الله به عباده<sup>(٣)</sup>.

فسنة الله تعالى ماضية بالحكم على خسارة الإنسان إلا من كان مُتَحَلِّياً بهذه الأصناف السابقة ذكرها، فالمبادرة بالأعمال الصالحة لها مكانتها في تحقيق سنة الله تعالى التي ينال العبد بها الثواب في الدنيا، والفوز بالجنة والنجاة من النار في الآخرة.

فما ذُكِرَ لفظ الذين آمنوا في آية من آيات القرآن الكريم إلا وتبعه لفظ العمل الصالح؛ كونه من لوازم الإيمان، فذكرت هذه الألفاظ في القرآن الكريم في واحد وخمسين موضعاً كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، وما وجدت آية في القرآن الكريم تقدّم فيها العمل الصالح على الإيمان، وتحمل أنواع من البشارات لمن يعمل الصالحات إلا وكانت مقيدة بشرط تحقيق الإيمان، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ

---

(١) سورة الصافات: الآية (٩٦).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي، (٣٤٣/٢٦)، الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (٩٦/١٥)، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٢٢/٧).

(٣) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري، (٧٩٤/٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي، (٥١١/٢)، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٤٥٧/٨)، وفتح القدير: للشوكاني (٦٠٠/٥).

(٤) سورة البقرة: الآية (٢٧٧).

مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٣٤﴾<sup>(١)</sup> ، قال السدي<sup>(٢)</sup>: "أبى أن يقبل الإيمان إلا بالعمل الصالح، وأبى أن يقبل الإسلام إلا بالإحسان"<sup>(٣)</sup>.

فأساس وشرط قبول الأعمال هو الإيمان، وفي الآية دليل على ارتباط الإيمان بالعمل الصالح، فلا يقبل إيمان بلا عمل، ولا يقبل عمل بلا إيمان، فكل واحد منهما مكمل للآخر، وما تقدّم لفظ العمل الصالح على لفظ الإيمان إلا في خمسة مواضع، منها قوله: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾<sup>(٤)</sup>.

فمن سنن الله تعالى التي وعد بها من عمل الصالحات وهو مؤمن من عباد.  
- أن الله تعالى لا يظلم ولا يبخل الذين يعملون الصالحات من الثواب على أعمالهم، حتى مقدار النقرة التي تكون في ظهر النواة، بل يوفيهما إياها كما وعدهم<sup>(٥)</sup>، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة النساء: الآية (١٢٤).

(٢) هو: أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن الأعور السدي بن أبي كريمة الكوفي من الثقات، قرشي، عالم بتفسير القرآن، من عظماء أهل أصبهان، رأى أنس بن مالك، والحسن بن علي، وعدة من الصحابة، توفي في ولاية مروان، (١٢٧هـ) وسمي السدي؛ لأنه كان يجلس بالمدينة في موضع يقال له السدة، ينظر: التاريخ الكبير: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، الناشر: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، (د، ط) (٣٦١/١)، ومعرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث: لأبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، الناشر: مكتبة الدار - المدينة المنورة - السعودية، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ، (٢٢٧/١)، والجرح والتعديل: لأبي محمد عبد الرحمن بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الأولى، ١٢٧١هـ، (١٨٤/٢).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري، (٢٤٨/٩).

(٤) سورة طه: الآية (١١٢).

(٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري، (٢٤٨/٩)، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن: للبغوي، (٧٠٥/١).

(٦) سورة النساء: الآية (١١٤).

- عدم الخوف من منع الثواب على الطاعة أو من نقص الحسنات، أو من تزايد السيئات، فلا ظلم ولا هضم<sup>(١)</sup>، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (١١٣) ﴿٢﴾.

- التمتع بالعيشة الهنيئة والحياة الطيبة في الدنيا لمن كان موسراً فذاك ظاهراً، أما من كان ذا عسرة فإنه يطيب له العيش بالقناعة والرضى بما قسمه الله له، وعلمه أن خيارات الدنيا سريعة الزوال، فلا يعظم فرحه بوجودها، ولا غمة بفقدانها، وتوقعه للأجر العظيم في الآخرة<sup>(٣)</sup>، يقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) ﴿٤﴾، "وأن العمل الصالح لا بد له من القاعدة الأصلية التي يركز عليها، ألا وهي قاعدة الإيمان بالله (وهو مؤمن) فبغير هذه القاعدة لا يقوم بناء، وبغير هذه الرابطة لا يتجمع شتاته، إنما هو هباء كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف.

فالعقيدة هي التي تجعل للعمل الصالح باعثاً وغاية، فتجعل الخير أصيلاً ثابتاً يستند إلى أصل كبير، لا عارضاً مزعزعاً يميل مع الشهوات والأهواء حيث تميل. وأن العمل الصالح مع الإيمان جزاءه حياة طيبة في هذه الدنيا، لا يهم أن تكون ناعمة رغدة ثرية بالمال، فقد تكون به، وقد لا يكون معها، وفي الحياة أشياء كثيرة غير المال الكثير تطيب بها الحياة في حدود الكفاية، ففيها الاتصال بالله والثقة به والاطمئنان إلى رعايته

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: للبيضاوي، (٤/٤٠)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: للنسفي، (٢/٣٨٥)، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٥/٢٨٠)، وفتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني، (٨/٤٣٣)، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: لأبي العباس، شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، (ت: ٩٢٣هـ) الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط: السابعة، ١٣٢٣هـ، (د، ت) (٧/٢٣٧).

(٢) سورة طه: الآية (١١٢).

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: للبيضاوي، (٣/٢٣٩)، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود، (٥/١٣٩)، وروح البيان: لابي الفداء الخلوئي، (٥/٧٨)، و تفسير المراغي، (١٤/١٣٨).

(٤) سورة النحل: الآية (٩٧).

وستره ورضاه، وفيها الصحة والهدوء والرضى والبركة، وسكن البيوت ومودات القلوب، وفيها الفرح بالعمل الصالح وآثاره في الضمير وآثاره في الحياة، وليس المال إلا عنصراً واحداً يكفي منه القليل، حين يتصل القلب بما هو أعظم وأزكى وأبقى عند الله، وأن الحياة الطيبة في الدنيا لا تنقص من الأجر الحسن في الآخرة<sup>(١)</sup>.

- الضمانة من الله تعالى بعدم ضياع أو بطلان سعي من عمل بعض صالح الأعمال لا كلها؛ لعدم قدرة الإنسان القيام بكل الصالحات، إنما المطلوب عمل المستطاع من الصالحات، فقانون العمل والجزاء يكون بعدم الجحود والتضييع ما دام العمل قائم على قاعدة الإيمان، الذي يجعل للعمل قيمته ويثبت وجوده.

فطالما وجب الإيمان لقبول العمل الصالح فإنه لا يوجد ما يثبت للإيمان حقيقته وثمرته سوى العمل الصالح، فالإيمان هو القاعدة التي يقوم عليها البناء، والعمل الصالح هو هذا البناء، ولا قيمة لهذا البناء ما لم يقيم على هذه القاعدة، فثمرة الإيمان هو العمل الصالح الذي يثبت وجود وحيوية الإيمان في الضمير، فمتى تحرك الإيمان في الضمير تحول إلى عمل صالح، حتى يصير ذلك العمل صورة ظاهرة للإيمان المضمرة وثمرته يانعة للجذور الممتدة في الأعماق<sup>(٢)</sup>.

ويقصد بالعمل الصالح الذي يتحقق من وراءه الظفر بالحياة الطيبة والأجر في الدار الآخرة، هو العمل المشروع أو الموافق لما جاء به الله تعالى في كتابه الكريم وسنة نبيه ﷺ<sup>(٣)</sup>، أما العمل الذي لا يوافق الشرع فلا يستحق الأجر المذكور في الآية ولا يعتبر عملاً صالحاً. والأعمال الصالحات نوعان: منها ما تكون بين العبد وبين العباد، مثل الوفاء بالعهود، وأداء الأمانات، وقضاء الحقوق، وصلة الأرحام، ومنها ما تكون بين العبد وبين الله تعالى،

---

(١) في ظلال القرآن: لسيد قطب، (٤/٢١٩٣).

(٢) ينظر: فتح القدير: للشوكاني، (٣/٥٠٣)، و تفسير المراغي، (١٧/٧٠)، و تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي، (١/٥٣٠)، وفي ظلال القرآن: لسيد قطب، (٤/٢٣٩٧)، وزهرة التقاسير: لأبي زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى، (ت: ١٣٩٤هـ) الناشر: دار الفكر العربي، (د، ت، ط) (٩/٤٩١٥)، التفسير المنير: للزحيلي، (١٧/١٣٠).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٤/٥١٦).

وهذه نوعان: منها ظاهرة ومنها باطنة، فالظاهرة: مثل أداء الشرائع كالصلاة والزكاة والصوم والحج والطهارة، وهذا النوع قد ذكرناه سالفاً، وأما الباطنة: وهي من أعمال القلب، كالتوكل والرضا بالقضاء، والصبر في البلاء، والشكر في الرخاء وغيرها<sup>(١)</sup>.

- معاينة سنة الله تعالى في إصلاح الحال والبال للعاملين الصالحات في الدنيا، والتيسير لهم أمور دينهم، وستر ذنوبهم، وعدم محاسبتهم عليها يوم القيامة، وكل ذلك تحقق بإيمانهم وعملهم الصالح، ولا غرابة أن إصلاح البال من أجزل النعم في القدر والقيمة والأثر بعد نعمة الإيمان<sup>(٢)</sup>.

وورد عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: في قول تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ (١) <sup>(٣)</sup>، قال: هم أهل مكة.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (٢) <sup>(٤)</sup>، قال: هم الأنصار، وقوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحَ بِأَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ (٣) <sup>(٥)</sup>، قال: أمرهم<sup>(٥)</sup>، أي: حالهم.

ويمكننا أن نستخلص مما سبق أن صلاح الحال مرهون بصلاح الأعمال، وصلاح الأعمال وقبولها مرهونة بصدق الإيمان، فلا قيمة لأي عمل ما لم يكن أساس قاعدته الإيمان.

وعلى هذا تجري سنة الله تعالى في خلقه بعدم ظلمه لمن عمل الصالحات، أو نقص وهضم من وجبت لهم الحسنات.

---

(١) ينظر: الكلمات البيّنات في قوله تعالى: ﴿وَيُبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾: لمرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي، (ت: ١٠٣٣هـ) تحقيق: د. عبد الحكيم الأنيس، الناشر: المكتب الإسلامي لإحياء التراث، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م ص، (٦٤).

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري، (١٥١/٢٢)، وتأويلات أهل السنة: للماتريدي، (٢٦٣/٩)، والوسيط في تفسير القرآن المجيد: للواحدي، (١١٨/٤)، وتفسير القرآن: للسمعاني، (١٦٧/٥)، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري، (٣١٥/٤)، وفي ظلال القرآن: لسيد قطب، (٣٢٨١/٦).

(٣) سورة محمد: الآية (١).

(٤) سورة محمد: الآية (٢).

(٥) أخرجه الحاكم في (المستدرک على الصحيحين) ح، رقم (٣٧٠٣) (٤٩٦/٢)، وقال هذا الحديث صحيح ولم يخرجاه.

بل سنته تعالى تجري على خلاف ذلك، تجري بتحقيق الحياة الطيبة التي وعد بها من عمل المستطاع من الأعمال الصالحات من عباده في الدنيا، أما في الآخرة فما يدرك قيمة العمل الصالح إلا من تصفح وتدبر معاني القرآن الكريم، وتبين له أن المؤمنين لم يدخلهم الله الجنة بمجرد إيمانهم فقط، إنما يدخلهم الجنة أولاً برحمته، ثم بما وفقهم الله تعالى إلى الإيمان به والعمل الصالح.



## **الفصل الثالث**

**سنن الله في خلقه عند الانقياد لأوامره في القرآن  
الكريم وفيه مبحثان.**

**المبحث الأول: سنة الله في المؤمنين كجماعات.**

**المبحث الثاني: سنة الله في إسعاد المؤمنين كأفراد.**

## **المبحث الأول**

**سنة الله في المؤمنين كجماعات، وفيه ثلاثة مطالب**

**المطلب الأول: سنة الله في جماعة المؤمنين بالنصر.**

**المطلب الثاني: سنة الله في جماعة المؤمنين بالاستخلاف والتمكين.**

**المطلب الثالث: سنة الله في جماعة المؤمنين بالأمن.**

## المطلب الأول

### سنة الله تعالى في جماعة المؤمنين بالنصر

إن من سنن الله تعالى في هذا الكون الفسيح سنته سبحانه في نصر عباده المؤمنين، وتعد هذه السنة طرف من الناموس الأكبر الذي يحكم الحياة الإنسانية، "وقد ربط سبحانه وتعالى بين نصره للمؤمنين وبين سننه الكونية الكبرى، التي تشهد بقدرة الله على تحقيق وعده، كما تشهد بدقة السنن الكونية المطردة مما يوحي بأن ذلك النصر هو إحدى هذه السنن التي لا تتخلف"<sup>(١)</sup>.

كما تعد سنة الله تعالى في النصر شأنها كشأن بقية سنن الله تعالى الربانية، فهي "سنة ماضية كما تمضي هذه الكواكب والنجوم في دوراتها المنتظمة، وكما يتعاقب الليل والنهار في الأرض على مدار الزمان وكما تنبثق الحياة في الأرض الميتة ينزل عليها الماء"<sup>(٢)</sup>.

فسنة الله تعالى في نصر المؤمنين سنة لا تتخلف ولا تتبدل أبداً؛ لأنها من أخبار الله تعالى، وهو أصدق القائلين: ﴿وَلَوْ قَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَحْدُوثَ وَإِنَّا لَا نَصِيرَا﴾<sup>(٣)</sup> سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْدَلَ سُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا<sup>(٤)</sup>، فمعنى سنة الله "طريقة الله وعادته السالفة لنصر أوليائه على أعدائه"<sup>(٥)</sup>.

وورد في بعض التفاسير أن "هذه سنة الله وعادته في خلقه، ما تقابل الكفر والإيمان في موطن إلا نصر الله الإيمان على الكفر ورفع الحق ووضع الباطل، كما فعل تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين نصرهم على أعدائه من المشركين مع قلة عدد المسلمين وعددهم وكثرة المشركين وعددهم"<sup>(٥)</sup>.

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب، (٢٤٣٩/٤).

(٢) المصدر السابق، ٣٠٠٢/٥.

(٣) سورة الفتح: الآية (٢٢، ٢٣).

(٤) تفسير القرآن: للسمعاني، (٢٠٣/٥)، الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (٢٨٠/١٦).

(٥) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، ط، العلمية، (٣١٦/٧، ٣١٧).

## أولاً: النصر في اللغة:

جاء في مقاييس اللغة: (نصر) النون والصاد والراء يدل على إتيان خيرٍ وإيتائه، ونصر الله المسلمين: آتاهم الظفر على عدوهم، ينصرهم نصراً. وانتصر: انتقم،<sup>(١)</sup>.

والنصر: إعانة المظلوم، نصره على عدوه ينصره ونصره ينصره نصراً.  
والنصير: الناصر؛ قال الله تعالى: نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ، والنصرة: حُسن المعونة،  
والإنتصار: الإنتقام.

والاستيصار: استمداد النصر، واستنصره على عدوه أي سألته أن ينصره عليه، والتناصر: التعاون على النصر، والنصائر: العطايا. والمستنصر: السائل.<sup>(٢)</sup>

## النصر في الاصطلاح:

وردت للنصر عدة معانٍ في القرآن الكريم، منها ما ورد بمعنى المنع، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، أي لا يمكن لأحد أن يدفع العذاب على من اشترى الحياة الدنيا بالآخرة، ولا يمكن أيضاً لأحد أن ينصرهم بصرف ذلك العذاب عنهم سواءً في الدنيا أم في الآخرة<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿يَقَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَهَرْنَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾<sup>(٥)</sup>، أي: من يستطيع أن يدفع عنا بأس الله وسطوته إذا حل بنا، أو جاءتنا عقوبته بتكذيبنا<sup>(٦)</sup>.  
وورد بمعنى الإعانة والتأييد حيث جاءت كلمة النصر بهذا المعنى في بعض الآيات

(١) مقاييس اللغة: لابن فارس، (٤٣٥/٥).

(٢) مختار الصحاح: للرازي، ص، (٣١١)، ولسان العرب: لابن منظور، (٥/ ٢١٠، ٢١١).

(٣) سورة البقرة: الآية (٨٦).

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي، (٥٩٤/٣).

(٥) سورة غافر: الآية (٢٩).

(٦) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري، (٣٧٨/٢١)، ومعاني القرآن وإعرابه: للزجاج، (٣٧٢/٤)، وتفسير الماتريدي، (٢٤/٩)، وتفسير النكت والعيون: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، (ت: ٤٥٠هـ) تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان (د، ط) (١٥٤/٥)، والوسيط في تفسير القرآن المجيد: للواحدي، (١٠/٤)، و معالم التنزيل في تفسير القرآن: للبغوي، (١١١/٤).

القرآنية عامة، منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُلُوحُ وَيَعُودُ وَصَلَاتُ وَمَسْجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

فنصرة العبد لله هي الالتزام بجميع أوامره وترك نواهيه، وبنصرتكم لرسوله ﷺ على أعدائه وجهادكم إياهم في سبيل إعلاء كلمته، فإن الله ناصركم عليهم. "ونصرة الله لنا ظاهرة، ونصرتنا لله هو النصرة لعباده، أو القيام بحفظ حدوده ورعاية عهوده، وامتنال أوامره واجتناب نواهيه"<sup>(٣)</sup>.

وورد النصر أيضاً بمعنى الظفر، كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾<sup>(٤)</sup>، أي: أنهم طلبوا الظفر والغلبة على عبدة الأوثان.

وورد النصر أيضاً بمعنى الإغاثة، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَسْتَضْرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ ﴿٧٢﴾﴾<sup>(٥)</sup>، أي: إذا طلب المؤمنون الذين لم يهاجروا إلى المدينة الاستغاثة في الدين من المهاجرين فعليهم أن يغيثونهم بالنصرة والمعونة، شرط إذا لم يكن بين المهاجرين وبين أولئك ميثاق<sup>(٦)</sup>.

فسنة الله تعالى في نصر عباده المؤمنين ثابتة بالنصوص القرآنية، فلا يطرأ عليها تغيير

(١) سورة الحج: الآية (٤٠).

(٢) سورة محمد: الآية (٧).

(٣) المفردات في غريب القرآن: للأصفهاني، (٨٠٩/١)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: للفيروز آبادي، (٦٩/٥).

(٤) سورة البقرة: الآية (٢٥٠).

(٥) سورة الأنفال: الآية (٧٢).

(٦) ينظر: تفسير: النكت والعيون: للماوردي، (٢٧٤/٥)، و بحر العلوم: لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، (ت: ٣٧٣هـ) (د، ت، ط) (٣٥/٢)، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن: للبغوي، (٣١٢/٢).

ولا تبديل، مهما تغيرت الأحوال والأزمان، ومن تلك النصوص ما يلي:

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧١﴾ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُصْطَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ

﴿٧٣﴾﴾، فجاءت الكلمة في قوله تعالى: إِنَّهُمْ هُمُ الْمُصْطَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٧٣﴾﴾، والمراد

الموعِد بعلوهم على عدوهم في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا، وعلوهم عليهم في الآخرة<sup>(٢)</sup>.

"والوعد واقع وكلمة الله قائمة. ولقد استقرت جذور العقيدة في الأرض وقام بناء الإيمان، على الرغم من جميع العوائق، وعلى الرغم من تكذيب المكذبين، وعلى الرغم من التكيل بالدعاة والمتبعين، إنه وعدٌ ببقاء العقائد التي جاء بها الرسل، ومحقة في كل دعوة لله، يخلص فيها الجند، ويتجرد لها الدعاة، إنها غالبية منصوره مهما وضعت في سبيلها العوائق، وقامت في طريقها العراقيل. ومهما رصد لها الباطل من قوى الحديد والنار، وقوى الدعاية والافتراء، وقوى الحرب والمقاومة، وإن هي إلا معارك تختلف نتائجها، ثم تنتهي إلى الوعد الذي وعده الله لرسله، والذي لا يتخلف ولو قامت قوى الأرض كلها في طريقه.

فالوعد بالنصر سنة من سنن الله تعالى ماضية كما تمضي هذه الكواكب والنجوم في دوراتها المنتظمة وكما يتعاقب الليل والنهار في الأرض على مدار الزمان وكما تنبثق الحياة في الأرض الميتة ينزل عليها الماء، ولكن كلمة الله مرهونة بتقدير الله، يحققها حين يشاء.

وقد تبطئ آثارها الظاهرة بالقياس إلى أعمار البشر المحدودة، ولكنها لا تتخلف أبداً، وقد تتحقق في صورة لا يدركها البشر؛ لأنهم يطلبون المألوف من صور النصر والغلبة، ولا يدركون تحقق السنة في صورة جديدة إلا بعد حين، وقد يريد البشر صورة معينة من صور النصر والغلبة لجند الله وأتباع رسله، ولكن الله يريد صورة أخرى أكمل وأبقى، وكان ما أراه

(١) سورة الصافات: الآية (٧١-٧٣).

(٢) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري، (٤/٦٧).

الله هو الخير لهم وللإسلام. وكان هو النصر الذي أَرادَه الله لرسوله وجنده ودعوته على مدى الأيام، ولو تكلف الجند من المشقة وطول الأمد أكثر مما كانوا ينتظرون<sup>(١)</sup>.

ومن هذه النصوص قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾<sup>(٢)</sup> ، أي أنه تعالى قد حكم وكتب في كتابه الأول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبذل، أنه الغالب لأعدائه، وهذا القدر محكم وأمر مبرم، بأن النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة وإن العاقبة للمتقين<sup>(٣)</sup>.

وجاء في تفسير هذه الآية: "أن الله كتب على نفسه في الأزل أن ينصر أوليائه على أعدائه من شياطين الظاهر والباطن، ويعطيهم رايات نصرة الولاية، فحيث تبدو راياتهم التي هي سطوع نور هيبة الحق من وجوههم صار الأعداء مغلوبين بتأييد الله ونصرته وأهل الحق لهم الغلبة أبداً ورايات الحق تسبق رايات غيره جميعاً؛ لأن الله تعالى جعلهم اعلماً في خلقه وأوتاداً في أرضه ومفزعاً لعباده وعمارة لبلاده"<sup>(٤)</sup>.

وورد في بعض التفاسير أن غلبة الرسل المذكورة في الآية تأتي على معنيين، أحدها: أن من بُعث بالحرب فهو غالبٌ في الحرب، والآخر: أن من بعث منهم بغير حرب فهو غالب بالحجة<sup>(٥)</sup>.

ومن هذه النصوص قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾<sup>(٦)</sup> ، قيل في تفسير هذه الآية: "وهذه سنة الله تعالى في خلقه في قديم الدهر وحديثه، أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا ويقر أعينهم ممن آذاهم، وأن الله تعالى لم يبعث

(١) في ظلال القرآن: لسيد قطب، (٥/٣٠٠١، ٣٠٠٢).

(٢) سورة المجادلة: الآية (٢١).

(٣) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٨٣/٨).

(٤) روح البيان: لأبي الفداء الخلوّتي، (٩/٤١٠).

(٥) ينظر: معني القرآن وإعرابه: للزجاج، (٥/١٤١).

(٦) سورة غافر: الآية (٥١).

رسولاً قط إلى قوم فيقتلونه أو قوماً من المؤمنين يدعون إلى الحق فيقتلون فيذهب ذلك القرن حتى يبعث الله تبارك وتعالى لهم من ينصرهم فيطلب بدمائهم ممن فعل ذلك بهم في الدنيا قال فكانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون فيها<sup>(١)</sup>.

يتبين لنا جلياً مما ذكرنا أن المؤمنين هم المنصورون وهم أهل الحق وإن قتلهم أهل الكفر والباطل وانتصروا عليهم في الظاهر إلا أن الغلبة والعاقبة ستكون للمؤمنين ولو بعد حين، فلا بُد أن يأتي ذلك اليوم الذي يُعاقب فيه المبطلون ويقتلون جزاء قتلهم لأهل الحق، فيكون ذلك بشارة على هلاك الباطل وأهله وغلبة أهل الحق عليهم.

ومن هذه النصوص قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، ذكر بعض المفسرين أن هذه الآية فيها مزيد تشريف وتكرمة للمؤمنين، حيث جعلوا مستحقين على الله تعالى أن ينصرهم وإشعار بأن الانتقام لأجلهم، وظاهر الآية أن هذا النصر في الدنيا، وفي بعض الآثار ما يشعر بعدم اختصاصه بها، وأنه عام لجميع المؤمنين، فيشمل من بعد الرسل من الأمة<sup>(٣)</sup>.

ففي هذه الآية أنزل الله تعالى نصر المؤمنين منزلة الحق الواجب على نفسه تعالى مع أنه الذي لا يجب عليه أي شيء.

فنصر الله للمؤمنين "حق" أوجبه الله على نفسه الكريمة تكريماً وتفضيلاً<sup>(٤)</sup>.

كما ورد أن لهذه الآية وجهان: الأول: هو أن نصر الأنبياء على المكذبين لهم من قومهم يكون باستجابة الله لهم الدعاء، والثاني: أن نصر الله للمؤمنين مرهون بإيجاب الذب عن

---

(١) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (١٣٧/٧).

(٢) سورة الروم: الآية (٤٧).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للأوسى، (٥٢/١١)، و إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود، (٦١/٧)، وفتح القدير: للشوكاني، (٢٦٥/٤).

(٤) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، ط، العلمية، (٢٨٩/٦).



أعراضهم<sup>(١)</sup>.

ومما ورد في معنى هذه الآية ما روي عن أبي الدرداء<sup>(٢)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة» نزلت هذه الآية في هذا المعنى<sup>(٣)</sup>.

فسنة الله تعالى في تحقيق النصر سنة لا تتخلف، شرط وجوب القيام بجميع الاسباب أو العوامل المادية والمعنوية لتحقيق هذه السنة، فمن عوامل تحقيق هذه السنة الربانية المتمثلة في نصر عباده المؤهلين والمستحقين له:

### ١ - الإيمان الخالص لله تعالى.

أن إيمان الجماعة المؤمنة ليس كافياً لحصول النصر من الله تعالى، فقد تهزم تلك الجماعة المؤمنة من قبل الكافرين، رغم وجود الإيمان لديهم، كما حصل من هزيمة للمؤمنين في غزوة أحد مع وجود سيد الخلق ﷺ في صفوفهم، وقد بين الله تعالى سبب هذه الهزيمة في سورة آل عمران فقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا أَرْسَلَكُمْ مَّا تُحِبُّونَ ۖ مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۖ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو

(١) ينظر: تفسير الماتريدي، (٤/٣٢٠).

(٢) هو: عويمر ابن عامر بن مالك بن زيد بن قيس، وقيل: عويمر بن قيس بن زيد بن أمية، وقيل: عويمر بن عبد الله بن زيد ابن قيس بن أمية بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث ابن الخزرج، من بلحارث بن الخزرج. وقيل: اسم أبي الدرداء عامر بن مالك، وعويمر لقب، كان آخر أهل داره إسلاماً، وحسن إسلامه، وكان فقيهاً عاقلاً حكيماً، أخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي، شهد ما بعد أحد من المشاهد، توفي سنة اثنتين وثلاثين بدمشق في خلافة عثمان، ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م (٤/١٦٤٦).

(٣) مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها: لأبي بكر محمد بن جعفر بن سهل بن شاذان الخرائطي، (ت: ٣٢٧هـ) تقديم وتحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ح، رقم، (٨٨٦) ص، (٢٩١)، باب ما يستحب للمرء من الرد عن عرض أخيه المسلم.

فَضِّلْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾<sup>(١)</sup>، وما تلاها من الآيات التي وردت في بيان هزيمة المؤمنين، وهو حصول المعصية والمخالفة وعدم الإخلاص لله في جميع أمور دنياهم وأخراهم، فقد شاب ذلك الإيمان شائبة من إرادة الدنيا وأطماعها.

فالإيمان المترتب عليه نصر الله وتأييده هو: الإيمان الخالص المتجرد من الشرك ووسائله وذرائعه الموصلة إليه، وخالصاً من كل شائبة تشوبه، يقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَحَرُّفٍ تُنَحِّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿١١﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

ففي أواخر هذه الآيات وعد الله المؤمنين بالنصر والفتح، فخاطب الله تعالى المؤمنين وناداهم بقوله ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ثم طلب منهم بعد هذا النداء، حتى ينالوا ما وعدهم به، فقال: ﴿تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، ففي هذا النداء تثبيتاً من الله تعالى لهم بالإيمان، ويُعد أيضاً في حد ذاته طلباً منه لهم بالإيمان به وبرسوله، فكان ذلك تنبيهاً لهم وانتداباً لهم، من أجل يخلصوا الإيمان ويجردوه من كل شائبة، حتى ينالوا ذلك الوعد الذي وعدهم الله به، فالوعد بالنصر مرهون بالإيمان الخالص الصادق النقي.

"وصيغة التعبير بما فيها من فصل ووصل، واستفهام وجواب، وتقديم وتأخير، صيغة ظاهر فيها القصد إلى إقرار هذا الهتاف في القلوب بكل وسائل التأثير التعبيرية.

يبدأ بالنداء باسم الإيمان: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، يليه الاستفهام الموحى، فالله تعالى هو الذي يسألهم ويشوقهم إلى الجواب: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَحَرُّفٍ تُنَحِّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾﴾، ومن ذا الذي لا يشقاق؛ لأن يدلّه الله على هذه التجارة؟ وهنا تنتهي هذه الآية، وتتفصل الجملتان للتشويق بانتظار الجواب المرموق، ثم يجيء الجواب وقد ترقبته القلوب والأسماع: ﴿تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، وهم مؤمنون بالله ورسوله، فتشرق قلوبهم عند سماع شطر الجواب هذا المتحقق فيهم<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة آل عمران: الآية (١٥٢).

(٢) سورة الصف: الآية (١٠، ١١).

(٣) في ظلال القرآن: لسيد قطب، (٣٥٥٩/٦).

## ٢- تقوى الله تعالى.

تُعد تقوى الله من أهم الأسباب المفضية إلى النصر، وقد بيّن الله تعالى ذلك من خلال معيته وتأييده لعباده المتقين، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

يتبين من هذه الآية أن الله تعالى أمر المؤمنين بالاجتماع لقتال المشركين كما يجتمع المشركون لقتالهم، وأن الله معهم وناصرهم ومثبتهم وممدهم؛ لأن من كان الله معه فإن الغلبة والعاقبة له<sup>(٢)</sup>.

وأشار بعض المفسرين إلى الحكمة من وضع المظهر في موضعه بقوله: "وإنما وضع المظهر موضعه مدحاً لهم بالتقوى وحثاً للقاصرين عليه وإيذاناً بأنه المدار في النصر، وقيل هي بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم"<sup>(٣)</sup>.

ويتبين من هذه الآية أن الله تعالى حث على التقوى وجعلها ضماناً لمعيته وإمداده ونصرته لكل من اتصف بها، فصارت بذلك سبباً للظفر بالفوز في الدنيا والآخرة.

ولما لهذا الشرط من أثر في تحقيق سنة النصر، تعهّد الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعض عماله بقوله: «عليك بتقوى الله في كل حال ينزل بك، فإن تقوى الله أفضل العدة، وأبلغ المكيدة، وأقوى القوة، ولا تكن في شيء من عداوة عدوك أشد احتراساً لنفسك ومن معك من معاصي الله، فإن الذنوب أخوف عندي على الناس من مكيدة عدوهم، وإنما نعادي عدونا ونستنصر عليهم بمعصيتهم، ولولا ذلك لم تكن لنا قوة بهم؛ لأن عدونا ليس كعددهم، ولا قوتنا كقوتهم...»<sup>(٤)</sup>.

فالتقوى تعد من أهم أسباب تحقيق سنة النصر؛ كونها تشمل على العديد من الفضائل

---

(١) سورة التوبة: الآية (٣٦).

(٢) ينظر: فتح القدير: للشوكاني، (٢/٤١٠)، ومحاسن التأويل: للقاسمي، (٥/٤٠٨)، وتفسير القرآن الحكيم: لرشيد رضا، (١٠/٣٥٩)، وتفسير المراغي، (١٠/١١٦)، والتحرير والتتوير: للطاهر بن عاشور، (١٠/١٨٨).

(٣) ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود، (٤/٦٤).

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم الأصفهاني، (٥/٣٠٢).

كما أخبر بذلك عنها النبي ﷺ أنها أربح تجارة مع الله تعالى، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (٢) ﴿١﴾، وأنها إحدى المنجيات، وأكثر ما يدخل الجنة، وغيرها من الفضائل.

فما تحقق نصر إلا وكانت التقوى أساسه؛ لأنها هي التي يُبنى عليها المفاصلة بين أهل الحق وأتباع الباطل، ونجد ذلك جلياً في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٩) ﴿٢﴾.

ففي هذه الآية لمسة في الارتباط الوثيق الذي جعله الله تعالى بين التقوى والفرقان، فقد ربط الله تعالى في هذه الآية أنه متى التزم أهل الحق بالتقوى جعل العزة والنصر والظفر حليفهم، والصغارة والاذلال لعدوهم، وجعلها أيضاً شاملة لكل خير، وسبيلاً للوصول إلى كل سرور، ومخرجاً من كل شبهة وشدة وضيق (٣).

لذلك فإن سنة النصر مترتبة على حصول التقوى بأسلوب شرطي؛ كون هذا الشرط مستلزماً لتحقيق الجزاء، فالشرط هو حصول التقوى المستوجبة لترك الميول والهوى، فإذا حصلت التقوى وجب الوفاء بالجزاء وهو الفرقان المطلق.

ولعظمة التقوى وشأنها جعلها الله تعالى وصيته للأولين والآخرين، فقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ..﴾ (٣١) ﴿٤﴾، كما جعلها النبي ﷺ، أيضاً

(١) سورة الطلاق: الآية (٢، ٣).

(٢) سورة الأنفال: الآية (٩٢).

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري، (٤٨٧/١٣)، وتفسير الماتريدي، (١٨٨/٥)، وبحر العلوم: لأبي الليث

نصر بن محمد السمرقندي، (د، ت، ط) (١٧/٢)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: للنسفي، (٦٤٠/١)، وتفسير القرآن

العظيم: لابن كثير، (٣٨/٤).

(٤) سورة النساء: الآية (١٣١).

وصيته في كل موطن، فقد روي عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «اتق الله حيثما كنت ...» <sup>(١)</sup>.

وكان ﷺ إذا أمر أميراً على جيش، أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا...» <sup>(٢)</sup>.

### ٣ - العبادة الخالصة لله تعالى، وذكره تعالى على الدوام:

لا سبيل لأمة علاقتها بالله تعالى ضعيفة وهزيلة أن يتحقق لها النصر، بل لا بُد لأي أمة تريد تحقيق النصر والغلبة أن تكون علاقتها بالله متينة وقوية؛ لأنه تعالى هو مصدر النصر وهو الذي يهبه ويسهل أسبابه، يقول تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ <sup>(٣)</sup>، ذكر بعض أهل التفسير، أن الله تعالى ما أمر بذكره عند لقاء العدو إلا لعظم شأنه في تحقيق النصر والظفر به <sup>(٤)</sup>، فالعبادة "هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة" <sup>(٥)</sup>.

فهذا التعريف لا يمكن أن يخرج منه أي شيء من نشاطات الإنسان وأعماله، فالشعائر

---

(١) أخرجه أحمد في (مسنده)، ح، رقم، (٢١٤٠٤) (٣٥/٣١٩)، وكان حدثنا به وكيع عن ميمون بن أبي شبيب، عن معاذ ثم رجع، وأخرجه الدارمي في (مسنده)، ح، رقم، (٢٨٣٣) (٣/١٨٣٧)، باب حسن الخلق، رجاله ثقات لكن ابن أبي حاتم، وأخرجه الترمذي في (سننه)، ح، رقم (١٩٨٧) (٤/٣٥٥)، باب ما جاء في معاشره الناس، وفي الباب عن أبي هريرة: هذا حديث حسن صحيح حدثنا محمود بن غيلان قال: حدثنا أبو أحمد، وأبو نعيم، عن سفيان، عن حبيب، بهذا الإسناد نحوه، قال محمود: وحدثنا وكيع، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ميمون بن أبي شبيب، عن معاذ بن جبل، عن النبي ﷺ، نحوه، قال محمود: والصحيح حديث أبي ذر، وقال الإمام الألباني حسن.

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (١٧٣١) (٣/١٣٥٧)، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، من حديث سليمان بن بريدة، عن أبيه رضي الله عنهما.

(٣) سورة الأنفال: الآية (٤٥).

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن للبيهقي، إحياء التراث، (٢/٢٩٨).

(٥) العبودية: لابن تيمية، (ت: ٧٢٨هـ) تحقيق: محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، ط: السابعة،

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ص، (٤٤).

التعبدية من صلاة وصوم وزكاة وحج، ليست هي العبادة كلها، وإن كان لها من الأهمية والمكانة مالها، وإنما هي جزء من العبادة التي يريد الله تعالى، فمقتضى العبادة المطالب بها الإنسان المسلم أن يجعل أقواله وأفعاله وتصرفاته وسلوكه وعلاقاته مع الناس وفق المناهج والأوضاع التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، يفعل كل ذلك طاعة لله واستسلاماً لأمره<sup>(١)</sup>.

فالعبادة هي التي تظهر مدى تذلل العبد وافتقاره إلى الله تعالى، خصوصاً عند لقاء الأعداء، حيث وقد حاول أعداء الاسلام أن يحصروا العبادة على الشعائر التعبدية وأبعادها عن مسيرة المجتمع، وعدم إدخالها في مواضع الجهاد ومواجهة الأعداء.

" فلو كانت حقيقة العبادة هي مجرد الشعائر التعبدية ما استحق كل هذا الموكب الكريم من الرسل والرسالات، وما استحق كل هذه الجهود المضنية التي بذلها الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - وما استحق كل هذه العذابات والآلام التي تعرض لها الدعاة والمؤمنون على مدار الزمان! إنما الذي استحق كل هذا الثمن الباهظ هو إخراج البشر جملة من الدينونة للعباد، وردهم إلى الدينونة لله وحده في كل أمر وفي كل شأن وفي منهج حياتهم كله للدنيا والآخرة سواء، إن توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد القوامة، وتوحيد الحاكمية، وتوحيد مصدر الشريعة، وتوحيد منهج الحياة، وتوحيد الجهة التي يدين لها الناس الدينونة الشاملة هو الذي يستحق أن يرسل من أجله كل هؤلاء الرسل، وأن تبذل في سبيله كل هذه الجهود وأن تحتل لتحقيقه كل هذه العذابات والآلام على مدار الزمان.. لا؛ لأن الله سبحانه في حاجة إليه، فالله سبحانه غني عن العالمين ولكن؛ لأن حياة البشر لا تصلح ولا تستقيم ولا ترتفع ولا تصبح حياة لائقة بالإنسان إلا بهذا التوحيد الذي لا حد لتأثيره في الحياة البشرية في كل جانب من جوانبها"<sup>(٢)</sup>.

فمدلول العبادة شامل لا يقتصر على أداء الفرائض فحسب، فمن تلك العبادات ذكر الله

---

(١) ينظر: مقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين: لعمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر: رسالة دكتوراه، من جامعة الأزهر، الناشر: مكتبة الفلاح، الكويت، ط: الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م (٤٧/١).

(٢) في ظلال القرآن: لسيد قطب، (١٩٠٣/٤).

تعالى عند لقاء العدو، إذ يُعد الذكر أحد العوامل التي تستجلب تحقيق سنة النصر، وكونه أمر إلهي مفترض الوجوب في القيام به، كما هو في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤٥).<sup>(١)</sup>

فجاء الأمر بوجوب الذكر في هذه الآية بلفظ العموم، فاحتمل الذكر قولين:

**القول الأول:** "أن يكونوا بقلوبهم ذاكرين الله وبأسنتهم ذاكرين الله، قال ابن عباس رضي الله عنه: أمر الله أوليائه بذكره في أشد أحوالهم؛ تنبيهاً على أن الإنسان لا يجوز أن يخلي قلبه ولسانه عن ذكر الله، ولو أن رجلاً أقبل من المغرب إلى المشرق ينفق الأموال سخاء، والآخر من المشرق إلى المغرب يضرب بسيفه في سبيل الله، كان الذاكر لله أعظم أجراً.

**القول الثاني:** أن المراد من هذا الذكر الدعاء بالنصر والظفر؛ لأن ذلك لا يحصل إلا بمعونة الله تعالى"<sup>(٢)</sup>.

"فهذا أحد عوامل النصر الحقيقية: الاتصال بالله (الذكر)، إن ذكر الله عند لقاء العدو يؤدي وظائف شتى؛ كونه الاتصال بالقوة التي لا تغلب والثقة بالله هي التي ينصر بها أوليائه، وهو في الوقت ذاته استحضار حقيقة المعركة وبواعثها وأهدافها، فهي معركة لله، لتقرير ألوهيته في الأرض، وطرد الطواغيت المغتصبة لهذه الألوهية، وإذن فهي معركة؛ لتكون كلمة الله هي العليا لا للسيطرة، ولا للمغنم، ولا للاستعلاء الشخصي أو القومي، كما أنه توكيد لهذا الواجب، واجب ذكر الله، في أخرج الساعات وأشد المواقف، وكلها إحياءات ذات قيمة في المعركة يحققها هذا التعليم الرباني"<sup>(٣)</sup>.

فالقلوب تجزع عند اللقاء، ولا يسكن ذلك الجزع ويعين على الثبات إلا الذكر، كما في قوله تعالى على لسان أصحاب طالوت: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ

(١) سورة الأنفال: الآية (٤٥).

(٢) مفاتيح الغيب: للرازي، (٤٨٩/١٥).

(٣) في ظلال القرآن: لسيد قطب، (١٥٢٨/٣).

عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ <sup>(١)</sup> ولو لم يجعل الله للذكر فضله وأهميته، لكان نبيه زكريا عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، أولى بالرخصة في ترك الذكر لقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ <sup>(٢)</sup>.

ولقيمة عامل الذكر في تحقيق سنة في النصر، افترض الله تعالى ذكره على عباده حتى وهم في أحلك وأشد الظروف، كما يحصل للقلوب من عدم السكون وللألسنة من الاضطراب عند الضراب بالسيوف <sup>(٣)</sup>.

والمأمل في الآية يرى أنها توحى إلى تحفيز العبد على مداومة الذكر وعدم الفتور، حتى وإن كان قلبه منشغل بأمر ما، فلا بُد أن يكون صاحب نفس تتسع لكل الأمور التي تجري من حوله ومتحكماً عليها.

#### ٤ - الصبر والثبات عند لقاء العدو.

فالصبر والثبات من أهم اسباب وعوامل تحقيق سنة النصر، فمعنى الصبر "هو حبس النفس عن الجزع" <sup>(٤)</sup>، وما أشد جزع النفس ونفورها عندما تواجه المشاق والشدائد في ميدان المعركة، فمن لم يروض نفسه على الصبر والثبات قبل مواجهة الاعداء، لم يستطع على تحمل مشاق وشدائد الحرب إذا حمى الوطيس بين الفريقين.

ومعنى الثبات هو عدم المفارقة <sup>(٥)</sup>، لكل ما وجب الثبات عليه كونه يعطي قوة معنوية، تكون سبباً ووسيلة للنصر والغلبة بين الأفراد والجيش، فعندما يتصارع رجلان فيعيا كل منهما وتضعف قوته، ويتوقع كل لحظة أن يقع صريعاً، ولكن قد يخطر بباله أن خصمه ربما وقع قبله فيثبت إلى اللحظة الأخيرة، فيكون له الفلاح والفوز على خصمه، وهكذا عامل

(١) سورة البقرة: الآية (٢٥٠).

(٢) سورة آل عمران: الآية (٤١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (٢٤ / ٨).

(٤) مختار الصحاح: للرازي، صد، (١٧٢)، ولسان العرب، لابن منظور، (٤٣٨/٤).

(٥) لسان العرب، لابن منظور، (٢٠/٢).



الثبات في الحروب، فإن من أهم أسباب النصر في الحروب الصبر والثبات وعدم اليأس، كما يُعدان من أنفع ما يكون في كل أعمال البشر، فهو الوسيلة في الفوز والنجاح فيها<sup>(١)</sup>.

كيف لا والصبر يعتبر الوصية العظمى والزاد الأصيل، فقد جاء في بعض التفاسير لقوله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾<sup>(٢)</sup>، أن الصبر "هو الوصية التي تتكرر عند كل تكليف بهذه الدعوة، وهو الزاد الأصيل في هذه المعركة الشاقة، وهي معركة طويلة عنيفة لا زاد لها إلا الصبر الذي يقصد فيه وجه الله تعالى، ويتجه به إليه احتساباً عنده وحده"<sup>(٣)</sup>.

ومن أعظم صور الصبر وأجلها، الصبر عند لقاء العدو، ولشرف صورة الصبر هذه، فقد أثنى الله تعالى على هذه الفئة بالصدق والتقوى، فقال: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۝١٧٧﴾<sup>(٤)</sup>، والصبر وقت البأس، أي: الصبر على المشقة عند القتال في سبيل الله.

ولأهمية هذا الشرط في تحقيق سنة النصر فإن الله تعالى قد أمر المؤمنين بالثبات عند لقاء العدو فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ<sup>(٥)</sup>، فسنة الله تعالى في النصر والغلبة والفلاح في هاتين الآيتين مرهونة بالثبات والذكر وطاعة الله ورسوله وعدم التنازع فيما بينهم، والصبر على ما يدور في رحى الحرب عند التحام جيوشها.

ولمكانة الصبر في تحقيق سنة النصر جعله الله قرين النصر، فما تحقق نصرٌ إلا وكان الصبر رائده، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا حَرِّضُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ

(١) تفسير المراغي، (١٠/٩، ١٠).

(٢) سورة المدثر: الآية (٧).

(٣) في ظلال القرآن: لسيد قطب، (٣٧٥٥/٦).

(٤) سورة البقرة: الآية (١٧٧).

(٥) سورة الأنفال: الآية (٤٥، ٤٦).

صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مَائَتَيْنِ<sup>٦٥</sup> وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ  
 ٦٥ أَكُنْ خَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مَائَتَيْنِ<sup>٦٦</sup> وَإِنْ يَكُنْ  
 مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ<sup>٦٦</sup> ﴿٦٦﴾<sup>(١)</sup>، في هاتين الآيتين قيّد الله تعالى  
 تحقيق النصر للمؤمنين بتحقيقهم بالصبر، سواء كانوا في حالة القوة أم في حالة الضعف.

فهذه عدة من الله وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين إن صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من  
 الكفار بعون الله وتيسيره وتأييده، ويرجع سبب غلبة المؤمنين على الكافرين، هو عدم احتساب  
 الكافرين الثواب من قتالهم، وجهلهم بحقوق الله تعالى التي أوجبها عليهم<sup>(٢)</sup>، ثم اختتمت الآية  
 بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، ومعية الله تعالى للصابرين معية غلبة ونصر وتأييد.

ومن أشد اللحظات حاجة إلى الصبر في الحرب، عندما ينفرط العقد، وتميل الرياح  
 ويضطرب الأمر، وتشيع روح الهزيمة في صفوف المقاتلين، وتنتشر الشائعات المثبطة  
 للهمم، المحطمة للعزائم، وذلك كما حدث في غزوة أحد، عندما تخلى الرماة عن أماكنهم  
 وانكشف جيش المسلمين، وانقض عليهم فرسان المشركين من الخلف، فاختل الميزان، وانتشر  
 الذعر، وشاعت الشائعات بأن النبي ﷺ قد قُتل، فخارت قوى المسلمين، وضعفت عزائمهم،  
 وتزلزلت المعنوية في أرواحهم، حتى فر الكثير، ولم يبق إلا القليل، فأنزل الله تعالى في هذه  
 الأقلية قرآناً يشيد بثبوتهم وصبرهم، فقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ  
 جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup> ١٤٢ ﴿١٤٢﴾<sup>(٣)</sup>.

ولما للصبر والثبات من قيمة أثناء مواجهة الأعداء، فإن الله تعالى أوجبهما على  
 المجاهدين في سبيله، كما أنه حرم عليهم الفرار من ميدان المعركة، فبالصبر والثبات يأتي  
 النصر، وذلك مصداقاً لما روي عن ابن عباس رضيهما الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: «  
 يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك... واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً

(١) سورة الأنفال: الآية (٦٥، ٦٦).

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: للنسفي، (١/٦٥٥)، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم: لطنطاوي، (٦/١٥٢).

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٤٢).

كثيراً، وأن النصر مع الصبر»<sup>(١)</sup>.

فبالصبر تعلقت الإمامة في الدين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، حيث لم ينل فرد أو جماعة أو أمة، الإمامة في الدين إلا بعد أن تتحقق فيهما هاتين السجيتين<sup>(٣)</sup>، الصبر على مشقة التكليف، واليقين بآيات الله المنزلة عليهم من عنده تعالى.

فما أعطي العبد شيئاً بأفضل من الصبر، لما روي ذلك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: إن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ، فأعطاهم، ثم سألوه، فأعطاهم، ثم سألوه، فأعطاهم حتى نفذ ما عنده، فقال: «ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستغف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر»<sup>(٤)</sup>.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بار الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له<sup>(٥)</sup>. وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ما أنعم الله على عبد نعمة، فانتزعها منه، فعاضاها مكانها الصبر، إلا كان ما عوضه خيراً مما انتزعه منه<sup>(٦)</sup>.

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "أن الصبر على المصائب واجب باتفاق

---

(١) أخرجه أحمد في (مسنده)، ح، رقم (٢٨٠٣) (١٨/٥)، وشعب الإيمان: للبيهقي، ح، رقم (٩٥٢٨) (٣٥٣/١٢)، باب في الرجاء من الله تعالى.

(٢) سورة السجدة: الآية (٢٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٣٣١/٦)، وفتح القدير: للشوكاني، (٢٩٧/٤)، وفي ظلال القرآن: لسيد قطب، (٢٨١٤/٥).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم (١٤٦٩) (١٢٢/٢)، باب الاستغفار عن المسألة، وأخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (١٠٥٣) (٧٢٩/٢)، باب فضل التعفف والصبر.

(٥) تسلية أهل المصائب: محمد بن محمد بن محمد، شمس الدين المنبجي، (ت: ٧٨٥هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الثانية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م، ص، (١٤١).

(٦) مجموع الفتاوى: لابن تيمية، (١٩١/٨)، وتسلية أهل المصائب، ص، (١٣٣).

أئمة الدين" (١).

وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى: "إن الله سبحانه جعل الصبر جواداً لا يكبو، وصارماً لا ينبو، وجنداً لا يهزم، وحصناً حصيناً لا يهدم ولا يتلم، فهو والنصر أخوان شقيقان، فالنصر مع الصبر والفرج مع الكرب والعسر مع اليسر، وهو أنصر لصاحبه من الرجال بلا عدة ولا عدد، ومحلّه من الظفر كمحل الرأس من الجسد" (٢).

فجبل الصحابة رضوان الله عليهم هم الجيل الأوحد والأمثل في الاقتداء للمسلمين في زماننا هذا وفي كل زمان؛ وذلك لما اشتمله تاريخهم من الانتصارات الضخمة، رغم طول جهادهم، وكثرة معاركهم، فلنستق من هذه الانتصارات درس الصبر والثبات على تكاليف الجهاد ليكون زاداً لنا في جهادنا الحاضر والمستقبل.

لقد بلغ الجهد بفرقة من جيش المسلمين في غزوة (ذات الرقاع) غايته، وكان على رأس هذه الفرقة رسول الله ﷺ، فقد قطعوا الأرض بوديانها وسهولها وجبالها وصحرائها مشياً على الأقدام؛ وذلك لعدم وجود وسائل النقل التي تبلغهم إلى مُرادهم، سوى دابة واحدة كانوا يتناوبون عليها، ولنا في وصف أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، بما حلّ به وإخوانه أبلغ من وصف؛ كونه من شاهد بأَم عينيه، وذاق مشقة الخروج في سبيل الله، فقد روى لنا ﷺ فقال: «خرجنا مع النبي ﷺ في غزوة ونحن ستة نفر، بيننا بغير نعتبه» (٣)، فنقبت (٤) أقدامنا، ونقبت قدماي، وسقطت أظفاري، وكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع، لما كنا

---

(١) المصدر السابق.

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن قيم الجوزية، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ص، (١١).

(٣) (نعتبه): أي: نركبه عقبه وهي أن يتناوبوا في الركوب بأن يركب أحدهم قليلاً ثم ينزل فيركب الآخر. ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: لأبي محمد محمود بدر الدين العيني، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، (١٩٦/١٧)، وفتح الباري شرح صحيح البخاري: لا بن حجر العسقلاني، (٤٢١/٧).

(٤) ( فنقبت): أي: قرحت من الحفاء حتى سقطت أظفارهم، فيقال: نقب البعير إذا رقت أخفافه، ونقب الخف إذا تحرق، وذلك لمشيهم حفاة قد نقبت أقدامهم، ينظر: المراجع السابقة.

نعصب<sup>(١)</sup> من الخرق على أرجلنا»<sup>(٢)</sup>.

إن الذي جعل النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم يتحملون أعباء هذا السفر حتى تقرحت أقدامهم من الحفاء هو الصبر على طاعة الله والثبات في مواطن الجهاد في سبيله، فنالوا بذلك الصبر والثبات، النصر والتمكين.

وقد جعل الله الصبر وحده في القرآن الكريم أساس دخول الجنة، كما هو في شأن الأبرار من عباده، يقول تعالى: ﴿وَجَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>، واستحق المتصفون بالصبر من عباد الرحمن بالتحية من الملائكة، يقول تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا مِنْ حَيْثُ سَلَّمَ﴾<sup>(٤)</sup>، وهكذا فإن الصبر يحمل في طياته جُل أخلاق الإسلام وشعب الإيمان.

فالصبر ضرورة للإنسان؛ ليسعد به فردياً واجتماعياً، ويرقى مادياً ومعنوياً، فلا دين ينتصر، ولا دنيا تنهض إلا بملازمة الصبر لهما.

#### ٥ - القيادة الراشدة.

أن أول من وضع أسس وقواعد القيادة، هو سيد الخلق محمد ﷺ شارحاً ومُنْفذاً لآيات القيادة الواردة في سورتي الأنفال والتوبة؛ كونهما يتضمنان العديد من "قواعد التعامل مع المعسكرات المتنوعة في السلم والحرب، والتنظيمات الداخلية للمجتمع الإسلامي وعلاقته بالمنظمات الخارجية، ونظرة الإسلام إلى العهود والمواثيق في شتى الأحوال، وتحديداً للعلاقات النهائية بين المعسكر الإسلامي والمشرّكين عامة، مع إبراز الأسباب الواقعية والتاريخية والعقيدية

(١) (نعصب): أي: تلف ونشد، ينظر: وفتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني، (٤٢١/٧).

(٢) (متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم (٤١٢٨) (١١٣/٥)، باب غزوة ذات الرقاع، « وهي غزوة محارب خصفة من بني ثعلبة من غطفان، فنزل نخلا، وهي بعد خيبر، لأن أبا موسى جاء بعد خيبر »، وأخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (١٨١٦) (١٤٤٩/٣)، باب غزوة ذات الرقاع، قال أبو بردة فحدث أبو موسى بهذا الحديث، ثم كره ذلك، قال: كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاه، قال أبو أسامة وزادني غير بريد والله يجزي به.

(٣) سورة الإنسان: الآية (١٢).

(٤) سورة الفرقان: الآية (٧٥).

التي يقوم عليها هذا التحديد، ونظرته إلى علاقات الدم والجنس والأرض وعلاقات العقيدة<sup>(١)</sup>. فالقيادة تعتبر مسؤوليات وتكاليف لا يتحمل فيها الإنسان مسؤولية نفسه فقط، وإنما يتحمل مسؤولية غيره من أفراد أو جماعات أو أمة، حيث وقد غرست في الإنسان حب الظهور والتملك، وشهوة التسلط والنفوذ، وقد يندفع بذلك إلى أن يسعى للحوزة بمنصب القيادة، مع كونه ليس أهلاً لما يسعى إليه، فتكون قيادته وبالأعلى عليه وعلى غيره، كما وضع بذلك النبي ﷺ في منعه تولي القيادة من سعى في طلبها، فقد روي عن أبي موسى ﷺ، قال: دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من قومي، فقال أحد الرجلين: أمرنا يا رسول الله، وقال الآخر مثله، فقال: «إنا لا نولي هذا من سألته، ولا من حرص عليه»<sup>(٢)</sup>.

وقال النبي ﷺ لأبي ذر ﷺ عندما سألته أن يستعمله على عمل، فقال: «يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها»<sup>(٣)</sup>.

فالقيادة ضرورة اجتماعية لا بد منها لحياة بشرية جبلت على المشاركة، فهي تحتاج إلى من ينظم لها هذه المشاركة، ويعمل على توثيق علاقاتها، ويوضح الطريق أمامها، ويخبرها بما يجب لها وعليها.

إن القيادة لا تقتصر على الأمور العسكرية فحسب، وإنما تستوجب في كل عمل من الأعمال إذا اشترك فيه مجموعة من الناس، فهي ضرورة اجتماعية لا غنى عنها، إذ يحظى من يظن أن أمة تحظى بالنصر وقيادتها تقتقد الأمانة والإخلاص والحكمة. " فالقيادة: ظاهرة اجتماعية ذات جذور عميقة تتصل بطبيعة الإنسان وتراثه الثقافي ومشاركته لمن حوله، فالوجود المشترك لشخصين أو أكثر يخلق نوعاً من الحاجة إلى من ينظم العلاقة

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب، (١٥٣٧/٣)، (١٥٦٥/٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم (٧١٤٩) (٦٤/٩)، باب ما يكره من الحرص على الإمارة، وأخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (١٧٣٣) (١٤٥٦/٣)، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها.

(٣) أخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (١٨٢٥) (١٤٥٧/٣)، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة.

بينهم، وفي هذه الحالة يتولى أحدهم القيادة<sup>(١)</sup>.

لذا فإننا بأمس الحاجة خصوصاً في زمننا هذا إلى القيادة الرشيدة، حيث وقد أعطى الإسلام الاهتمام البالغ بالقيادة، حتى أنه لم يعط أدنى رخصة لأي مجموعة مهما قل عددها من أن تخلوا من وجود قائد عليها، ويؤيد ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم»<sup>(٢)</sup>.

ولقد اختار الله الرسل من بين خلقه لقيادة البشرية، إذ لا يصلح كل الناس أن يقوموا بمثل هذه المهمة، لقوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾<sup>(٣)</sup>، فقد اختار الله تعالى الرسل واصطفاهم لحمل رسالته في كل زمان وكل عالم ؛ ليكونوا قادة لذلك العالم ولذلك الزمان، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup> ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ<sup>(٥)</sup>، فكان كل رسول يُختار ويصطفى من ذلك العالم والزمان الذي نشأ فيه ؛ ليكون لتلك الأمة قائداً لها.

فالرسالة انقضت ولم يبق سوى اتباع الرسل والاقتراء بهم فيما ورثوه لنا، فعلى القائد أن يكون حرياً في تنصيب قيادة الجيوش من هو أحق بالقيادة في زمانه الذي يعيش فيه، وما ذكره الله تعالى من اختياره للرسل إنما هو اختيار عام، فاختيار الله الرسل قادة للقيام بأداء الرسالة أعم من القيادة للحروب، فمن الرسل من قاد بعض المعارك بنفسه واختاروا قادة لها، فقد كان ﷺ يقود الجيوش بنفسه إذا خرج للغزو، ويختار للسرايا أمراء من دون إجراء مفاضلة بسبق إسلام، أو تقدم في العمر، أو فقه في الدين، وهذا لا يدل على عدم اهتمامه ﷺ بمثل

---

(١) النصر والهزيمة دراسة قرآنية، للطالب: عبداللطيف حسن محمد مرشود، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٧، ص، (١٢٤).

(٢) أخرجه أبي داود في (سننه)، ح. رقم (٢٦٠٨) (٣٦/٣)، باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم، وقال الألباني حسن صحيح.

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٢٤).

(٤) سورة آل عمران: الآية (٣٣، ٣٤).

هذه الأمور فحسب، وإنما هي من محض اهتمامه مع وجود الفقه في الحرب إلى جانبها. فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه لم يمض سوى ثلاثة أشهر على إسلامه حتى قاد أشرس معركة في حياته رضي الله عنه، ألا وهي غزوة مؤتة، والتي حصل فيها من النبي صلى الله عليه وسلم، على لقب سيف الله، وذلك بعد استشهاد الأمراء الثلاثة وهم زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبدالله بن رواحة رضي الله عنه أجمعين<sup>(١)</sup>، وما اتفق المسلمون على إمرة خالد بن الوليد بعد استشهاد الثلاثة الأمراء، إلا بسبق شهرته وتجربته وخبرته في الحروب السابقة، وإقدامه وشجاعته التي عرف بها في الجاهلية والإسلام، وما فعل الصحابة ذلك إلا تأسيماً بأفعاله صلى الله عليه وسلم، فإنه كان يتحرى في تعيين القادة، خصوصاً ممن ظهرت شجاعتهم وسبقت لهم التجارب في الحروب، وممن حال فهم النصر وظفروا به، هذا ما جعل مجاهدي أهل مؤتة يتفوقون على خالد بن الوليد وتعيينه قائداً عليهم.

فكان صلى الله عليه وسلم يُسند قيادة الجيش إلى أصحاب الخبرات القتالية والذين تجاوزوا الكثير من المحن، ودليل ذلك ما روي عن فتح خيبر لما أخذ أبو بكر اللواء فرجع ولم يفتح له، فلما كان الغد أخذه عمر فرجع ولم يفتح له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم كما ورد في الصحيحين: «لأعطين الراية غدا رجلاً يفتح الله على يديه»، قال: فبات الناس يدوكون<sup>(٢)</sup> ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «أين علي بن أبي طالب». فقالوا: يشتكي عينيهِ يا رسول الله، قال: «فأرسلوا إليه فأتوني به». فلما جاء بصق في عينيهِ ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله؛ لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً،

---

(١) السيرة النبوية: لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، (ت: ٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، الناشر:

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م (٣٧٣/٢).

(٢) (يدوكون) أي: يخوضون ويتحدثون طوال ليلتهم من الدوكة وهي الخوض والاختلاط، ينظر: صحيح البخاري،

(١٨/٥)، ومسلم، (١٨٧٢/٤).



خير لك من أن يكون لك حمر النعم»<sup>(١)</sup>.

فما أسند النبي ﷺ أمر قيادة الجيش للإمام علي عليه السلام إلا لعلمه بأنه أهل لهذه القيادة، ولتفوقه على خصومه مراراً، كما أجهض<sup>(٢)</sup> على الوليد بن عتبة بن ربيعة في مبارزته في معركة بدر، وما ألحق بعمر بن ود العامري من شر قتلة في موقعة الخندق.

فهؤلاء وغيرهم من قيادات الرعيل الأول، ومن القادة الفاتحين الذين جاؤوا بعدهم بفترة قليلة من الزمن سواء في المشرق أم المغرب، تخرجوا من مدرسة النبي ﷺ، فتداولت أمر القيادة بينهم على أكمل وجه، حتى تصدرت بطولاتهم مشارق الأرض ومغاربها، وصارت نماذج يقتدى بها عبر التاريخ.

فأمر القيادة لا يستهان بها ولا يقلل من شأنها ومكانتها، فهي تعد للجيش العمود الفقري، وتقع بمثابة الرأس من الجسد، تحدد الأهداف وتتجمع عندها المعلومات، وتصدر التعليمات وتتابع التنفيذ، وهكذا يسير العمل على وجه صحيح<sup>(٣)</sup>.

ولأهمية القيادة ودورها في المجتمع فأنها تعد رمز لوحدة، كما تعد أيضاً رمزاً وشرفاً لوحدة الجيش وانضباط وانتظام صفه، فما تحقق نصر ولا نجح عمل إلا وكان أساسه مبنياً على القيادة الحكيمة والرشيدة فيه، هذا وقد أجراه وتحققت بالفعل إحدى سنن الله الكونية في تحقيق سنة النصر، عندما كان ﷺ يسند أمر القيادة إلى من هو أهل لها؛ كونها من أهم أسباب أو شروط تحقيق هذه السنة؛ لذا يستوجب عند اختيار القيادة من التحري والنظر والدقة فيمن يصلح للقيادة ومن لا يصلح لها، فهذه سنة الله تعالى في خلقه، لا تختص بزمان دون زمان ولا بمكان دون مكان.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم (٣٧٠١) (١٨/٥)، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه، وأخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (٢٤٠٦) (٢٤/٤)، باب من فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام،

(٢) (أجهض) أي: غلب، ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (١٠٦٩/٣).

(٣) القيادة والجندية في السنة النبوية: طاهر حمد محمد النحال، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ص، (١٤).

وقد جعل النبي ﷺ لاختيار القيادة معايير، منها وجود الكفاءة وإظهار المحبة والرغبة ممن عُيِّن عليهم، كما دل على ذلك حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "أَيُّمَا رَجُلٍ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا عَلَى عَشْرَةِ أَنْفُسٍ عَلِمَ أَنَّ فِي الْعَشْرَةِ أَفْضَلَ مِمَّنْ اسْتَعْمَلَ فَقَدْ غَشَّ اللَّهُ وَغَشَّ رَسُولُهُ، وَغَشَّ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ" (١).

فَيَتَبَيَّنُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ عَظْمَةُ الْأَوْزَارِ لِمَنْ اسْتَعْمَلَ قَائِدًا عَلَى مَجْمُوعَةٍ قَلِيلَةٍ كَانَتْ أَمْ كَثِيرَةٍ، مَعَ عِلْمِهِ بِوُجُودِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ، فِي مَعَامَلَتِهِ لَهُمْ وَالْعَدْلَ فِيهِمْ وَإِرَادَةَ الْحِفْظِ وَالسَّلَامَةِ لَهُمْ كَمَا يَرِيدُهَا لِنَفْسِهِ، فَقَدْ ارْتَكَبَ زُرًّا فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى أَسْنَدُ أَمَانَةٍ وَوَلَايَةِ عِبَادِهِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُوَدِّهَا كَمَا أَمَرَ، وَوَزَّرَ فِي حَقِّ رَسُولِهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ خَالَفَ مَا جَاءَ بِهِ وَلَمْ يَعْمَلْ بِسُنَّتِهِ، وَوَزَّرَ فِي حَقِّ تِلْكَ الْجَمَاعَةِ الَّتِي اسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِيهِمْ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِلْقِيَادَةِ وَلَمْ تُوَدِّهَا حَقًّا فَلْيَلْزَمْ حُدَّهُ وَلْيَتْرَكْهَا لغيره؛ كَوْنَهُ خَالِيًا مِنْ مَوَاصِفَاتِ الْقِيَادَةِ، وَخَوْفًا عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ يَقْتَادِهِمْ مِنَ الْأَعْبَاءِ وَالنَّكَبَاتِ الَّتِي تَعُودُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ.

أَمَّا أَصْحَابُ الْمَوَاهِبِ الْمَوْصُوفَةِ بِصِفَاتِ الْقِيَادَةِ سِوَاءِ الْوَرَاثَةِ أَمْ الْمَكْتَسِبَةِ فَإِنَّهَا تَجْلِبُ لِمُتِلَابِهَا الثِّقَةَ وَالْاحْتِرَامَ وَالطَّاعَةَ الطَّوْعِيَّةَ مِنْ قَبْلِ مَنْ يَقُودُهُمْ وَإِخْلَاصَ التَّعَاوُنِ فِيهَا بَيْنَهُمْ، فَأَجَلَ صِفَةٍ يَجِبُ عَلَى الْقَائِدِ أَنْ يَتَحَلَّى بِهَا، هِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي شَأْنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَمَا اخْتَارَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ طَالُوتَ مَلَكًا، فَاعْتَرَضُوا ذَلِكَ الْقَرَارَ بِقَوْلِهِمْ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ (٢)، فَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ أَنَّ عِلَّةَ الْإِصْطِفَاءِ وَالِاخْتِيَارِ لَهُ، هُوَ الزِّيَادَةُ فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ، إِذْ جَعَلَهُمَا اللَّهُ أَوْلَى صِفَاتِ الْقَائِدِ الْحَرْبِيَّةِ، كَمَا فِي

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير: لعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي، (ت: ١٠٣١هـ) الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ، (د، ت، ح، رقم (٥٠٤٠) (١٤٠/٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع.

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٤٧).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٤٧)، فتحققت سنة الله تعالى الربانية بهذا القائد الموصوف بزيادة العلم وقوة الجسم؛ كون العلم ملاك الإنسان، ورأس الفضائل، وأعظم وجوه الترجيح، وفتوة في الجسم؛ كونها التي يظهر بها الأثر في الحروب وغيرها، فجمع بين قوة الدين وقوة البدن، ولم يكن من سبط النبوة ولا سبط المملكة، وإنما كان طالوت كما قيل: مكاريًا؛ وقيل: سقاءً على ماء، وقيل: دباغاً<sup>(١)</sup>.

ويتبين من الآية أن العلم، والقدرة من باب الكمالات الحقيقية، ليس المال والجاه، وأن العلم والقدرة يمكن التوصل بهما إلى المال والجاه، ولا يمكن العكس، وأن المال والجاه، يمكن سلبهما عن الإنسان، ولا يمكن سلب العلم والقدرة، وأن القائد العالم بأمر الحروب، ذا القوة والبطش الشديد على المحاربة، ينتفع به في حفظ مصلحة الملك، ودفع شر الأعداء، أكثر من الانتفاع بالرجل ذو النسب والغني الذي لا قدرة له على دفع الأعداء، ولا يحفظ مصلحة الملك<sup>(٢)</sup>.

فالقيادة الراشدة لأبد أن يكون صاحبها أكمل القوم عقلاً، وأبعدهم صوتاً، وأطولهم تجربة، وأبصرهم بأمور الحرب، وأحسنهم سيرة وخلقاً، وأن تتصف بالشجاعة والليقظة، والصفح والرفق ولين الجانب وغيرها مما يجب أن تتصف بها القيادة، حتى تتجسد عرى المحبة بين القيادة

(١) سورة البقرة: الآية (٢٤٧).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي، (٥٠٤/٦)، وفتح القدير: للشوكاني، (٣٠٣/١)، وتفسير المراغي، (٢١٧/٢)، والموسوعة القرآنية: لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري، (ت: ١٤١٤هـ) الناشر: مؤسسة سجل العرب، (د، ت، ط): ١٤٠٥هـ، (١٧٨/٩)، وفتح البيان في مقاصد القرآن: لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي البخاري، (ت: ١٣٠٧هـ) عني بطبعه وقدم له وراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، (د، ط)، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م (٧٢/٢).

(٣) اللباب في علوم الكتاب: لأبي حفص النعماني، (٢٧١/٤)، وغرائب القرآن: للنيسابوري، (٦٦٦/١).

وأفرادها، ويكون بعضهم سنداً لبعض، وتتجلى فيهم معاني قوله صلى الله عليه وسلم فيهم: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»<sup>(١)</sup>، فإذا كانت القيادة ذا خير أحببت أفرادها وأحبوه، وإذا كانت ذا شر أبغضت أفرادها وأبغضوه، وأصل ذلك أن خشية الله تبعث على طاعته في خلقه وطاعته فيهم تبعثهم على محبته فلذلك كانت محبته، دليلاً على خيره، وبغضهم له دليلاً على شره وقلة مراقبته لله تعالى<sup>(٢)</sup>.

فالقيادة ليست عبارة عن تسلط وتآمر أو أنها غنيمة ومفخرة، أو لتحقيق بعض المصالح والمطامع الشخصية، وليست أيضاً قاصرة على القائد الذي يتولى قيادة الجند في خوض المعارك، ولا على من يتولى أمر المسلمين كالخليفة، بل إن مفهوم القيادة في الإسلام جاءت بشموليتها على كل من يُسند إليه أمر من أمور المسلمين العامة أو الخاصة، كما نجد هذه القيادة بمعناها ومفهومها الشامل في الحديث الذي يرويه لنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «كلكم راع فمسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»<sup>(٣)</sup>.

فعلى القيادة أن تراعي جميع ما استحضرت عليه من أمور المسلمين، سواءً مدنية أم

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (١٨٥٥) (١٤٨١/٣) باب خيار الأئمة وشرارهم، من حديث عوف بن ملك الأشجعي رضي الله عنه.

(٢) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: لعبد الرؤوف بن تاج العارفين، ح، رقم (٣٩٨٠) (٤٦٣/٣)، ونيل الأوطار: للشوكاني، (ت: ١٢٥٠هـ) تحقيق: عصام الدين الصبابي، الناشر: دار الحديث، مصر، ط: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م (٢٠٦/٧)، باب الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم والكف عن إقامة السيف.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ح، رقم (٢٥٥٤) (١٥٠/٣)، باب كراهية التناول على الرقيق، وقوله عبيد أو أمتي، وأخرجه مسلم في صحيحه، ح، رقم (١٨٢٩) (١٤٥٩/٣) باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية.

عسكرية، وأن لا تتجاوز بهم ما أمر الله به، فمسؤولية المسلمين أمانة لدى القيادة في الدنيا وخزي لمن فرط فيها في الآخرة.

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "ولي الأمر أو القيادة إنما نصبت لتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وهذا هو مقصود الولاية والقيادة، فإذا كان الوالي أو القائد يُمكن من المنكر بمال يأخذه، كان قد أتى بـضد المقصود، مثل من نصبته ليعينك على عدوك، فأعان عدوك عليك، وبمنزلة من أخذ مالاً ليجاهد به في سبيل الله، فقاتل به المسلمين<sup>(١)</sup>."

فإذا كان هدف القائد وغايته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإيجاد مجتمع آمن وراقي ومتطور وقوي ومتماسك، ألان الله له قلوب من كان حوله، ويسر له أسباب فعل الخيرات، وصرف عنه فعل المنكرات.

## ٦ - الشورى.

تعد الشورى من أهم دعائم القيادة الناجحة التي تنأى بقرار القائد عن الزلل، وتجنبه مزالق الاستبداد بآرائه وانفراده بالسلطة، وبالشورى تقي القائد من عدم التسرع في إصدار الأحكام والوقوع في الخطأ، فالقائد الفطن والموفق هو الذي يحسن اختيار مستشاريه ممن لا يهابونه في كشف حقائق الأمور وأبعادها، فيصغي إليهم؛ ليعرف وجهة نظرهم فيما استشارهم فيه، ومن ثم يأخذ بما فيه مصلحة الجميع.

فحكم الشورى في الشرع واجبة كما في قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾<sup>(٣)</sup>،

(١) ينظر: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية: لابن تيمية ، (ت: ٧٢٨هـ) الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٨هـ، ص: (٥٨).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٥٩).

(٣) سورة الشورى: الآية (٣٨).

فهاتان الآيتان الكريمتان هما الوحيدتان في القرآن الكريم اللتان يتحدثان عن موضوع الشورى، حيث وقد جاء في أمره تعالى بالمشاورة أربعة أقوال:

**أولها:** أنه أمره بمشاورتهم في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح فيه، قال الحسن<sup>(١)</sup>: ما شاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم.

**ثانيها:** أنه أمره بمشاورتهم في الأمور مع ما يأتيه من وحي السماء، تأليفا لهم وتطيبا لأنفسهم، فما استشار قوم بعضهم البعض، ولم يبتغوا بذلك سوى وجه الله، إلا أرشدهم الله إلى الصواب في أمرهم.

**ثالثها:** أنه أمره بمشاورتهم لعلمه تعالى لما في المشورة من الفضل، ولتأسى أمته ﷺ بمبدأ الشورى من بعده.

**رابعها:** أنه أمره بمشاورتهم وإن كان عن مشورتهم غنياً، وإنما ليستن به المسلمون ويتبعه فيها المؤمنون من بعده فيما لم يأتهم عنه ﷺ فيه أثر<sup>(٢)</sup>.

"والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب. هذا ما لا خلاف فيه، فواجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون، وفيما أشكل عليهم من أمور الدين، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح،

---

(١) هو: أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، ولد الحسن لسنيتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه، وكان أشبه رأياً به، أدرك مائة وثلاثين من أصحاب النبي ﷺ، مات بالبصرة سنة (١١٠ هـ) وهو ابن ثمانين سنة، تابعي، أحد العلماء والفقهاء الفصحاء، إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمانه، من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة، ينظر: فتح الباب في الكنى والألقاب: لأبي عبد الله محمد بن إسحاق العبدى، (ت: ٣٩٥ هـ) تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: مكتبة الكوثر - السعودية - الرياض، ط: الأولى، ١٤١٧ هـ، ص - ١٩٩٦ م (٣٦٣)، وطبقات الفقهاء: لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، (ت: ٤٧٦ هـ) هذبة: محمد بن مكرم ابن منظور، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٩٧٠ م، ص (٨٧)، وسير السلف الصالحين: لأبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، (ت: ٥٣٥ هـ) تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، الناشر: دار الراجية للنشر والتوزيع، الرياض، ص، (٧٤٠).

(٢) ينظر: تفسير الماوردي، (٤٣٣/١)، وإمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: لأبي العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني، (ت: ٨٤٥ هـ) تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م (٢٧٩/٢)، (٢٨٠).

ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها<sup>(١)</sup>.

ورد عن ابن تيمية في تفسير قوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقد قيل: إن الله تعالى أمر بها نبيه لتأليف قلوب أصحابه، وليقتدي به من بعده، وليستخرج بها منهم الرأي، فيما لم ينزل فيه وحي بخصوص أمر الحروب والأمور الجزئية وغير ذلك، فمن باب أولى أن غيره ﷺ أولى بالمشورة في أمور الحرب وغيرها<sup>(٣)</sup>.

وقد صح أنه ﷺ قال: «أشيروا عليّ معشر المسلمين..»<sup>(٤)</sup>، يوم أن قيل ما قيل في حادثة الإفك من قبل عدو الله ورأس المنافقين ابن سلول، "والشورى في الإسلام نص قاطع لا يدع للأمة المسلمة شكاً في أن الشورى مبدأ أساسي، لا يقوم نظام الإسلام على أساس سواه"<sup>(٥)</sup>، كما أن الشورى تعد من لوازم الإيمان، حيث جعلت أحد الصفات اللاصقة بالمؤمنين المميزة لهم عن غيرهم، فلا يكمل إيمان المسلمين إلا بوجود صفة الشورى فيهم وعاملين بها وفق أحكامها، ولا يجوز لجماعة مسلمة أن تقيم أو ترضى إقامة أمرها على غير الشورى، وإلا كانت آثمة مضيعة لأمر الله<sup>(٦)</sup>.

فمن تجاهل أو سفه رأي امرئٍ واهماً في نفسه أن استماعه واستمداده لآراء غيره، أو استشارة أهل النصيح من قومه، أن ذلك أمر يضع من مكانته ويقلل من شأنه، فيحمله على تجاهل من يجب استشارتهم والإعراض عنهم والاستبداد برأيه، فلا يكسب بذلك إلا التخبط

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٤/٢٤٩، ٢٥٠).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٥٩).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية، (٣٨٧/٢٨).

(٤) المعجم الكبير: للطبراني، (١٠٦/٢٣)، قصة الإفك، وما أنزل الله من براءتها، والسيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة: لأبي عمر محمد بن حمد الصوياني، الناشر: مكتبة العبيكان، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م (٤٧/٣)، باب رسول الله ﷺ يخطب حزناً.

(٥) في ظلال القرآن: لسيد قطب، (٥٠١/١).

(٦) الإسلام وأوضاعنا السياسية: عبد القادر عودة، (ت: ١٣٧٣هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان: ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م (١/١٧٣).

والتردد في قراراته، والحيرة في كيفية إدارة شئونه وشئون من يرأسهم.

"فمن حق العاقل أن يضيف إلى رأيه رأي العلماء وإلى عقله عقول الحكماء ويديم الاسترشاد ويترك الاستبداد، فمن استشار العالم فيما ينويه واسترشد العاقل فيما يأتيه وضحت له الأمور وصلاح له الجمهور واستنار فيه القلب وسهل عليه الصعب، فلا تأنف من الاسترشاد ولا تستكف من الاستمداد؛ فالأن تستشير وتندم خير من أن تستبد وتسلم"<sup>(١)</sup>.

وقيل: "أن المرء إذا استشار الرشيد وعمل بمشورته واستنصح الرشيد وبنى على نصيحته لم يفته حزم ولم يغلبه عزم، و احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً، كما تحذر غيلة العاقل إذا كان عدواً، فيوشك أن تورطك مشورة الجاهل ويسبق إليك مكر العاقل"<sup>(٢)</sup>.

فالشورى ألفة للجماعة وصقال للعقول وسبب في الوصول إلى الصواب، فما تشاور قوم إلا هدوا، ولقد مدح الله الأنصار بقوله: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، أي أنهم كانوا قبل الإسلام إذا أهمهم أمر اجتمعوا فتشاوروا فيما بينهم وعملوا عليه، وذلك من فرط تدبرهم وتفقههم في الأمور<sup>(٤)</sup>.

وقال الحسن البصري: أي أنهم لانقيادهم للرأي في أمورهم متفقون لا يختلفون، فاستحقوا المدح باتفاق كلمتهم وسيرهم على ما اتفقوا عليه، وكان ﷺ يشاور أصحابه في الآراء المتعلقة بمصالح الحروب ونحوها ليطيب بها قلوبهم، ولم يكن يشاورهم في الأحكام؛ لأنها منزلة من عند الله على جميع الأقسام من الفرض والندب والمكروه والمباح والحرام، أما الصحابة رضوان الله عليهم فكانوا يتشاورون في الأحكام ويستنبطونها من الكتاب والسنة، وأول ما تشاور فيه الصحابة بعد وفاته ﷺ تشاورهم في أمر الخلافة الذي انتهى بهم الأمر إلى تولية

---

(١) تهذيب الرئاسة وترتيب السياسة: لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن القلعي (ت: ٦٣٠هـ) تحقيق: إبراهيم يوسف مصطفى عجو، الناشر: مكتبة المنار - الأردن الزرقاء، ط: الأولى، (١/١٨٤).

(٢) ينظر: المصدر السابق، (١/١٨٧).

(٣) سورة الشورى: الآية (٣٨).

(٤) ينظر: أحكام القرآن: لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي، (ت: ٥٤٣هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، الاشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م (٩١/٤)، روح البيان: للخلوتي، (٨/٣٣١).



أبي بكر رضي الله عنه؛ لأنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها نص<sup>(١)</sup>.

وقيل: "نعم الموازنة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد، وقيل: إن من بدأ بالاستشارة وثنى بالاستشارة لتحقيق أن لا يضل رأيه"<sup>(٢)</sup>.

ولأهمية الشورى وقيمتها وتأييداً لما سبق ذكره، فقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد»<sup>(٣)</sup>.

ولتأكيد أهمية الشورى نجد أن أصحاب السير ذكروا نماذج في استشارة النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه في أمور الحرب وغيرها، ومن تلك النماذج ما وقع له صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر الكبرى لما تحقق له الخبر أن قريش قد خرجت لحماية العير فاستشار الناس، فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال وأحسن، ثم قام المقداد<sup>(٤)</sup> بن عمرو رضي الله عنه فقال: يا رسول الله امض لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أشيروا علي أيها الناس"<sup>(٥)</sup>.

ولما وصل النبي صلى الله عليه وسلم بدرًا نزل بأدنى ماء منها، فقال الحباب بن المنذر بن الجموح: يا رسول الله، أرايت هذا المنزل، أمّنزلًا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أم هو

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٣٦/١٦، ٣٧)، تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (١٩٣/٧)، وتفسير المراغي، (٥٢/٢٥).

(٢) روح البيان: للخلوتي، (٣٣١/٨).

(٣) المعجم الأوسط: للطبراني، ح، رقم (٦٦٢٧) (٣٦٥/٦)، و فيض القدير شرح الجامع الصغير: لبعبد الرؤوف بن زين العابدين، ح، رقم (٧٨٩٥) (٤٤٢/٥)، وقال الألباني موضوع.

(٤) هو: وهو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود بن عمرو بن سعد القضاعي الكندي البهراني، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأحد السابقين الأولين، مات في سنة ثلاث وثلاثين وصلى عليه عثمان بن عفان وقبره بالبقيع - رضي الله عنه، ينظر: معجم الصحابة: لأبي الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي (ت: ٣٥١هـ)، تحقيق: صلاح بن سالم المصراطي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، ط: الأولى، ١٤١٨هـ (١٠٧/٣)، وسير أعلام النبلاء: للذهبي، الناشر: دار الحديث - القاهرة، (٢٣٥/٣).

(٥) ينظر: السيرة النبوية: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ) تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٦ م (٣٩١/٢، ٣٩٢).

الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم، فننزله، ثم نغور ما وراءه من القُلْب<sup>(١)</sup>، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: "لقد أشرت بالرأي"<sup>(٢)</sup>.

ومن تلك النماذج أيضاً استشارته ﷺ في شأن أسرى بدر، وكذلك استشارته قبل غزوة أحد في الخروج لقتال قريش، فكان رأي أغلب الشباب الخروج للقاء العدو؛ لأنهم لم يخرجوا في بدر، مما حمله ﷺ في الخروج للقاء قريش، واستشارته يوم الخندق بشأن المصالحة مع الأحزاب بثلاث ثمار المدينة، فهذا دليل على مشاورته ﷺ لأصحابه في شؤون الحرب وغيرها<sup>(٣)</sup>.

هذه بعض نماذجه ﷺ في تطبيق مبدأ الشورى مع أصحابه، ومن ثم قيام الصحابة بتداول هذا المبدأ فيما بينهم البين، ولنستعرض بعض مواقف الخلفاء الراشدين وتطبيقهم وتنفيذهم لمبدأ الشورى في زمانهم، فأول موقف تشاور فيه الصحابة رضوان الله عليهم بعد وفاة النبي ﷺ، تشاورهم في سقيفة بني ساعدة بالمدينة في تعيين أبي بكر ﷺ خليفة للمسلمين، بينما اقترح أبو بكر ﷺ أن يكون خليفة المسلمين واحداً من اثنين، عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما، لكن عمر بن الخطاب ﷺ أنهى ذلك الأمر في حينه، فقام بإمداد يده إلى أبي بكر ﷺ وبايعه، ثم بايعه الناس، فصار ذلك الموقف نموذجاً للحوار الحر الصريح بين المهاجرين والأنصار مع كون الغالبية من الأنصار، ثم أفضى الحوار إلى بيعة

---

(١) (القُلْب) هي البئر قبل أن تطوى بالحجارة أو البئر العادية القديمة في البراري لم يعلم لها رب، وتسمى قليلاً لأنه قُلْب تُرأىها. ينظر: مختار الصحاح: للرازي، ص، (٢٥٨)، ولسان العرب: لابن منظور، (٦٨٩/١).

(٢) السيرة النبوية: لابن هشام، ت، السقا، (٦٢٠/١).

(٣) أخرجه الترمذي في (سننه)، ح، رقم (١٧١٤) (٢٦٥/٣)، وهذا حديث حسن وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه، من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ، ومسند ابن أبي شيبة: لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، (ت: ٢٣٥هـ) تحقيق: عادل بن يوسف العزاوي وأحمد بن فريد المزيدي، الناشر: دار الوطن - الرياض، ط: الأولى، ١٩٩٧م، ح، رقم (٣٦٦) (٢٤٤/١)، من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ.

أحد المهاجرين أبي بكر رضي الله عنه <sup>(١)</sup>.

ومن نماذج تطبيق الشورى في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه: استشارته كبار الصحابة في غزو الروم، فقد دعا علياً، وعمر، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبا عبيدة بن الجراح، ووجوه المهاجرين، والأنصار من أهل بدر وغيرهم، فدخلوا عليه فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن الله عز وجل لا تحصى نعمائه، لا تبلغ جزاءها الأعمال، فله الحمد؛ قد جمع الله كلمتكم، وأصلح ذات بينكم، وهداكم إلى الإسلام، ونفى عنكم الشيطان، فليس يطمع أن تشركوا به، ولا تتخذوا إلها غيره؛ فالعرب اليوم بنو أم وأب، وقد رأيت أن أستنفر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام؛ ليؤيد الله المسلمين، ويجعل الله كلمته العليا، مع أن للمسلمين في ذلك الحظ الأوفر؛ لأنه من هلك منهم هلك شهيداً، وما عند الله خير للأبرار، ومن عاش عاش مدافعاً عن الدين مستوجبا على الله ثواب المجاهدين، فهذا رأيي الذي رأيته، فليشر امرؤ علي برأيه، فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووافق على رأي أبي بكر، ثم قام عبد الرحمن بن عوف وأبدى رأيه في نوعية الجهاد الذي يستخدم في مواجهة الروم، وأنه لا بُد من الحشد الكبير معهم من القبائل العربية، ثم قام عثمان ووافق على رأي أبي بكر، ثم قام من كان في المجلس من المهاجرين والأنصار موافقين لرأي أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين، وهكذا أبدى كل واحد منهم رأيه فيما استشارهم فيه أبو بكر رضي الله عنه <sup>(٢)</sup>.

ومن نماذج الشورى في عهد الفاروق عمر رضي الله عنه، عندما أراد غزو فارس فلما اجتمع بالناس وبعض الصحابة أخبرهم أنه يريد غزو فارس، وإنما ذلك الجمع لينظر رأي الناس في ذلك الأمر، فما كان من عامة الناس إلا أن قالوا: "سر وسر بنا معك" فوافق على ما رأوه، فقال

---

(١) ينظر: عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين: أكرم بن ضياء العمري، الناشر:

مكتبة العبيكان - الرياض، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م (٩٩/١)، وفقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة

الراشدة: محمد سعيد رمضان البوطي، الناشر: دار الفكر - دمشق، ط: الخامسة والعشرون، ١٤٢٦ هـ، (٣٥١/١).

(٢) ينظر: حياة الصحابة: محمد يوسف بن محمد إلياس بن إسماعيل الكاندهلوي، (ت: ١٣٨٤ هـ) تحقيق: الدكتور بشار عواد

معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م (٣٣/٢) -

استعدوا وأعدوا فإنني سائر إلا أن يجيء رأي هو أمثل من ذلك، ثم أرسل في طلب كبار الصحابة ومن كانت لهم مكانة عند رسول الله ﷺ، كأمثال علي بن أبي طالب، وطلحة والزبير، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم أجمعين، فحضر الجميع إليه فاستشارهم في خروجه على رأس الجيش لغزو فارس، وقال لهم أحضروني الرأي فإنني سائر، فوافق رأي طلحة رأي الناس في الخروج، أما عبد الرحمن بن عوف فقد كان ممن نهاه عن الخروج، فقال عبد الرحمن: فما فديت أحدا بأبي وأمي بعد النبي ﷺ قبل يومئذ ولا بعده، فقلت يا بأبي وأمي اجعل عجزها بي وأقم وابعث جنداً، فقد رأيت قضاء الله لك في جنودك قبل وبعد فإنه إن يهزم جيشك ليس كهزيمتك وإنك إن تقتل أو تهزم في أنف الأمر خشيت إلا يكبر المسلمون وألا يشهدوا أن لا إله إلا الله أبداً، وبينما هم كذلك إذ وصل كتاب سعد بن أبي وقاص، وكان على بعض صدقات نجد، فقال عمر رضي الله عنه أشيروا علي برجل، فقال عبد الرحمن وجدته، قال: من هو؟ قال: الأسد في برائته، سعد بن أبي وقاص، ومالاه أولو الرأي على ذلك<sup>(١)</sup>.

فتعتبر الغاية من الشورى الاقتداء بها والاهتداء بهداها، وكونها أيضاً من سنن الله تعالى الكونية التي سنّها لعباده، ولمكانة مبدأ الشورى وردت إحدى سور القرآن الكريم تحمل هذا الاسم، وذلك شرفاً لهذا المبدأ وتلميحاً لأهميته ومنزلته، كما أنها لا تخلوا من عدة فوائد لمن قام بممارستها وتطبيقها، فمن تلك الفوائد، أنها تصيب الحق في الغالب، وأنها إحدى الطاعات التي يتقرب بها العبد إلى الله، وأنها تجمع الأفكار ومن ثم العمل على أصوبها، وبالشورى يتم تبادل الخبرات من فرد إلى آخر، وتقضي على ظاهرة البلبلة من أصحاب النفوس الضعيفة، ويتبين بالشورى من لهم أبعاد النظر في آرائهم حتى يتم استعمالهم في المكان المناسب لهم.

ولقد ورد في بعض السنن أن الرجال ثلاثة: "فرجل، ونصف رجل، ولا شيء، فأما الرجل

---

(١) ينظر: تاريخ الأمم والرسول والملوك: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط:

الأولى، ١٤٠٧هـ، (٢/٣٨١، ٣٨٢).

التام: فالذي له رأي، وهو يستشير، وأما نصف رجل، فالذي ليس له رأي، وهو يستشير، وأما الذي لا شيء، فالذي ليس له رأي، ولا يستشير<sup>(١)</sup>.

كما أن القيام بمبدأ الشورى اشعار للجميع بالمسؤولية في القيام بتحقيق المصلحة العامة قبل الخاصة، وتعمل أيضاً على توثيق رابط الأخوة وتوطيد الثقة بين الراعي والرعية وتضييق مربع الخلاف بينهما.

#### ٧- الإعداد.

لا يخفى شأن الإعداد المادي في تحقيق سنة الله تعالى الربانية في النصر، فما علمنا بتحقيق نصر إلا وكان للإعداد المعنوي والمادي في تحقيق هذه السنة من الأهمية ما لا يستهان به، فعملية الإعداد المادية لا تحتل الخطأ ولا الإهمال أو اللامبالاة والعشوائية، بل هي عملية بالغة التعقيد؛ لما تتطلب من علوم وجهود وخبرات وأموال وغيرها من مستلزمات الإعداد، ولكون عملية الإعداد المعنوية السابقة ذكرها لا تكفي لمواجهة المعتدين وقمع الظالمين والطامعين، وإحباط مكر الماكرين، ورد كيد المناوئين، وجب إعداد قوة مادية تلازمها وتساندها حتى لاتدع ثغرة للعدو يأتيها من قبلها.

فسنة الله تعالى الربانية في تحقيق سنة النصر تستوجب العديد من الوسائل التي تعمل على تحقيق هذه السنة، ومن أهم هذه الوسائل الإعداد الجيد للخوض في أي معركة، فقد حثنا القرآن الكريم على ضرورة التهيؤ والإعداد الجيد لإرهاب أعدائه وأعداء الحاملين لرسالة الإسلام، فقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، "فالاستعداد بما في الطوق فريضة تصاحب فريضة الجهاد والنص يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها، ويخص رباط الخيل؛ لأنه الأداة التي كانت بارزة عند من كان يخاطبهم بهذا القرآن أول مرة، ولو أمرهم بإعداد أسباب لا يعرفونها في ذلك الحين مما سيجد مع الزمن لخاطبتهم

(١) أخرجه البيهقي في (السنن الكبرى)، ح، رقم (٢٠٣٠٧)، (١٨٨/١٠) باب مشاورة الوالي والقاضي في الأمر.

(٢) سورة الأنفال: الآية (٦٠).

بمجهولات محيرة، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا<sup>(١)</sup>.

فالقوة المرهونة لإرهاب العدو والتي أمرنا الله تعالى بإعدادها في الآية، يجب ان تكون أقوى من قوته حتى ترهبه وتجعله يخاف من تلك القوة إذا حاول التحرش بدول المسلمين، فهذه القوة المرهبة للعدو لابد من ضرورة إعدادها، ولا يجوز التكاسل عنها أو التفريط فيها، فالحق لابد له من قوة تحميه وتخيف الباطل وأهله.

فمهمة هذه القوة التي يتم إعدادها هي القيام بتأمين وحماية أفرادها الذين اختاروا هذه العقيدة على حريتهم لأنفسهم، وإرهاب أعداء هذا الدين وإخافتهم حتى لا يفكروا في الاعتداء على ديار الإسلام أو على أفرادها وأمتعتها حتى وإن كانوا خارج بلاد الإسلام، أو الوقوف في وجهه في انطلاقه لتحرير البشرية في الأرض كلها، وأن تقوم هذه القوة بتدمير أي قوة في الأرض اتخذت لنفسها صفة الألوهية، وحكمت الناس بسلطانها وشرائعها غير معترفة بأن الألوهية والحاكمية لله وحده<sup>(٢)</sup>.

فالإعداد المادي ضرورة من أجل بناء قوة تردع الطغاة وتكسر شوكتهم، وتكون أهل لتحقيق سنة الله الربانية في النصر، لا كما يعتقد ويتصوره بعض البسطاء من المسلمين أنه بإمكاننا الانتصار على أعدائنا وإن لم نعد له العدة وننتهياً له، ولسان حالهم يقول: ألم يكن قد وعدنا الله تعالى بالنصر، فما دام قد سبق هذا الوعد منه كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، فهو لابد سينصرنا وإن لم نتمكن من إعداد أنفسنا وقوتنا، فالجواب لمثل هؤلاء أن سنة الله تعالى في تحقيق سنة النصر لا تتبدل ولا تتحول، فما دامت سنة الله تعالى تقوم على ربط الأسباب بمسبباتها، ونتائجها بالمقدمات، فإن سنة الله تعالى الربانية في تحقيق سنة النصر مرهونة على القيام بالأسباب، فمن المستحيل أن يتحقق النصر بدون إعداد؛ كونه أحد هذه الأسباب.

---

(١) في ظلال القرآن : لسيد قطب، (١٥٤٣/٣).

(٢) ينظر: تفسير القرآن الحكيم: لرشيد رضا، (١٢٥/١٠)، وفي ظلال القرآن: لسيد قطب، (١٥٤٤/٣).

(٣) سورة الروم: الآية (٤٧).

ويلاحظ ذلك في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، في إعداداته الشامل الكامل مادياً ومعنوياً، فقد جيش الجيوش وعقد الألوية، واختار القيادة لخوض حروب الردة، فولى خالد بن الوليد قيادة الجيش، وزيد بن ثابت لجمع القرآن، وأبو بزة الأسلمي<sup>(١)</sup> للمراسلات الحربية، وقد قام بمراسلة المرتدين، وحرّض الصحابة على قتالهم، وجمع السلاح والخيول والإبل وجهاز الغزاة، وحارب البدع والجهل<sup>(٢)</sup>.

وجاء من بعده معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، آخذاً بسنة الأخذ بالأسباب في النصر، ومنطلقاً من آية الإعداد ملتزماً بتطبيقها في أرض الواقع، فقد قام بإعداد شامل كامل لما تطلبه معركته مع الروم، أثناء زحفه لفتح القسطنطينية، فقام ببناء الأسطول البحري وزوده بأدوات لتطويره، وقام بتقوية الجيش وبناء الحصون، ودعم الثغور وأماكن الرباط، فقد وصلت الجيوش الإسلامية في زمانه إلى القسطنطينية وحاصرتها مرتين، غير فاتحين لها، لكنهم نجحوا في صرف همة البيزنطيين عن التحرش بالمسلمين، وجعلهم يركزوا في الدفاع عن ما بحوزتهم من بلاد، مع بث الرعب والخوف في نفوسهم وإشعارهم بأن مدينتهم أصبحت تحت الحصار<sup>(٣)</sup>.

ورغم عدم فتح الجيوش الإسلامية للقسطنطينية في هذه الحملتين، إلا أنهم قد فازوا بالبشرى النبوية الموعودة بالمغفرة، وذلك بسبق غزوهم لهذه المدينة، كما روي ذلك عن أم

---

(١) هو: أبو بزة الأسلمي نضلة بن عبيد بن الحارث غلبت عليه كنيته واختلف في اسمه، ف قيل نضلة بن عبد الله بن الحارث وقيل عبد الله بن نضلة وقيل سلمة بن عبيد، أسلم قديماً وشهد فتح مكة ثم تحول إلى البصرة، ثم غزا خراسان ومات بها أيام يزيد بن معاوية أو في آخر خلافة معاوية، ينظر: الوافي بالوفيات: لصالح الدين الصدفي، (٢٧/٨١).

(٢) ينظر: الانشراحُ وَرَفَعُ الصَّيْقُ فِي سِيرَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ شَخْصِيَّتِهِ وَعَصْرِهِ: علي محمد محمد الصَّلَّابِي، الناشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة- مصر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م ص، (٢٨٨).

(٣) ينظر: معاوية بن أبي سفيان - شخصيته وعصره: علي محمد محمد الصَّلَّابِي، الناشر: دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، مصر، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م ص، (٤٤٧)، و موجز عن الفتوحات الإسلامية: د طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عُبَيْة، الناشر: دار النشر للجامعات - القاهرة (د، ط)، (٣٢/١).

حرام<sup>(١)</sup> رضي الله عنها قالت: سمعت النبي ﷺ، يقول: «أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا»<sup>(٢)</sup>، قالت أم حرام: قلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: «أنت فيهم»، ثم قال النبي ﷺ: «أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم»، فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: «لا»<sup>(٣)</sup>.

ومن قبل كان ﷺ حريصاً على إعداد المسلمين وتهيئتهم للحرب والقتال، منطلقاً من قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ..﴾<sup>(٤)</sup>، فلو لم يكن للإعداد المادي أثره البالغ في تحقيق سنة الله تعالى الكونية في النصر لما نادى ﷺ وصرح بتجهيز جيش العسرة مع أنه لم يصرح بغزوة ولا بسرية من قبل إلا في غزوة تبوك؛ وذلك لعلمه بما قد أعدته الروم لقتاله.

ففي هذه الآية الكريمة بدأ النداء من الله تعالى بالأمر الصريح إلى المسلمين جميعاً، بوجوب إعداد قوة للجهاد بقدر المستطاع؛ كونه يتفق مع طبيعة الإسلام القائمة على قاعدة التيسير ورفع الحرج، "فيتخذ الإسلام للنصر عدته الواقعية التي تدخل في طوق العصبية المسلمة فهو لا يعلق أبصارها بتلك الآفاق العالية إلا وقد أمن لها الأرض الصلبة التي تطمئن عليها أقدامها وهياً لها الأسباب العملية التي تعرفها فطرتها وتؤيدها تجاربها"<sup>(٥)</sup>؛ لذلك

(١) هي: أم حرام بنت ملحان بن خالد ابن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصارية، النجارية، المدنية، أخت أم سليم، وخالة أنس بن مالك، تزوجت عبادة بن الصامت، فغزا بها في البحر، وكانت تلك الغزوة غزوة قبرس، وذلك في سنة سبع وعشرين، فحملها معه، فلما رجعوا قربت لها بغلة لتركبها، فصرعتها، فدقت عنقها، فماتت - رضي الله عنها، وأن قبرها تزوره الفرنج، ينظر: سير أعلام النبلاء: للذهبي، الناشر: مؤسسة الرسالة، (٣١٧/٢)، و الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني، (٣٧٦/٨).

(٢) (أوجبوا) أي: وجبت لهم الجنة بجهادهم في سبيل الله. ينظر: صحيح البخاري، (٤٢/٤).

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم (٢٩٢٤)، (٤٢/٤)، باب ما قيل في قتال الروم.

(٤) سورة الأنفال: الآية (٦٠).

(٥) في ظلال القرآن: لسيد قطب، (١٥٤٣/٣).



جاء اللفظ في قوله تعالى: ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾، نكرة تفيد العموم أي: كل ما تقدرُونَ على إعدادهِ من القوة العقلية والبدنية وأنواع الصناعات من الأسلحة التي يتقدم بها المسلمون ويدحضون بها شر أعدائهم، ومن جميع ما يتقوى به على قتالهم<sup>(١)</sup>.

ويتبين من قوله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾<sup>(٢)</sup>، بعد أن أمر بإعداد القوة، وأن الغاية من إعدادها إرهاب العدو بصريح الآية، ف شراء السلاح واستيراده وتخزينه لا سيما في زماننا هذا لا يخيف العدو ولا يرهبه بقدر ما يحصل ذلك لو علم بوجود انتاج سلاح وطني؛ وذلك لأن شراء السلاح من غيرنا وهو في الحقيقة عدواً لنا، ولعدم اعتمادنا على انفسنا، صرنا عالة على غيرنا، مما جعل امتنا مُعرضة للخطر، ودليل ذلك لو أن الدولة التي يُشترى منها السلاح منعت بيع بعض قطع الغيار، لتمكنت من معرفة ما لدى المسلمين من سلاح، فالسرية في امتلاك الأسلحة من الأمور المهمة في المعركة، فعندما يتفاجأ العدو بامتلاك سلاح لا يعرفه فإنه من الممكن القضاء عليه، وهذا لا يتحقق بكماله إلا إذا كان إنتاج السلاح بأيدي المسلمين وبقي في طي الكتمان، وبهذا تتحقق الرهبة في نفوس الأعداء، وهذا ما يؤيد أن معنى الإعداد تصنيع السلاح لا مجرد شرائه<sup>(٣)</sup>.

وقد أشار ﷺ إلى نوع من أنواع تلك القوة، وهو على المنبر بعد قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ...﴾، "ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي"<sup>(٤)</sup>.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي، (٣٤٢/١)، وتفسير القرآن: للسمعاني، (٢٧٥/٢)، والموسوعة القرآنية: للأبياري، (٥٦٨/٩)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: للبيضاوي، (٦٥/٣)، ومفاتيح الغيب: للرازي، (٤٩٩/١٥).

(٢) سورة الأنفال: الآية (٦٠).

(٣) ينظر: أسباب النصر والهزيمة في الكتاب والسنة"، إعداد: الطالب حماد أبو شعر، رسالة الماجستير، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤٠٦هـ، ص، (٣٦٣).

(٤) أخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (١٩١٧) (١٥٢٢/٣)، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه.

إذ لم يحصر النبي ﷺ القوة في الرمي ولم ينفِ كون غير الرمي معتبراً، كقوله: «الحج عرفة»<sup>(١)</sup>، و«الندم توبة»<sup>(٢)</sup>، أي لا ينفى اعتبار غيره، وإنما هو دليل على أن المذكور جزءٌ شريفٌ من المقصود، فالغاية من إعداد القوة إيقاع الرهبة والخوف في قلوب الأعداء مما يحملهم على عدم الإقدام على القتال؛ لأن اظهـار الضعف يُغري القوي بالتعدي على الضعيف<sup>(٣)</sup>، وما أوصل الأمة الإسلامية اليوم من الضعف والهوان والعجز وعدم القدرة عن الدفاع لما اغتصب من أراضيها، كما هو مشاهد اليوم وخصوصاً ما يقع في الأرض المقدسة وارض الإسراء والمعراج وأولى القبلتين وثاني الحرمين الشريفين، إلّا عدم قيام الأمة الإسلامية بإعداد العدة اللازمة من القوة وبجميع أصنافها، فلو أنها أعدت العدة المنطلقة من الاستطاعة حتى يكون للإسلام صولته وجولته وقدرته في ردع خصومه، وبث الرعب في قلوب أعدائه، لما وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم.

إن حديث العالم المعاصر في نظرية ردع الخصوم تقوم على فكرة هي أنه "ما دام هناك توازن رعب بين قوتين، فإن احتمال قيام حرب بينهما يكون بعيداً؛ بسبب قدرة كل جانب على الرد والانتقام إذا ما وجهت إليه ضربة مدمرة، والمدعش أن نظرية الردع أول نظرية حربية في الإسلام جاء بها قبل أربعة عشر قرناً، في حين وصل إليها الفكر العسكري المعاصر بعد حروبٍ ومعاناةٍ قاسيةٍ اكنوى منها العالم بنيرانها"<sup>(٤)</sup>.

---

(١) أخرجه الترمذي في (سننه)، ح، رقم (٨٨٩) (٢٢٩/٢)، باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج، من حديث عبدالرحمن بن يعمر رضي الله عنه، وأخرجه النسائي في (السنن الكبرى)، ح، رقم (٣٩٩٧) (١٥٩/٤)، باب فرض الوقوف بعرفة، من حديث عبدالرحمن بن يعمر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني في (المعجم الأوسط)، ح، رقم (١٠١) (٣٨/١)، من حديث جابر رضي الله عنه. والمستدرك على الصحيحين: للحاكم، ح، رقم (٧٦١٤) (٢٧٢/٤)، كتاب التوبة والإنابة، وهذا الحديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي، (٤٩٩/١٥)، واللباب في علوم الكتاب: لأبي حفص النعماني، (٥٥٢/٩)، وتفسير القرآن الحكيم: لرشيد رضا، (٥٧/١٠).

(٤) النصر والهزيمة: عبداللطيف مرشود، ص، (١٢٨) .

لذا يقول أحد القادة العسكرية: "إن الحرب الحديثة لم تبق حرب جيوش وقوى عسكرية فقط، وإنما هي حرب إجماعية تقوم على حرب الأمم ضد الأمم؛ ولهذا يجب أن تضع الأمة كل قواها العقلية والأدبية والمادية في خدمة الحرب"<sup>(١)</sup>.

فشرط الإعداد له دوره في تحقيق سنة الله الكونية في النصر، فالأمة التي تبحث عن تحقيق سنة النصر لا بُد أن يكون الإعداد بالنسبة إليها بمثابة ثورة شمولية على كافة الأصعدة والميادين، حتى يدخل إلى كل منزل وكل مؤسسة ويشمل جميع الجوانب، فيكون إعداداً روحياً واجتماعياً وأخلاقياً وعلمياً وعسكرياً وثقافياً وإعلامياً، فيكون تعلم هذه العلوم من الواجبات الكفائية؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ومما يؤكد تأثير إعداد القوة المادية على النفوس في تحقيق سنة الله تعالى في النصر، سواءً في نفوس أهل الحق أو أهل الباطل، فمن هذا التأثير الإحساس بزيادة القوة لدى الفريق الذي يرى أنه أكثر قوة مادية من الفريق الآخر، فيتصرف ضد خصمه في هذا الإحساس والشعور، كأن يرى المؤمنون الكافرين أقل عدداً منهم مما يجرتهم على قتال الكفار والهجوم عليهم بعزم وثبات وصبر وثقة بالنصر، وأيضاً مثل كثرة المقاتلين وقتلتهم فيما يورثانه من إحساس بزيادة أو قلة في القوة وفي سائر القوى المادية الأخرى، كنوع السلاح وكثرتة، فهذه الحقيقة التي ذكرتها تدعو جميع المؤمنين أفراداً وجماعات وأمملاً لا سيما الجماعة المسلمة، أن يكونوا أقوى من أعدائهم في القوى المادية في هذا العصر، خصوصاً بعد تعدد تلك القوى والتي لم تُعد محصورة في نوع واحد منها.

فإن مما يدل على تأثير القوة المادية في نفوس المقاتلين المؤمنين أو الكافرين، قوله: ﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكٍ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَدْنَاكُمْ كَثِيراً لَفُتِحْتُمْ وَلَنَنزَعَنَّ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلَيْهِمْ بَذَاتُ الصُّدُورِ ۝٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَقَاتُمْ فِي عَيْنِكُمْ قَلِيلاً وَيَقَلِّلُكُمْ فِي عَيْنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۖ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝٤٤﴾<sup>(٢)</sup>، ورد في تفسير هاتين الآيتين

(١) الرسول القائد: محمود شيت خطاب، (ت: ١٤١٩هـ)، دار الفكر - بيروت، ط: السادسة، ١٤٢٢هـ، ص: (٤٠٧).

(٢) سورة الأنفال: الآية (٤٣، ٤٤).

أن الله تعالى أرى رسوله ﷺ، في منامه عدد الكفار قليلاً قبل أن تدور رحى معركة بدر، فأخبر النبي ﷺ بذلك أصحابه، فكان ذلك الإخبار تثبيتاً لهم وتشجيعاً على عدوهم، وبين الله تعالى لنبيه ﷺ أنه، ﴿وَلَوْ أَرَدْتَهُمْ كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup>، أي: لو أراك عدد الكفار كثيراً، ﴿لَفَشَلْتُمْ﴾، أي: لأصاب المؤمنين الجبن والخور وعدم الإقدام لقتال الكفار، ﴿وَلَنَنزَعَنَّ فِي الْأَمْرِ﴾، أي: ولحصل النزاع والاختلاف بين المؤمنين، وتفرقت كلمتهم في امر قتالهم لعدوهم، ثم يبين الله تعالى للمؤمنين انه ما أراهم لعدوهم قليلاً عند اللقاء إلا تصديقاً لما رآه النبي ﷺ، وأخبرهم به قبل المعركة؛ حتى يزداد يقينهم ويثبتوا في قتالهم، ﴿وَيُقِلُّ لَكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>، أي: يقلل المؤمنين في أعين الكافرين حتى لا يتأهبوا لقتال المؤمنين، ولا يجروون على الاندفاع في مقاتلتهم، ومع قلة المبالاة بهم، ثم تفاجئهم كثرة المؤمنين التي لم يكونوا يتوقعونها، ولم ترها من قبل أعينهم، فوقع القتل فيهم وانتصر المؤمنون عليهم<sup>(٣)</sup>.

يتبين مما سبق أن الإعداد المادي له تأثيره في النفس على الإقدام والشجاعة للقتال، كما تتحتم عليه أحياناً نتائج الحرب من تحقيق سنة الله تعالى فيها، فلا شك أنه إذا نظر أحد الفريقين إلى خصمه وتبين له قلة عدده أو قلة عتاده، فإنه يؤدي إلى زيادة الثقة والثبات وزرع الأمل في النفس في التغلب على خصمه والجرأة على الاندفاع إلى قتاله، أما من رأى غير ذلك، فإنه سيحمله على التردد والصمود في القتال؛ لذلك فإن إعداد القوة بجميع مستلزمات القتال لها مكانتها وأهميتها في تحقيق سنة الله تعالى الكونية في النصر، وهو ما يتطلب على الأمة إعداده.

(١) سورة الأنفال: الآية (٤٣).

(٢) سورة الأنفال: الآية (٤٤).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (٢٢/٨)، وغرائب القرآن: للنيسابوري، (٤٠٣/٣)، وتفسير القرآن الحكيم: لرشيد

رضا، (١٨/١٠)، وتيسير الكريم الرحمن: للسعدي، ص، (٢٢٢)، والتحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور، (٢٦/١٠).

## المطلب الثاني

### سنة الله في جماعة المؤمنين بالاستخلاف والتمكين

إن من سنن الله تعالى التي لا تتبدل ولا تتغير بتغير الزمان والمكان، سنة الاستخلاف والتمكين في الأرض لعباده المؤمنين، حيث وقد أشار القرآن الكريم بكل وضوح إلى أن الاستخلاف في الأرض والتمكين لدينه وإبدال الخوف أمناً، وعد منه تعالى، بشرط إذا حقق المسلمون ما أمرهم الله تعالى به في كتابه فقال حين قال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾<sup>(١)</sup>، فكما أنه تعالى قد وعد بتحقيق سنة النصر لمن انتصر لديه واستقام على شرعه كما بيّناه سابقاً، فإنه هنا أيضاً يكرر وعده بتحقيق سنته الكونية في الاستخلاف والتمكين لمن عمل وتحقق بكل شروطهما، فقال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾<sup>(٢)</sup>، ولم تتحقق سنة الله تعالى الكونية في الاستخلاف والتمكين لأي أمة إلا بعد أن تتحقق لها سنة النصر، فقد تحظى جماعة أو أمة بالنصر بعد أن تتحقق فيها الشروط المستوجبة لها، لكنه لا يُمكن لها ولا تستخلف في الأرض إلا إذا تحققت فيهما شروط الاستخلاف والتمكين.

### الاستخلاف في اللغة:

استخلف يستخلف، استخلاقاً، فهو مُستخلف، فيقال: استخلف فلاناً: أي: جعله خليفته، أو جعله يعقبه ويتلوّه، جعله مكانه، أي: قام مقامه، ويقال أيضاً، أن فلاناً استخلف أخاه في

(١) سورة النور: الآية (٥٥، ٥٦).

(٢) سورة الحج: الآية (٤٠، ٤١).

الإشراف على تربية أولاده<sup>(١)</sup>.

### الاستخلاف في الاصطلاح:

إن الاستخلاف في الأرض سنة ربانية من سنن الله تعالى التي لا تتغير مهما تغير الزمان ولا تتبدل بأي حال من الأحوال.

فالاستخلاف طريقة الإمامة ومعلوم أن بعد الرسول لا يحصل هذا الاستخلاف إلا في أيام أبي بكر وعمر وعثمان، لأن في أيامهم كان الفتوح العظيم، وظهر الدين والأمن<sup>(٢)</sup>. والاستخلاف وعد من الله لرسوله ﷺ، بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي: أئمة الناس والولادة عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدلهم بعد خوفهم من الناس أمنا وحكما فيهم<sup>(٣)</sup>.

### التمكين في اللغة:

(مكن) الميم والكاف والنون كلمة واحدة، والتمكين مصدر الفعل (مَكَّنَ) الذي يتكون من الحروف (م، ك، ن) ومنه (أَمَكَّنَهُ)، بمعنى استمكن الرجل من الشيء، وتمكَّن فلان من الشيء، وفلان لا (يُمكنه) النهوض أي لا يقدر عليه<sup>(٤)</sup>.

والمَكْنَة من التمكين، كما تقول العرب: إن بني فلان لذو مكنة من السلطان، أي أنهم ذو مكانة، وسمي عند العرب موضع الطير مَكْنَةً؛ لتمكن الطير فيه، وتُعد المكانة عند العرب بمقام المنزل عند الملك<sup>(٥)</sup>.

فالتمكين في اللغة يعني السلطان والمُلْك.

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر، (ت: ١٤٢٤هـ) الناشر: عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م (١/٦٨٤).

(٢) الباب في علوم الكتاب: لأبي حفص النعماني، (١٤/٤٤٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٦/٧١).

(٤) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: للجوهري، (٦/٢٢٠٥)، ومقاييس اللغة: لأبن فارس، (٥/٣٤٣)، ومختار الصحاح: للرازي، ص، (٢٩٧)، والمعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى وآخرون، (٢/٨٨١).

(٥) ينظر: لسان العرب: لابن منظور، (١٣/٤١٣).

## التمكين في الاصطلاح:

يعد التمكين ودراسته من أهم عوامل رجوع الأمة الإسلامية إلى ما كانت عليه من العزة والمكانة في دنيا الناس.

فمن معاني التمكين التي أوردها كثير من أهل التفسير أنه بمعنى التملك والقدرة وإعطاء المكنة في الأرض، بحيث لا تتو بهم ولا تغث<sup>(١)</sup> عليهم، أو التمهيد لقوله تعالى: ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾<sup>(٢)</sup>، أي: تمكيناً<sup>(٣)</sup>.

ذكر الإمام الغزالي في إحيائه أنه قيل للإمام الشافعي يوماً: أيما أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين؟ فقال الشافعي - رحمه الله -: التمكين درجة الأنبياء، ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتحن صبر وإذا صبر مُكِّنَ، والتمكين أفضل الدرجات<sup>(٤)</sup>؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٥)</sup>، ويقول تعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾<sup>(٦)</sup>.

وتمكين الدين كما يقول سيد قطب - رحمه الله - "يتم بتمكينه في القلوب، كما يتم بتمكينه في تصريف الحياة وتديرها، فقد وعدهم الله إذن أن يستخلفهم في الأرض، وأن يجعل دينهم الذي ارتضى لهم هو الذي يهيمن على الأرض، ودينهم يأمر بالإصلاح، ويأمر بالعدل، ويأمر بالاستعلاء على شهوات الأرض، ويأمر بعمارة هذه الأرض، والانتفاع بكل ما أودعها

---

(١) (ولا تغث عليهم) أي: لا تقسد وتردو، ينظر: غريب الحديث: لابن الجوزي، (١٤٦/٢)، والنهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير، (٣٤٢/٣)، ولسان العرب: لابن منظور، (١٧٢/٢).

(٢) سورة المدثر: (١٤).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: للزجاج، (٣٢٠/٢)، و تفسير الماتريدي، (٣٠٧/١٠)، و الوسيط في تفسير القرآن المجيد: للواحيدي، (٣٥٢/٢)، و معالم التنزيل في تفسير القرآن: للبعوي، إحياء التراث، (١٨١/٢)، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري، (٣٩٢/٣)، و زاد المسير في علم التفسير: لأبي الفرج الجوزي، (٢٤١/٣)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: للنسفي، (١١٩/٢).

(٤) إحياء علوم الدين: لأبي حامد الغزالي، (ت: ٥٠٥هـ) الناشر: دار المعرفة - بيروت، (د، ت، ط)، (٢٦/١)،

(٥) سورة يوسف: الآية (٥٦).

(٦) سورة النور: الآية (٥٥).

الله من ثروة، ومن رصيد، ومن طاقة، مع التوجه بكل نشاط فيها إلى الله<sup>(١)</sup>.

فما على الأمة اليوم إذا أرادت أن تعود لها عزّتها ومجدها ومكانتها، إلّا أن تقوم بصدق وعزيمة على دراسة الأسباب التي أدت إلى زوال التمكين عنها، والمقومات التي تُرجعها إلى التمكين، والعوائق التي تعترض وصولها إلى التمكين، ودراسة طبيعة الطريق إلى التمكين، وهذا كله في ضوء الكتاب والسنة<sup>(٢)</sup>.

والمأمل في كتاب الله تعالى يتبين له أن أغلبية النصوص تقرّر أن الاستخلاف والتمكين للأُمم في الأرض ليست هي الغاية في ذاتها، وإنما هي لعبادة الله وحده، وعمارة الأرض وفق منهجه الذي وضعه لهم، وكونها جزء من العبادة ويدفع بها من يقف أمامها، أو يحول دون تحقيق أهدافها.

فمن أجل هذه الغاية خلقهم الله تعالى واستخلفهم فيها، ولبلوغ درجة العبودية والصبر عليها ابتلاهم وامتحانهم من أجل تحقيقها، فما من أمة عملت بشروط تحقيق سنة الله تعالى الربانية في التمكين والاستخلاف إلّا وتحققت لها تلك السنة، كما وعد الله بذلك، أما إذا عجزت أو فرطت أو تهاونت في القيام ببعض شروط تحقيق هذه السنة، فلا شك من حرمانها من التمكين والاستخلاف في الأرض، وذلك بقدر عجزها أو تفريطها عن القيام بجميع الشروط، فالتفريط والعجز يكون أحياناً بعدم تحقيق العبودية الخالصة لله، وأحياناً بترك عمارة الأرض وتسخيرها من استغلال ثرواتها والانتفاع بطاقتها، ومن ثم يُمكن الله لأمة أخرى ويستخلفها في الأرض.

فمتى ثابت أي أمة إلى رشدّها، وتداركت أمرها، وتلاشت ما فرطت فيه من أسباب وشروط التمكين والاستخلاف، إلّا مكّن الله لها واستخلفها في الأرض، كما أن التمكين والاستخلاف ليس حق خاص بأحد الفريقين في البقاء في الأرض إلى ما لا نهاية، وإنما هي

---

(١) في ظلال القرآن: لسيد قطب، (٢٥٢٩/٤).

(٢) ينظر: تبصير المؤمنين بفقّه النصر والتمكين في القرآن الكريم (أنواعه - شروطه وأسبابه - مراحل وأهدافه): علي محمد

محمد الصّلابي، الناشر: مكتبة الصحابة، الشارقة- الإمارات، مكتبة التابعين، مصر- القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ -

٢٠٠١ م، ص، (١٨).



مداولة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٢٨) ﴿١﴾، ويقول أيضاً: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤٠) ﴿٢﴾، فمداولة الأيام بين الناس، أي نعطي ما فيها من النعم والنقم لهؤلاء تارةً و لهؤلاء أخرى (٣).

فهذه سنة الله تعالى في الاستخلاف والتمكين لجميع الأمم، مؤمنهم وكافرهم، برّهم وفاجرهم، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤).

فالإنسان هو خليفة الله في هذه الأرض، والموكل بتسخير ما فيها لإعمارها وفق مرضاته تعالى وعلى هدىً منه، وبوعده تعالى للإنسان بالاستخلاف والتمكين في الأرض كلفه وابتلاه، يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٦٥) ﴿٥﴾.

فما ورد من معاني خلائف الأرض: ورد أنه تعالى جعل أصحاب النبي ﷺ خلائف لمن سبقهم من المكذبين والصدّيقين، وليعلموا ماذا حل بكل فريق منهم، ثم أورثكم الأرض بعدهم، أو أنهم خلفاء الله في أرضه، يملكونها ويتصرفون فيها، وورد أن الخطاب للبشرية جميعاً، كما أنه تعالى رفع بعضهم فوق بعض درجات، فهذا لفظ عام يطلق على التفضيل في جميع جوانب المعيشة، ثم جعل من تلك الرفعة لبعضهم في المعيشة، الابتلاء والاختبار لهم؛ حتى يتبين المحسن منهم والمسيء، كما جعله الهدف أيضاً من وراء ذلك الاستخلاف

(١) سورة الأعراف: الآية (١٢٨).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٤٠).

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: للبيضاوي، (٤٠/٢)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: للنسفي، (٢٩٦/١)، والبحر المحيط في التفسير: لأبي حيان الأندلسي، (٣٥٤/٣).

(٤) سورة البقرة: الآية (٣٠).

(٥) سورة الأنعام: الآية (١٦٥).

والتفضيل<sup>(١)</sup>.

فلا يستحق الاستخلاف والتمكين في الأرض بموجب الوعد الإلهي إلا المؤمنون به تعالى، المهتدون بهديه من الرسل ومن صار على نهجهم واقتفى أثرهم، فهم أهل الحق الذين تحققت فيهم شروط الاستخلاف والتمكين المنصوص عليها في الآيات القرآنية، فإذا نال غيرهم من الاستخلاف والتمكين، إنما هو استدراج وإملاء لهم، وابتلاء لأهل الحق؛ لعدم قيامهم بواجبهم المنوط عليهم في تحقيق الاستخلاف والتمكين لهم في الأرض.

وقد جاء التمكين بمعانٍ عدة، فتارةً يأتي بمعنى الملك والسلطان، كما ذكره أهل اللغة وبيّناه سابقاً، وهو ما ورد في شأن ذي القرنين، يقول تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلاً﴾<sup>(٢)</sup>، أي ملكناه وأعطيناه سلطاناً وطيد الدعائم، ويسرنا له أسباب الحكم والفتح والبناء والعمران والمتاع، وأعطيناه علم الوصول إلى كل شيء يحتاج إليه البشر في تمكينهم في الحياة<sup>(٣)</sup>.

وجاء التمكين أيضاً بمعنى المنزلة عند الملك، وهو ما ورد في شأن يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم، يقول تعالى: ﴿وكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، فبعد كل الابتلاءات التي وقعت له مع امرأة العزيز وإنجاءه من السجن، أنعم الله تعالى عليه بتقريبه من قلب الملك، وفوق هذا كله، أعطيناه وأقدرناه على ما يريد<sup>(٥)</sup>.

---

(١) ينظر: تفسير الماتريدي، (٣٤٢/٤)، والوسيط في تفسير القرآن المجيد: للواحدي، (٣٤٦/٢)، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري، (٨٤/٢)، والمحضر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبن عطية، (٣٧١/٢)، ومفاتيح الغيب: للرازي، (١٩٢/١٤).

(٢) سورة الكهف: الآية (٨٤).

(٣) بحر العلوم: لأبي الليث السمرقندي، (٣٦٠/٢)، وفي ظلال القرآن: لسيد قطب، (٢٢٩٠/٤).

(٤) سورة يوسف: الآية (٥٦).

(٥) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: للبغوي، إحياء التراث، (٤٩٩/٢)، والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (٢١٧/٩)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: للنسفي، (١١٩/٢).

وجاء التمكين أيضاً بمعنى التهيئة، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمَاءَ آمَنًا يُجَبِّحُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٧)، أي: ألم نجعل لهم مسكناً ذا أمنٍ لا خوف لهم فيه<sup>(٢)</sup>، فكان هذا رداً على ما كانت تدعيه قريش في خوفهم من أن تخطفهم العرب، مع أنهم مُقَرَّون بأن ما جاء به محمد ﷺ وقال به حق.

ومما ورد حول معاني التهيئة للتمكين، واضحاً في قصة يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وكيف هبَّ الله تعالى له التمكين، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَخْذَهُهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣١)، أي: فبعد أن نجَّى الله تعالى يوسف عليه السلام من مكر إخوته حين هموا بقتله، ومن ثم أنقذه من الجُبِّ بعد أن ألقى فيه، وتبرئته مما أتهمته به امرأة العزيز، كل ذلك كان تهيئة له من الله تعالى؛ ليلبغ المكانة الرفيعة عند العزيز، ثم يُمكن له في أرض مصر إلى أن بلغ ما بلغ، وجُعِلَتْ خزانها على يديه<sup>(٤)</sup>.

فيسر الله تعالى ليوسف بأن جعل عزيز مصر يشتريه، ويكرمه هذا الإكرام، فكان هذا مقدمة لتمكينه في الأرض من هذا الطريق<sup>(٥)</sup>.

وورد التمكين أيضاً بمعنى التمكين في نعم الدنيا ومعاشها، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا

(١) سورة القصص: الآية (٥٧).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي، (٦/٢٥)، وفتح القدير: للشوكاني، (٢٠٦/٤).

(٣) سورة يوسف: الآية (٢١).

(٤) ينظر: الكشاف والبيان عن تفسير القرآن: للشعلبي، (٢٠٦/٥)، والهداية إلى بلوغ النهاية: لأبي محمد بن مختار القيسي،

(٣٥٣٠/٥)، والنكت والعيون: للماوردي، (٢٠/٣)، ومعالم التنزيل: للبغوي، إحياء التراث، (٤٨٣/٢).

(٥) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: للسعدي، (٣٩٥/١).

الْأَنْهَرُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكَتْهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾<sup>(١)</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٠﴾<sup>(٢)</sup>، وفي قوله تعالى أيضاً: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَبَصَرًا وَأَفْئِدَةً...﴾ ﴿٣٦﴾<sup>(٣)</sup>.

فورد في معاني هذه الآيات أن الله تعالى لم يعط أهل مكة ما أعطى عاداً أو ثمود من البسطة في الأجسام والسعة في الأرزاق والاستظهار بأسباب القوة والسلطان في الأرض ولا قريباً منه<sup>(٤)</sup>.

فهذه بعض معاني التمكين التي اشارت إليها هذه الآيات السابقة، والتي لها صلة بموضوع هذا البحث، وكونه أحد أنواع سنن الله الربانية التي مضت في الأمم السالفة، أما الاستخلاف والتمكين الذي نسعى إلى بيانه وإيضاحه في هذا البحث، هو الاستخلاف والتمكين لدين الله تعالى حيال قيام عباده المؤمنين بما يجب عليهم من التحقق بالشروط التي تمنحهم من ورائها الاستخلاف والتمكين في الأرض، فلا يمكن لأي أمة أو جماعة أن يتحقق لها الاستخلاف والتمكين في الأرض إلا بعد القيام بتحقيق شروطهما، كما أشار القرآن الكريم بكل وضوح إلى شروط الاستخلاف والتمكين لدين الله تعالى في الأرض، ولم يقتصر على ذكر الشروط فقط، بل أنه تطرق في مواضع أخرى إلى ذكر الأسباب التي تؤدي إلى تحقيق الاستخلاف والتمكين، حسب ما سيأتي بيانه في الفرع الثاني بعد ذكر الشروط، وتطرق أيضاً إلى ذكر وسائل لتحقيق استمرار هذا الاستخلاف والتمكين في الأرض، والتي سيأتي ذكرها في الفرع الثالث بعد ذكر الأسباب، إذ جعل الله عز وجل تلك الوسائل من لوازم الاستخلاف

(١) سورة الأنعام: الآية (٦).

(٢) سورة الأعراف: الآية (١٠).

(٣) سورة الأحقاف: الآية (٢٦).

(٤) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري، (٦/٢، ٨٩)، وزاد المسير في علم التفسير: لأبي الفرج الجوزي، (١٠/٢، ١٠٤)، ومفاتيح الغيب: للرازي، (١٤/٢٠٤، ٢٦/٢٨)، والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (٧/١٦٧)، والتسهيل لعلوم التنزيل: لأبن جزي، (٢/٢٧٨)، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير، ط، العلمية، (٧/٢٦٥)، وفي ظلال القرآن: لسيد قطب، (٢/١٠٧، ٦/٣٢٦٧)، والتحرير والتنوير: للطاهر ابن عاشور، (٢٦/٥٢، ٨/٣٤).

والتمكين، فقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا الرُّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾<sup>(١)</sup>، ومنها أيضاً قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

### الفرع الثاني: شروط الاستخلاف والتمكين.

إن وعد الله تعالى في تحقيق سنة الاستخلاف في الأرض، والتمكين لدينه، وإبدال الخوف أمناً وعد رباني لا يحتمل الشك أو الريب في تحقيقهما، وسنة من سننه الكونية التي لا تتبدل ولا تتغير، شرط ذلك ما حقق المسلمون ما اشترطه تعالى أن يتحقق فيهم، ومن هذه الشروط:

١- الإيمان الخالص والمطلق لله تعالى بكل معانيه وبكافة أركانه، والالتزام بشروطه، والابتعاد عن نواقضه، والقيام بالأعمال الصالحة، وما يبرهن ويثبت وجود الإيمان في من يدعيه إلا عن طريق القيام بالأعمال التي يظهر من خلالها أنها من ثمار الإيمان، فالقيام بالأعمال الصالحة دليل وجود الإيمان كما هو واضح في كثير من الآيات القرآنية التي ورد العمل الصالح تابعاً فيها للإيمان، فمن شروط تحقيق سنة الله تعالى الكونية في الاستخلاف والتمكين، التحقق بالإيمان والعمل الصالح.

"فالإيمان المطلوب هو الذي يبعثنا على الحركة والهمة، والنشاط والسعي، والجهد والمجاهدة، والجهاد والتربية، والاستعلاء والعزة، والثبات واليقين"<sup>(٣)</sup>.

"إن حقيقة الإيمان التي يتحقق بها وعد الله حقيقة ضخمة تستغرق النشاط الإنساني كله وتوجه النشاط الإنساني كله، فما تكاد تستقر في القلب حتى تعلن عن نفسها في صورة عمل

(١) سورة النور: الآية (٥٥، ٥٦).

(٢) سورة الحج: الآية (٤١).

(٣) تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم: علي محمد محمد الصلابي: (٢١٠/١).

ونشاط وبناء وإنشاء موجه كله إلى الله، لا يبتغي به صاحبه إلا وجه الله، وهي طاعة لله واستسلام لأمره في الصغيرة والكبيرة، لا يبقى معها هوى في النفس، ولا شهوة في القلب، ولا ميل في الفطرة إلا وهو تبع لما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله، فهو الإيمان الذي يستغرق الإنسان كله، بخواطر نفسه، وخلجات قلبه، وأشواق روحه، وميول فطرته، وحركات جسمه، ولفاتات جوارحه، وسلوكه مع ربه.

إن الاستخلاف في الأرض قدرة على العمارة والإصلاح، لا على الهدم والإفساد، وقدرة على تحقيق العدل والطمأنينة، لا على الظلم والقهر، وقدرة على الارتقاء بالنفس البشرية والنظام البشري، لا على الانحدار بالفرد والجماعة إلى مدارج الحيوان، وهذا الاستخلاف هو الذي وعده الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وعدهم الله أن يستخلفهم في الأرض كما استخلف المؤمنين الصالحين قبلهم؛ ليحققوا النهج الذي أراده الله ويقرروا العدل الذي أراده الله ويسيروا بالبشرية خطوات في طريق الكمال المقدر لها يوم أنشأها الله<sup>(١)</sup>.

فمن شروط الاستخلاف والتمكين لدين الله تعالى في الأرض، التحقق والالتزام بالإيمان الذي يريده الله تعالى، وبينه رسوله ﷺ، كما تجسد ذلك في حياة الصحابة رضوان الله عليهم، ومن جاء بعدهم من الفاتحين، ليس إيماناً مجرداً حبيس دائرة الذهن والتصور، بل هو تصديق يتبعه عمل، وإقرار يتبعه التزام، واعتقاد يتبعه خضوع.

وحقيقة الإيمان في القرآن الكريم تدفع العبد المؤمن إلى جهاد ودعوة، والتزام وحركة، وتواصل بالحق وثبات عليه، وتواصل بالصبر وحث عليه<sup>(٢)</sup>.

"والعمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للإيمان، والحركة الذاتية التي تبدأ في ذات اللحظة التي تستقر فيها حقيقة الإيمان في القلب. فالإيمان حقيقة إيجابية متحركة، ما إن تستقر في الضمير حتى تسعى بذاتها إلى تحقيق ذاتها في الخارج في صورة عمل صالح، هذا هو الإيمان الإسلامي، لا يمكن أن يظل خامداً لا يتحرك، كامناً لا يتبدى في صورة حية خارج

---

(١) في ظلال القرآن: لسيد قطب، (٤/٢٥٢٨، ٢٥٢٩).

(٢) تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم: علي محمد محمد الصلابي، (١/٢١١).

ذات المؤمن، فإن لم يتحرك هذه الحركة الطبيعية فهو مزيف أو ميت، شأنه شأن الزهرة لا تمسك أريجها، فهو ينبعث منها انبعاثاً طبيعياً، وإلا فهو غير موجود، فالإيمان، حركة وعمل وبناء وتعمير يتجه إلى الله، ليس انكماشاً وسلبية وانزواء في مكنونات الضمير، وليس مجرد النوايا الطيبة التي لا تتمثل في حركة، وهذه طبيعة الإسلام البارزة التي تجعل منه قوة بناء كبرى في صميم الحياة<sup>(١)</sup>.

فالإيمان المطلوب هو الإيمان العامل لا الإيمان الخامل أو القاعد، والفرق بينهما ما ذكره الإمام الشهيد حسن البنا<sup>(٢)</sup> - رحمه الله - بقوله: « والفرق بيننا وبين قومنا بعد اتفاقنا في الإيمان بهذا المبدأ، أنه عندهم إيمان مخدر نائم في نفوسهم، لا يريدون أن ينزلوا على حكمه ولا أن يعملوا بمقتضاه، على أنه إيمان ملتهب مشتعل قوي يقظ في نفوس الإخوان المسلمين، ظاهرة نفسية عجيبة نلمسها ويلمسها غيرنا في نفوسنا نحن الشرقيين، أن نؤمن بالفكرة إيماناً يخيّل للناس حيث نتحدث إليهم عنها أنها ستحملنا على نسف الجبل وبذل النفس والمال واحتمال المصاعب ومقارعة الخطوب حتى ننتصر بها أو تنتصر بنا، حتى إذا هدأت ثائرة الكلام وانفض نظام الجمع، نسي كل إيمانه وغفل عن فكرته، فهو لا يفكر في العمل لها، ولا يحدث نفسه بأن يجاهد أضعف الجهاد في سبيلها، بل قد يبالغ في هذه الغفلة وهذا النسيان، حتى يعمل على ضدها وهو يشعر أو لا يشعر، أو لست تضحك عجباً حين ترى رجلاً من

---

(١) في ظلال القرآن: لسيد قطب، (٦/٣٩٦٧).

(٢) هو: الإمام الشهيد حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا، ولد في المحمودية قرب الإسكندرية، درس في دار العلوم بالقاهرة وتخرج منها، واشتغل بالتعليم، واستقر مدرساً في مدينة الإسماعيلية، فاستخلص أفراداً صارحهم بما في نفسه، فعاهدوه على السير معه من أجل إعلاء كلمة الإسلام، أقام داراً للإخوان لإعلان الدعوة من خلال الدروس والمحاضرات والنشرات، حدثت بعض الأحداث في القاهرة والإسكندرية عجزت السلطات عن معالجتها، مما اضطرت السلطات إلى إغلاق أندية الإخوان، وبدأت بمطاردة واعتقال الكثير من أعضائها البارزين، ولم يمض وقت طويل حتى تصدى للمرشد ثلاثة أشخاص وهو أمام مركز (جمعية الشبان المسلمين) في القاهرة، ليلاً، فأطلقوا عليه رصاصهم وفروا، ولم يجد البنا من يضمّد جراحه، فتوفي بعد ساعتين، (١٩٤٩م) له مذكرات نشرت بعد وفاته منها، (مذكرات الدعوة والداعية، ومجموعة رسائل)، وغيرها، ينظر: الأعلام: للزركلي، (٢/١٨٣، ١٨٤)، و معجم المؤلفين: عمر بن رضا، (٣/٢٠٠).

رجال الفكر والعمل والثقافة في ساعتين اثنتين متجاورتين من ساعات النهار : ملحداً من الملحنين، وعابداً مع العابدين»<sup>(١)</sup>.

فحقيقة الإيمان التي نسعى لإيجادها في الفرد أو في الجماعة أو في الأمة، هو الإيمان الذي ما إن يستقر في القلب حتى يتحرك للعمل ويتحقق في الواقع، ويكون ذلك العمل برهاناً ظاهراً لحقيقة الإيمان المضمرة في الكائن البشري، وبهذا القدر وبما قد ذكرناه من قبل حول هذين الموضوعين<sup>(٢)</sup>، نكون قد وضحنا ما تيسر لنا من حقيقة الإيمان والعمل الصالح المستحقين للاستخلاف والتمكين لدينه تعالى في الأرض.

٢- محاربة جميع أنواع الشرك وأشكاله؛ كون محاربته أحد شروط تحقيق الاستخلاف والتمكين، كما هو واضح من قوله تعالى: ﴿يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكْ بِي شَيْءٌ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، فمن أراد أن يشمل هذا الوعد الرباني ويتحقق له الاستخلاف والتمكين لا بد، أن يكون على معرفة بحقيقة الشرك وأنواعه وأسبابه وخطره، فمن تمكن من معرفة الشرك خاف من الوقوع فيه، ومن خاف من الوقوع فيه حذر غيره من عواقبه، كما أن من بعض فوائد معرفة الشرك، إظهار حسن الإسلام والتوحيد الذي يُعد أفضل الأعمال، فلا يتم التحقق بالإيمان الصحيح ولا يقبل من صاحبه إلا إذا ترك الشرك وابتعد عنه، إذ أن توحيد العبادة لا يتم، "حتى يخلص العبد لله في جميع إرادته وأقواله وأفعاله، وحتى يدع الشرك الأكبر المنافي للتوحيد كل المنافاة، وهو أن يصرف نوعاً من العبادة لغير الله تعالى، وتحقيق هذا التوحيد وتمامه أن يدع الشرك الأصغر، وهو: كل وسيلة يتوسل بها إلى الشرك الأكبر، كالحلف بغير الله، ويسير الرياء ونحو ذلك"<sup>(٤)</sup>.

ولآثار الشرك وخطره على الفرد والمجتمع والأمة وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة

---

(١) مجموعة رسائل: للإمام حسن البناء، الناشر: دار الدعوة للطبع، ط: الأولى، ١٤٤٢ هـ - ٢٠٠٢ م، ص، (١٦، ١٧).

(٢) انظر: الرسالة، ص، (٤٤).

(٣) سورة النور: الآية (٥٥).

(٤) الفتاوى السعدية: للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، منشورات المؤسسة السعدية بالرياض، لصاحبها فهد بن عبدالعزيز السعيد، مطبعة الكيلاني، ص، (١٣).



في التحذير منه، فبيّنت أن أعظم ذنب عُصِيَ الله به هو الشرك، وأنه ليس هناك أضل من فاعله، ولعظمة جُرم الشرك حُرِمَ صاحبه من نيل مغفرة الله تعالى، وحبطت جميع أعماله واستحق الخلود في النار إذا لم يتب منه قبل موته، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ<sup>٤</sup> وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا

﴿٤٨﴾<sup>(١)</sup>.

ومما ورد في ذم من أشرك بالله تعالى: ما رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»<sup>(٢)</sup>.

فما تفشى الشرك في المجتمعات الإسلامية إلا بسبب الضياع والانحراف عن المنهج الذي أنزله الله تعالى لهم، فالشرك بالله من أعظم الظلم وأكبر الكبائر، لحديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئاً فقال: ألا وقول الزور»<sup>(٣)</sup>.

فمن أوجب الواجبات على الفرد أو المجتمع أو الأمة في سعيهما إلى تحكيم شرع الله تعالى، الحرص على تحقيق التوحيد ومحاربة الشر؛ لأن شرط الاستخلاف والتمكين مرهون بتحقيق التوحيد وتهذيبه من الشرك الأكبر والأصغر، ومن جميع البدع والخرافات القولية والاعتقادية، ومرهون أيضاً بكمال الإخلاص لله تعالى في الأقوال والأفعال والإرادات؛ لأن

---

(١) سورة النساء: الآية (٤٨).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم (١٢٣٨) (٧١/٢)، باب ما جاء في الجنائز، وصحيح مسلم، باب من مات مشركاً دخل النار، ح، رقم (٩٢) (٩٤/١).

(٣) هو: نفع بن الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة الثقفي، نزل يوم الطائف إلى رسول الله ﷺ من حصن الطائف في بكرة، أي: على أنثى من الإبل، فأسلم، وكني أبا بكرة، وأعتقه رسول الله ﷺ، وهو معدود في مواليه، وهو أول مولود ولد في الإسلام بالبصرة، وكان أبو بكرة يقول، أنا من إخوانكم في الدين، وأنا مولى رسول الله ﷺ، وكان من فضلاء أصحاب رسول الله ﷺ وصالحهم، ينظر: أسد الغابة: لأبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري، الناشر: دار الفكر - بيروت: ١٤٠٩ هـ، (٣٨/٥)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال: لأبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن أبي محمد القضاعي المزني، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٠، (٥/١٧)، و تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: للذهبي، تحقيق بشار، (٧٧/٢).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم (٢٦٥٤) (١٧٢/٣)، باب ما قيل في شهادة الزور، وأخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (٨٧) (٩١/١)، باب بيان الكبائر وأكبرها.

من متطلبات الإيمان ولوازمه محاربة الشرك والتصدي له في جميع مداخله وطرقاته، فما ثمرة الشرك في الدنيا إلا الخزي والذلة، وفي الآخرة الحرمان من دخول الجنة، والخلود في جهنم والعياذ بالله إذا لم يثب منه، يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٧٢) ﴿١﴾.

فيأبى الله تعالى إلا أن تجري سنته في من أشرك به أن لا يقبل منه عملاً، ولا يقبل فيه شفاعة، أو يستجيب له في الآخرة دعوة، أو يقلل له في الدنيا عثرة، فإن المشرك أجهل الجاهلين بالله؛ لاتخاذ الله تعالى من خلقه ندا، وذلك غاية الجهل به، كما أنه غاية الظلم منه، وفي الحقيقة لم يظلم المشرك ربه، وإنما ظلم نفسه بكل تصرفاته التي ما أنزل الله بها من سلطان والمخالفة للشرع<sup>(٢)</sup>.

فوعد الله تعالى بالتمكين والاستخلاف مُدَّخِر لمن استوفى شروطهما، من التحقق بالإيمان والقيام بالأعمال الصالحة والالتزام بأداء العبادات على أكمل وجه ما أمكن ذلك، ولم يقتصر من أنواع الشرك ولا من البدع الاعتقادية أو الفعلية أو القولية شيئاً، وبعد ذكر هذه الشروط بين سبحانه وتعالى للفرد وللمجتمع وللأمة وأرشدتهما إلى كيفية الحفاظ عليها، وألزمهم بالقيام بها، وأنها بمثابة العُدَّة لهما في بقاء واستمرارية الاستخلاف والتمكين لهما في الأرض، فقال:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا الرُّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٥٦) ﴿٣﴾.

فالإتصال بالله، وتقويم القلب بإقامة الصلاة، والاستعلاء على الشح، وتطهير النفس والجماعة بإيتاء الزكاة، وطاعة الرسول ﷺ والرضى بحكمه، وتنفيذ شريعة الله في الصغيرة والكبيرة، وتحقيق النهج الذي أراده للحياة، فلا شك ولا ريب معها من تحقيق وعد الله بالاستخلاف والتمكين والأمن، فما من أمة احتكمت إلى شريعة الله وجعلتها المنهج الساري

(١) سورة المائدة: الآية (٧٢).

(٢) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء: لابن قيم الجوزية، الناشر: دار المعرفة - المغرب، ط: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ص، (١٢٨، ١٢٩).

(٣) سورة النور: الآية (٥٦).

في حياتها إلا تحقق لها ذلك الوعد الإلهي، وما من مرة خالفت هذا النهج إلا تخلفت في ذيل القافلة، وذلت، وطرد دينها من الهيمنة على البشرية واستبد بها الخوف وتخطفها الأعداء، ألا وإن وعد الله قائم، ألا وإن شرط الله معروف، فمن شاء أن يتحقق له الوعد فليقم بالشرط، ولا أحد أوفى بعهده من الله تعالى<sup>(١)</sup>.

فإذا كان الله تعالى قد جعل وعده بالاستخلاف والتمكين مرهون بالإيمان الراسخ الذي لا يخالطه شك ولا ريب، وبالقيام بالأعمال الصالحة التي أمر بها، وباجتناب ما نهى عنه، فمن باب أولى ربط ذلك الوعد بالتخلص من الشرك بجميع أنواعه، وذلك لما له من آثاره السيئة في الدنيا والآخرة، سواء كان الواقع فيه فرداً أم جماعةً، فمن تلك الآثار إطفاء نور الفطرة التي فطر الله الإنسان عليها، والتي ما من مخلوق في الكون إلا وفطره الله عليها؛ لذلك أصبح الشرك بالله نقيض للعهد والميثاق الذي أخذه الله تعالى على البشرية وهم في عالم الذر، وصار أيضاً انحرافاً ومخالفاً عن الغاية التي من أجلها خلق الله الجن والأنس، والمذكورة في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(٢)</sup>.

فمن سنن الله تعالى أن الإنسان إذا لم ينقض ذلك الميثاق، فإنه سيستمد إشراقته ونوره وسداد أمره من حقيقة التوحيد المستكنة في أعماق الفطر الإنسانية وفي أعماق الوجود، أما إذا نقض الميثاق وأشرك بالله تعالى، فستجري عليه سنة الله تعالى التي لا مفر ولا ملاذ له منها، حيث تجعل جميع أعماله كسراب بقيعة، والسراب: ما يرى في فياقي الأرض المنبسطة، كأنه بحر طام من ضوء الشمس وقت الظهيرة، وسمي السراب سراباً؛ لأنه يسرب، أي: يجري كالماء، والقيعة، جمع قاع، وهو الذي لا شجر فيه ولا نبت، ومن ثم تصبح حياة ذلك الذي

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب، (٤/ ٢٥٣٠).

(٢) سورة الذاريات: الآية (٥٦).

نقض الميثاق معتمة مظلمة<sup>(١)</sup>، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيْتُهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٣٩)، فسنة الله تعالى في النفس البشرية التي لم تثبت فيها حقيقة التوحيد ويعتريها الشرك، أنها تعيش في انحطاط، فتكون منشغلة في الأرض جارية وراء تحقيق رغباتها، لاهية بعد أمتعتها، متجاهلة ما فيه بيان قيمتها، وأساس رفعتها، فالنفس لن تستمد حقيقة عزتها إلا عن طريق الإيمان بالله، يقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨) ﴿٣﴾، فمن أشرك بالله تعالى فقد صار عليه حتماً في القضاء على عزة نفسه واذلالها، حتى يصبح ممن لا يعرف هذه العزة ولا يتذوق عبوديته لله تعالى، وإنما تصبح تلك العبودية عبودية ذليلة؛ لأنه أصبح عبداً لبشر مثله لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً؛ ولأنه لم يجعل تلك العبودية لله وحده الذي يعز عباده بعزته، بل صار عبداً لعبيد الله فيتحكمون فيه فيذلونه، فيصبح عبد لشهواته، إما لشهوة المال أو للجاه أو للجنس... فكلها عبودية ذليلة وزائلة، فهذه من أضرار الشرك، وهذه سنة الله تعالى في من أشرك به.

ومن الأضرار أيضاً: تمزيق وحدة النفس البشرية وتشتيتها، فتارة ترى الإنسان يطلب الرزق باسم إله، ويبتغي الربح في بيعه وشرائه من إله آخر، وذلك بإحلال الربا والغش والخداع له، وتارة يطلب البركة والتقرب إلى الله من صنم، وهكذا تتشتت نفسه محاولاً

---

(١) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري، (٢٤٣/٣)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية، (١٨٧/٤)، والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (٢٨٢/١٢)، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٦٥/٦)، واللباب في علوم الكتاب: لأبي حفص سراج الدين النعماني، (٤٠٠/١٤)، ومحاسن التأويل: للقاسمي، (٣٩٢/٧)، وركائز الإيمان: لمحمد قطب، حققه وخرج أحاديثه ونسقه: علي بن نايف الشحود، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م (١٣٣/١).

(٢) سورة النور: الآية (٣٩).

(٣) سورة المنافقون: الآية (٨).

استرضاء جميع هذه الأرباب، فيفقد بذلك التشتت نفسه بعد أن يفقد أمنه وطمأنينته، يقول تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٩) <sup>(١)</sup>، يضرب الله تعالى في هذه الآية مثل الذين اتخذوا من دونه آلهة أخرى، ومثل الموحد المخلص لله تعالى، فضرب الله مثلاً لمن أشرك به، كمثل الرجل الذي يعمل أجيراً تحت العديد من الرجال، أخلاقهم سيئة، لا يتغاضون إذا أخطأ، بل يعاقبونه عليها، جميع أوامرهم المطلوبة منه تنفيذها مختلفة، لكل واحد منهم مطلب يريد تنفيذها قبل مطلب الآخرين، وذلك يريد تنفيذ مطلبه قبل مطلب الآخر، وهكذا... فكيف يكون حال حياة مثل هذا الرجل بين شركاء حوائجهم مختلفة، فهذا هو حال من اتخذ مع الله آلهة أخرى، ثم ضرب الله مثلاً لمن جعل الوجدانية لله وحده، برجلٍ يعمل تحت رجلٍ واحد، مستسلماً لسيده، يعرف قصده، لا يشاركه فيه أحد، خالصاً له وحده، فهذا الرجل كمثل الذي يعبد الله وحده ولم يشرك به شيئاً <sup>(٢)</sup>.

ومن جملة ما يلحق بمن أشرك بالله تعالى: الانحطاط والتعثر والانزلاق والسقوط عن شرف وقيم الإنسانية، وإحباط جميع أعماله، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٨) <sup>(٣)</sup>، ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم <sup>(٤)</sup>، ولن يجعل الله له قيمة في الدنيا ولا وزناً في الآخرة،

يقول تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ (١٥)

(١) سورة الزمر: الآية (٢٩).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: للطاهر ابن عاشور، (٢٣/٤٠١، ٤٠٢)، والجواهر الحسان في تفسير القرآن، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، (ت: ٨٧٥هـ) تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨هـ، (٩٠/٥)، و الدر المنثور: للسيوطي (٢٢٤/٧)، وفتح القدير: للشوكاني، (٥٢٩/٤)، تفسير القرآن الحكيم: لرشيد رضا، (٣٤٣/٥)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي، ص، (٧٢٣).

(٣) سورة محمد: الآية (٨، ٩).

﴿<sup>(١)</sup>، والجزم على خسارته في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٥)﴾<sup>(٢)</sup>.

فسنة الله تعالى جارية في تحقيق وعده بالاستخلاف والتمكين لأي مجتمع تحققت فيه ما يريد الله تحقيقه بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، فوعده تعالى مدخر لهذه الأمة إلى قيام الساعة وتحقيقه لها سهل المنال، لكن هذا التحقيق مرهون بالقيام بالشروط والوسائل التي قررها الله وأرادها.

٣- تقوى الله تعالى التي يجعل الانسان بها بينه وبين الله تعالى ما يخشاه، فيجعل بها وبين ما يتقيه من غضب الله وسخطه وعقابه وقاية له، فيعمل بطاعة الله على بصيرة من الله راجياً ثواب الله، وتاركاً معصية الله على بصيرة من الله خوفاً عقاب الله.

فالتقوى أحد شروط تحقيق الاستخلاف والتمكين لدين الله تعالى في الأرض، ولها ثمار كثيرة وقد سبق ذكر البعض منها<sup>(٣)</sup>، فهي تظهر على مستوى الأفراد والجماعة التي تسعى إلى تحكيم شرع الله تعالى حتى ينالوا بهذه الثمار تحقيق وعد الله تعالى بالاستخلاف لهم في الأرض والتمكين لدينه، فالحرص على التحقق بتقوى الله تعالى تكسب الفرد والجماعة التي تسعى لتحكيم شرع الله أخلاقاً حسنة وصفات رفيعة مما تجعله أهلاً للاستخلاف ولتمكين دين الله على يديه.

فما لم نتطرق إليه من قبل حول هذا الشرط نستعرضه الآن، فمن ثمار التقوى إحلال البركة في كل شيء، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٩٦)<sup>(٤)</sup>، أي: لو صدق أهل القرى في إيمانهم وقاموا بالأعمال التي تثبت صدق ذلك الإيمان، ثم تحققوا بتقوى الله تعالى ظاهراً

(١) سورة الكهف: الآية (١٠٥).

(٢) سورة الزمر: (٦٥).

(٣) انظر: الرسالة نفسها ص، (٧١).

(٤) سورة الأعراف: الآية (٩٦).

وباطناً، وأثبتوا ذلك بفعل أوامره وترك محارمه، لتحققت سنة الله تعالى لهم، فانزل عليهم البركات في كل شيء في النفوس وفي المشاعر وفي جميع طبقات الحياة، وإخراج لهم من الأرض ما يقتاتون به في حياتهم، فأخصب لهم العيش وأغزر لهم الأرزاق، ونالوا كل هذا من غير جهد وبلا عناء، أما إذا لم يصدقوا في إيمانهم ولا يتحققوا بالتقوى، فلا مناص لهم من جريان تحقيق سنة الله تعالى فيهم، بإنزال البلاء والرزيا<sup>(١)</sup> وانتزاع البركة وتسليط الآفات عليهم<sup>(٢)</sup>.

"هكذا تمضي سنة الله تعالى دائماً وأبداً، وفق مشيئته في عبادته، وهكذا يتحرك التاريخ الإنساني بإرادة الإنسان وعمله في إطار سنة الله ومشيئته، وها هو ذا القرآن الكريم يكشف للناس هذه السنة الكونية، ويحذرهم الفتنة، فتنة الاختبار والابتلاء بالضراء والسراء، وينبه فيهم دواعي الحرص واليقظة، واتقاء العاقبة التي لا تتخلف، جزاء وفاقاً على اتجاههم وكسبهم، فمن لم يتيقظ، ومن لم يتحرج، ومن لم يتق، فهو الذي يظلم نفسه، ويعرضها لبأس الله الذي لا يرد ولن تظلم نفس شيئاً"<sup>(٣)</sup>.

ومما يؤيد بركة التقوى إذا تحقق العبد بها، قوله تعالى: ﴿وَالْوِاسْتِقَامُ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾<sup>(٤)</sup>، فبركة التقوى وثمارها ملموسة في حياة من آمن بالله واتقاه، أما ما نشاهده في زمننا هذا من انتزاع للبركة، وعدم صلاح الثمار وانتشار الآفات والأمراض، فما حصل ذلك؛ إلا لكثرة ارتكاب المعاصي والممادة فيها، وضعف وازع الإيمان والتقوى حتى تحققت سنة الله تعالى فينا، ونجد مصداقاً لذلك في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾<sup>(٥)</sup>، فلضعف وازع الإيمان والتقوى انتشر الفساد في

(١) (الرزيا) الرزء، و المَرْزِيَّةُ و الرِّزِيَّةُ، و الرِّزِيَّةُ، أي: المصيبة والجمع: الرِّزَايا، ويقال: رَزَأَتْهُ رَزِيَّةٌ، أي: أصابته مُصِيبَةٌ، أنظر: مختار الصحاح: للرازي، (١٢١).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي، (٢٩٨)، وظلال القرآن: لسيد قطب، (١٣٣٩/٣).

(٣) في ظلال القرآن: لسيد قطب، (١٣٣٨/٣).

(٤) سورة الجن: الآية (١٦).

(٥) سورة الروم: الآية (٤١).

المعمورة، ولا خلاص لنا من هذا الفساد إلا بالرجوع إلى الله تعالى وأثباته بالتقرب إليه بالأعمال الصالحة.

### الفرع الثالث: أسباب الاستخلاف والتمكين.

إن القرآن الكريم - كما ذكر ابن القيم - رحمه الله - مملوء من ترتيب الأحكام الكونية والشرعية والثواب والعقاب على الأسباب بطريقة متنوعة، فيأتي ببيان السببية تارة، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣٢) وتارة يأتي باللام، كقوله تعالى: ﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١)، وتارة يأتي بـ (أن)، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٩٣)، وتارة يأتي بذكر الجزاء لمن استحق الجنة، كقوله تعالى: ﴿فَأَثْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٥)، وتارة لمن يستحق النار كقوله تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِيمِي وَإِنَّكَ فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٩)، وتارة يأتي بذكر الوصف المقتضي للحكم، كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوْهَتْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (١٢٠) (٦) (٧)، فاقتضت حكمته تعالى ربط المسببات بأسبابها، فمن رفض

(١) سورة النحل: الآية (٣٢).

(٢) سورة إبراهيم: الآية (١).

(٣) سورة التوبة: الآية (٩٣).

(٤) سورة المائدة: الآية (٨٥).

(٥) سورة المائدة: الآية (٢٩).

(٦) سورة آل عمران: الآية (١٢٠).

(٧) ينظر: مدارج السالكين: لابن قيم الجوزية، (٤٦١/٣).



القيام بالأسباب التي أمر الله بها فقد ضاد الله في أمر<sup>(١)</sup>.

فكل ما يحصل للإنسان لا يخلو من قيامه بالأسباب، "فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب، والله خالق الأسباب والمسببات"<sup>(٢)</sup>.

ولقد ورد في بعض كتب التفسير ما يؤكد وجوب الأخذ بالأسباب، منطلقاً من قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِيَنَكُمْ مِّنْ بِأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (٨٠) <sup>(٣)</sup>، هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب، وهو قول أهل العقول والألباب، لا قول الجهلة الأغبياء القائلين بأن ذلك إنما شرع للضعفاء، فالسبب سنة الله في خلقه، فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة،<sup>(٤)</sup>.

فمن ضروريات تحقيق سنة الله تعالى الكونية في الاستخلاف والتمكين لدينه في الأرض، مراعاة الآتي:

**أولاً: سنة الله تعالى في الأخذ بالأسباب.**

فسنة الله تعالى في الاستخلاف والتمكين لن تتحقق إلا لمن أخذ بأسبابهما التي أرشدنا إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِّنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (٦٠) <sup>(٥)</sup>.

فالإعداد من أهم أسباب الاستخلاف في الأرض والتمكين لدينه، حيث وقد أمر الله تعالى المؤمنين من عباده بوجوب مراعاة سنة الأخذ بالأسباب في جميع شؤون دنياهم وأخراهم، فقال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٠٥) <sup>(٦)</sup>، ولن يسقط الأخذ بالأسباب

(١) ينظر: المصدر السابق: ٤٤٣/٣.

(٢) مجموع الفتاوى: لابن تيمية، (٧٠/٨).

(٣) سورة الأنبياء: الآية (٨٠).

(٤) أحكام القرآن: للقرطبي، (٣٢١/١١).

(٥) سورة الأنفال: الآية (٦٠).

(٦) سورة التوبة: الآية (١٠٥).

بعد الإيمان بالله والذي قد تطرقنا لذكره من قبل، لمن أراد أن يتحقق له أي طلب مهما كانت حالته، ولنا في السيدة مريم ابنة عمران مثلاً يقتدى به في الأخذ بالأسباب، حين أمرها بالإمساك بالشجرة وهي في أضعف حالاتها، فقال تعالى: ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا خَمِيًّا﴾ (٢٥) .<sup>(١)</sup>

وكان ﷺ أيضاً يحث أصحابه إلى مراعاة سنة الأخذ بالأسباب في جميع أمورهم، بعد أن تمتلئ قلوبهم بالإيمان، فكان يرشدهم إلى الأخذ بما يمكن من الأسباب للوصول بهم إلى حياة كريمة بعيدة عن ذل السؤال والمهانة، فروي أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله، فقال: «أما في بيتك شيء؟» قال: بلى، جلس<sup>(٢)</sup> نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب<sup>(٣)</sup> نشرب فيه من الماء، قال: «أنتني بهما»، قال: فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده، وقال: «من يشتري هذين؟» قال رجل: أنا، أخذهما بدرهم، قال: «من يزيد على درهم مرتين، أو ثلاثاً»، قال رجل: أنا أخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري، وقال: «اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوماً فأنتني به»، فأتاه به، فشد فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده، ثم قال له: «اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يوماً»، فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوباً، وببعضها طعاماً، فقال رسول الله ﷺ: "هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة"<sup>(٤)</sup>.

فلا بد لمن أراد أن يحصل على شيء يرغب فيه سواءً على متاع من أمتعة الدنيا أو لنيل

---

(١) سورة مريم: الآية (٢٥).

(٢) (جلس) أي: كساء يلي ظهر البعير يفرش تحت القتب، أنظر: مراعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن حسام الدين الرحمانى المباركفوري، الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، ط: الثالثة، ١٤٠٤هـ، ح، رقم (١٨٦٦) (٢٧٣/٦)، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة - الرياض، ط: الأولى، ١٤١٧هـ، ح، رقم (١٨٤٩) (١٥١٨/٥).

(٣) (قعب) أي: قدح من خشب مقعر، أنظر المصادر السابقة.

(٤) أخرجه أبي داود في (سننه)، ح، رقم (١٦٤١) (١٢٠/٢)، باب ما تجوز فيه المسألة، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

ثواب الآخرة من الأخذ بالأسباب، يقول تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨)، أي: من كان يعمل في الدنيا ولم يبتغ بعمله هذا الأجر من الله، لم يعطه الله إلا ما ابتغاه، فما نال ذلك العطاء إلا بعد أخذه للأسباب، أما شأن من عمل في الدنيا وابتغى بعمله ثواب الآخرة، فجازاه الله وأحسن إليه، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (١٩) ﴿٢٠﴾، فالله تعالى يعطي جميع خلقه، قال تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هُنَا لَآ وَهُنَا لَآ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (٢٠)، أي كل واحد من الفريقين الذين أرادوا الدنيا والذين أرادوا الآخرة نمدهم فيما فيه من عطاء ربك، أي: هو المتصرف الحاكم الذي لا يجو، فيعطي كلا ما يستحقه من السعادة والشقاوة، فلا راد لحكمه ولا مانع لما أعطى ولا مغير لما أراد، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (٢٠)، أي: لا يمنعه أحد، ولا يردده راد، وغير منقوصا ولا ممنوعاً<sup>(٤)</sup>

وعطاء الله عام غير محجور أو محصور في واحد أو في حامل صفة ما، فمن أخذ بالأسباب بلغ مراده وإن كان كافراً، ومن لم يأخذ بها لم يبلغ مراده وإن كان مؤمناً، وما حصل لأصحاب النبي ﷺ في أحد خير دليل؛ لأن الله تعالى وضع لهم سنناً للنصر لكنهم ما أخذوا بها فحصل لهم ما حصل.

كما أنه تعالى أيضاً جعل للاستخلاف والتمكين سنناً ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، وما هو حاصل اليوم في إبعاد وتأخير المسلمين عن قيادة العالم لم يكن ظلماً لهم، إنما هي نتيجة طبيعية لقوم نسوا الغاية من خلقهم، وتجاهلوا مكانة رسالتهم التي شرفهم الله بها، وحطوا

(١) سورة الإسراء: الآية (١٨).

(٢) سورة الإسراء: الآية (١٩).

(٣) سورة الإسراء: الآية (٢٠).

(٤) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، ط، العلمية، (٥٨/٥).

مكانتها، وشابوا معدنها بركام هائل من الأهواء والأوهام في كل من مجال العلم والعمل<sup>(١)</sup>، فاستهانوا بسنن الله تعالى الكونية، واهمين أنفسهم أن سنة الاستخلاف والتمكين تتحقق بالأماني والأحلام، ولكن أنى لهم ذلك، إنما ينالوا بحياتهم هذه تحقيق العدل الإلهي فيهم، فيقول تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنْتُمْ لَئْسَ بِظُلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (٥١) ﴿٢﴾.

فإذا كان الله تعالى قد أنزل بعباده المؤمنين يوم أحد ما أنزل بهم بسبب عصيانهم، فكيف بمن كفروا وجحدوا به ثم تحققت لهم الهيمنة والتمكين في الأرض، فلم يتحقق لهم ذلك لقربهم من الله ورضاه عنهم، أو لتمييزهم عن الخلق، ولم يبلغوا بصناعاتهم التي جابوا بها البحار، واخترقوا الفضاء لصدق معتقداتهم وسلامة أفكارهم، فتحقيق ذلك بديهي ومتاح لجميع خلقه، ولا وجود لأي عائق يحول دون تحقيقها، خصوصاً لمن أخذ بالأسباب، فكل شيء يسعى الإنسان إلى تحقيقه سواء لأمر من أمور الدنيا أو لنيل الثواب في الآخرة، لابد من الشروع في الأخذ بالأسباب أولاً ثم التوكل على الله تعالى ثانياً.

فلم يتحقق الاستخلاف والتمكين في الأرض ويمضي إلا بالجهد البشري، وبالطاقة البشرية، ووفق سنن كونية ربانية ثابتة، وقوانين لا تتبدل ولا تتحول، فمن يقدم الجهد الصادق ويخضع لسنن الله في الحياة يصل على قدر جهده وبذله وعلى قدر سعيه وعطاءه، إنها السنة التي أرادها الله في هذه الحياة، إنها مشيئته وسننه وإرادته<sup>(٣)</sup>.

فمن صور الأخذ بالأسباب، ما ورد في التنزيل حيث خاطب الله تعالى: موسى الكليم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم بقوله: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ (٦٣) ﴿٤﴾، اضرب بعصاك البحر "وقد كان قادراً على فلق البحر دون ضرب عصا، وكذلك مريم عليها السلام" وهزي إليك جذع النخلة "وقد كان قادراً على إسقاط الرطب دون هز ولا

(١) ينظر: الغزو الثقافي: محمد الغزالي، الناشر: دار نهضة مصر، ط: الأولى، (١/١٤٥).

(٢) سورة الأنفال: الآية (٥١).

(٣) ينظر: تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين: علي الصلابي، ص، (٢٥٥).

(٤) سورة الشعراء: الآية (٦٣).

تعجب، ومع هذا كله فلا ننكر أن يكون رجل يلطف به ويعان، أو تجاب دعوته، أو يكرم بكرامة في خاصة نفسه أو لأجل غيره، ولا تهد لذلك القواعد الكلية والأمور الجميلة. هيهات هيهات! لا يقال، فقد قال الله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (٢٢)، ﴿فَإِنَّا نَقُولُ: صدق الله العظيم، وصدق رسوله الكريم، وإن الرزق هنا المطر بإجماع أهل التأويل، بدليل قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ (١٣)، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ (٩)، ولم يشاهد ينزل من السماء على الخلق أطباق الخبز ولا جفان اللحم، بل الأسباب أصل في وجود ذلك» (٤).

### ثانياً: التوكل على الله تعالى بعد الأخذ بالأسباب.

إن المتوكل على الله لا يستغني عن الأخذ بالأسباب، ولا يُكتفى به في تحقيق ما يريد الإنسان الوصول إليه، كما أن التوكل يعد من أعظم الأسباب التي يحصل بها المرغوب ويُتقى بها من المكروه، فمن استهان بأمر التوكل لم يستفد بشيء من قيامه بالأسباب - كما يقول ابن القيم - "فالتوكل هو عمل القلب، ومعنى ذلك أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح" (٥)، فحقيقة التوكل الثقة بالله والطمأنينة به والسكون إليه تعالى.

ولو تأملنا في القرآن الكريم لوجدنا فيه الكثير من الآيات التي تحت على التوكل؛ لما له من منزلة عظيمة عند الله تعالى، فتارة يحث على التوكل بصيغة الترغيب، ولكونه ملازماً لمن يدعي الإيمان، كقوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنِعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُم غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢٣)، وتارة يأتي بصيغة الإخبار، أي: لا يتوكل على الله إلا المؤمنون، فلا يتوكلون على أحد غيره، أو

(١) سورة الذاريات: الآية (٢٢).

(٢) سورة غافر: الآية (١٣).

(٣) سورة ق: الآية (٩).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: (١٥/١٣).

(٥) مدارج السالكين: لابن قيم الجوزية، (١١٤/٢).

(٦) سورة المائدة: الآية (٢٣).

بصيغة الأمر، أي: توكّلوا على الله أيها المؤمنون، كقوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كُنَّا لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) (٢).

فالتوكل على الله درب أصفياه وأوليائه من خلقه عند منابذتهم لأعدائهم وإظهار العداوة، لهم مهما قل عددهم أو كثر، ومهما بلغوا في القرب من الله (٣)، فقال تعالى مخبراً عن قول إبراهيم عليه وعلى جميع أنبيائه أفضل الصلاة وأتم التسليم (٤): ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٥).

وكما ورد أيضاً في أمره تعالى لنبيه ﷺ بالتوكل عليه في جميع أمور دينه ودنياه، والرضا بقضائه وقدره، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (٦).  
ولذلك فالتوكل الشرعي الصحيح هو الاعتماد الكامل على الله والثقة بكفايته لعبده مع مباشرة العبد للأسباب المشروعة أو العادية التي جعلها الله تعالى تفضي إلى مسبباتها (٧)، ويؤكد ذلك ما روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله؛ لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً" (٨).  
ولمكانة هذا السبب في تحقيق سنة الله تعالى في الاستخلاف والتمكين في الأرض، جعله إحدى صفات المؤمنين الأساسية، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ

(١) سورة إبراهيم: الآية (١١).

(٢) ينظر: تفسير الماتريدي، (٣٨٦/٥).

(٣) ينظر: المصدر السابق، (٦١٢/٩).

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، (٣١٩/٢٣).

(٥) سورة الممتحنة: الآية (٤).

(٦) سورة آل عمران: الآية (١٥٩).

(٧) انظر: السنن الإلهية، د: عبد الكريم زيدان، ص، (٣٢).

(٨) أخرجه أحمد في (مسنده)، ح، رقم (٢٠٥) (٣٣٢/١).

قُلُوبِهِمْ وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾<sup>(١)</sup>، ولجلالة هذه السنة نقرأ أمره تعالى لنبيه ﷺ بالتحلي بها في أكثر من مرة في القرآن الكريم، إذ يقول له: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ إِلَٰهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيَحْيِيحُ بِحَمْدِهِ﴾ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى أيضاً: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿٨١﴾<sup>(٣)</sup>.

فلا يتم المعنى الحقيقي للعمل بسنة التوكل على الله إلا بالأخذ بالأسباب التي تعين على تحقيق المراد، فالقيام بعمل الأسباب بالجوارح طاعة لله تعالى، والتوكل بالقلب على الله تعالى إيمان به، فلا بد من التوكل على الله في فعل الطاعة، والاستعانة به عليها؛ لأنه لا حول ولا قوة لنا في فعلها إلا بالله، فقال تعالى مخاطباً المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ ﴿٧١﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ﴿١٥٩﴾<sup>(٥)</sup>، ف قيل في سنة التوكل على الله: "اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله، وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كتب له"<sup>(٦)</sup>، فهذا دليل على وجوب التوكل على الله تعالى في كل الأعمال مع عدم التواكل إليها؛ لأن التوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ومن تمام التوكل -كما يقول ابن القيم- "أنه لا ينافي القيام بالأسباب، إذ لا يصح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو باطل وتوكل فاسد، فمن طعن في الحركة، أي بعدم القيام بالأسباب فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان، فالتوكل هو قطع علائق القلب بغير الله"<sup>(٧)</sup>، "فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح

(١) سورة الأنفال: الآية (٢).

(٢) سورة الفرقان: الآية (٥٨).

(٣) سورة النساء: الآية (٨١).

(٤) سورة النساء: الآية (٧١).

(٥) سورة آل عمران: الآية (١٥٩).

(٦) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: دار ابن

الجوزي، ط: الرابعة، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م (٨١/١).

(٧) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لأبن قيم الجوزية، (١١٧/٢).

له توحيده، بل حقيقة التوكل توحيد القلب، فما دامت في القلب علائق الشرك، فتوكله معلول مدخول، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل، فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه، فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة، ومن هاهنا ظن من ظن أن التوكل لا يصح إلا برفض الأسباب، وهذا حق، لكن رفضها عن القلب لا عن الجوارح، فالتوكل لا يتم إلا برفض الأسباب عن القلب، وتعلق الجوارح بها، فيكون منقطعاً منها متصلاً بها<sup>(١)</sup>.

ولما لسنة الله تعالى في التوكل من أهمية في تحقيق الاستخلاف والتمكين في الأرض، فقد جعل له الله تعالى آثاره وثماره لمن صدق في توكله على الله، فمن تلك الثمار التي تتجلى سنة الله تعالى في المتوكلين عليه: أنهم ممن شملتهم صفات السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب، كما ثبت ذلك في الصحيحين، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: خرج علينا النبي ﷺ يوماً فقال: "عرضت علي الأمم، فجعل يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد، ورأيت سواداً كثيراً سد الأفق، فرجوت أن تكون أمتي، فقيل: هذا موسى وقومه، ثم قيل لي: انظر، رأيت سواداً كثيراً سد الأفق، فقيل لي: انظر هكذا وهكذا، رأيت سواداً كثيراً سد الأفق، فقيل: هؤلاء أمتك، ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب" فتفرق الناس ولم يبين لهم، فتذاكر أصحاب النبي ﷺ فقالوا: أما نحن فولدنا في الشرك، ولكننا آمنا بالله ورسوله، ولكن هؤلاء هم أبناؤنا، فبلغ النبي ﷺ فقال: «هم الذين لا يتطيرون، ولا يسترقون، ولا يكتون، وعلى ربهم يتوكلون»<sup>(٢)</sup>، وذلك أيضاً مصداقاً لقوله تعالى في أكثر من موضع في القرآن الكريم، والتي منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

(١) ينظر: المصدر السابق: ١٢٠/٢.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم (٥٧٥٢) (١٣٤/٧)، باب من لم يرق، وأخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (٢٢٠) (١٩٩/١)، وزاد عنده "أنهم لا يرقون"، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب.



﴿٢﴾<sup>(١)</sup>، وغيرها من الآيات.

- ومن السنن الربانية والظاهرة في المتوكلين عليه: حفظه تعالى لهم من تسليط الشيطان وتوليته عليهم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فهذه الآية تحمل عدة معانٍ، منها، عدم قدرته على أن يحملهم على ذنب لا يغفر، أو أنه ليس له حجة على ما يدعوهم إليه من المعاصي، أو أنه ليس له سلطان عليهم لاستعانتهم بالله منه، أو أنه ليس له سلطان عليهم بحال؛ لأن الله تعالى صرف سلطانه عنهم حين حكى القرآن على لسان إبليس عليه اللعنة: ﴿قَالَ رَبِّ مَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٣)</sup> إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ<sup>(٤)</sup>، فـرد الله تعالى عليه بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، فأخبر تعالى أن سلطان الشيطان لا يكون إلا على من كان لهم ولياً، والمتولون للشيطان هم الذين يحبون ما يحبه، ويرغبون فيما ما يرغب، فصاروا بطاعتهم له وامتنال أوامره مشركين به.

- ومن الثمار التي يمنحها الله تعالى لعباده المتوكلين عليه: ثباتهم على الحق وقوة يقينهم وثقتهم بالله تعالى، وعدم الخوف من المخلوقين، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾<sup>(٦)</sup>.  
ويؤكد صدق هذا التوكل ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: حسبنا الله ونعم الوكيل،

(١) سورة الأنفال " الآية (٢).

(٢) سورة النحل: الآيات (٩٩).

(٣) سورة الحج: الآية (٣٩، ٤٠).

(٤) سورة الحج: الآية (٤٢).

(٥) ينظر: تفسير الماوردي، (٢١٣/٣)، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن: للبغوي، (٩٦/٣)، والكشاف: للزمخشري، (٦٣٤/٢).

(٦) سورة آل عمران: الآية (١٧٣).

«قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد ﷺ» حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣)، ف (الناس) أبو سفيان وأصحابه من قريش قبل إسلامهم، (جمعوا لكم) حشدوا الرجال من كل جهة لقتالكم، (حسبنا) كافينا، (الوكيل) الحافظ الذي يوكل إليه الأمر ويعتمد عليه فيه<sup>(١)</sup>.

- ومن سنن الله تعالى الربانية المشهودة في المتوكلين عليه: أنهم يزدادوا بتوكلهم على الله هداية ووقاية من كل شر، وكفاية من كل حاجة، ويؤكد ذلك ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "من قال -يعني- إذا خرج من بيته: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت، ووقيت، وتحتى عنه الشيطان" (٢).

- ومن سنن الله تعالى الربانية أيضاً: جلب نعمه تعالى وفضله، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣) فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دَارِهِمْ فَمِنْ هَٰذَا فَلْيَذْكُرُوا النَّاسَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (١٧٤) (٣).

وفي الآية دليل على أن التوكل هو سبب الانقلاب إلى نعمة الله وفضله، وأن هذا الجزاء هو جزاء التوكل على الله تعالى.

ويعد التوكل على الله هو المخرج في كل أمر؛ لذلك قالها النبي ﷺ عندما بلغه ما قاله أبو سفيان لأولئك النفر من التجار، بأنه قادم على النبي ﷺ وأصحابه لاستئصالهم، فما كان منه ﷺ إلا أن قال حسبنا الله ونعم الوكيل<sup>(٤)</sup>.

وروي أنه أمر بقولها عندما قال: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ» فكان ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ، فقال لهم: قولوا: حسبنا الله

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه) ح، رقم (٤٥٦٣) (٣٩/٦)، باب "إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم".

(٢) أخرجه الترمذي في (سننه)، ح، رقم (٣٤٢٦) (٤٩٠/٥)، باب، ما يقول إذا خرج من بيته، وقال الألباني: صحيح.

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٧٣، ١٧٤).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير، ط، العلمية، (١٤٨/٢).

ونعم الوكيل على الله توكلنا<sup>(١)</sup>.

ولكي يكون التوكل هو ديدن المؤمن وشعاره في حياته، فقد أرشدنا المصطفى ﷺ، إلى عدة أدعية ندعو الله بها في الصباح والمساء، منها ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: "اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت أو: لا إله غيرك" <sup>(٢)</sup>.

ومن دعاؤه ﷺ أيضاً قوله: "يا فلان إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإنك إن مت في ليلتك مت على الفطرة، وإن أصبحت أصبت أجراً" <sup>(٣)</sup>.

ومما ورد عن السلف في التوكل، قول بعضهم: لا تتكل على غير الله فيكلك الله إلى من اتكلت عليه، وقال آخر: علامة التوكل انقطاع المطامع، وقيل التوكل على الله فريضة؛ لقوله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ <sup>(٤)</sup>، "فكل من كان بالله وصفاته أعلم وأعرف كان توكله أصح وأقوى" <sup>(٥)</sup>.

### ثالثاً: الصبر حتى الوصول إلى المراد:

فالصبر من أعظم خصال الخير التي حث الله تعالى عباده عليها في كتابه الكريم، كما أمر بذلك النبي ﷺ في سنته، وقد تنوع ورود الصبر بصيغ عدة، فقد ورد بصيغة الأمر، إذ

(١) أخرجه الترمذي في (سننه)، ح، رقم (٢٤٣١) (٦٢٠/٤)، باب، ما جاء في شأن الصور، وقال الالباني: صحيح.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم (١١٢٠) (٤٨/٢)، كتاب التهجد، باب التهجد بالليل، وأخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (٧٦٩) (٥٣٢/١)، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

(٣) المصدر السابق: متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم (٧٤٨٨) (١٤٢/٩)، باب قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي السَّلَاطَ وَأَمْلَكَهُ يُشْهَدُونَ﴾، من حديث البراء بن عازب، وأخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (٢٧١٠).

(٤) (٢٠٨٢/٤)، باب، ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، من حديث البراء بن عازب.

(٥) سورة المائدة: الآية (٢٣).

(٥) مدارج السالكين: لابن قيم الجوية، (١٨٨/٢).

قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (١٢٧) (١)، وقوله تعالى أيضاً: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَأُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (٣٥) (٢).

كما ورد بصيغة الأمر للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَاصْبِرُوا﴾ (٣)، كما أثنى أيضاً على أهله، فقال: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (١٧٧) (٤)، وأخبر تعالى عن محبته ومعيته للصابرين، فقال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (١٦١) (٥)، وقال أيضاً: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٤٦) (٦)، فسنة الله تعالى في استخلاف وتمكين عباده المؤمنين في الأرض مرهونة بتحقيق الصبر فيهم، فقد كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: "أجمع آية في كتاب الله عز وجل لأمر ونهي هذه الآية، وقال الله تعالى: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ (١٣٦) (٧)، فما أنعم أجر الصابرين حتى وصفهم الله بالصبر، وما أكرم رزقهم ووصفهم حتى مدحهم بالصبر، فالصبر مطلوب قبل العلم ومعه وبعده" (٨).

فالصبر الذي يرجى معه تحقيق سنة الله تعالى منه يأتي على ثلاثة أنواع:

**الأول:** استصحاب الصبر قبل الشروع في أي عمل، وذلك بتصحيح النية وإخلاصها لله، فلا قبول لأي عمل ما لم يكن خالصاً لله تعالى، ومما يؤكد تقديم الصبر على العمل قوله

---

(١) سورة النحل: الآية (١٢٧).

(٢) سورة الأحقاف: الآية (٣٥).

(٣) سورة آل عمران: الآية (٢٠٠).

(٤) سورة البقرة: الآية (١٧٧).

(٥) سورة آل عمران: الآية (١٤٦).

(٦) سورة الأنفال: الآية (٤٦).

(٧) سورة آل عمران: الآية (١٣٦).

(٨) ينظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد: لأبي طالب محمد بن علي المكي، (ت:

٣٨٦هـ) تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، ط: الثانية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

(٣٢٩/١).

تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١)، فلا بد من الصبر قبل فعل الطاعة، إذ لا يمكن للعبد فعل طاعة إلا بعد صبر ومصابرة، ومجاهدة عدوه الباطن الكامن في النفس والظاهر الكامن في العدو.

**الثاني:** الصبر على ترك فعل المحرمات؛ لأن النفس البشرية أمارة بالسوء، والشيطان وقرناء السوء يقومون بتزيين فعل المنهيات، ففوة الصبر تكمن في عدم اقترافها. ذكر بعض السلف أن أعمال البر يعملها البر والفاجر، ولكن لا يقدر على ترك المعاصي إلا من كان صادقاً في صبره، كما لا يتجنب المعاصي إلا صبوراً (٢).

**الثالث:** الصبر على ما يصيب الإنسان بغير اختياره من المصائب، وهي نوعان: أحدهما لا اختيار للخلق فيه، كالأمراض وغيرها من المصائب، وهي التي يسهل على الإنسان الصبر فيها؛ لأن الإنسان يشهد قضاء الله وقدره فيها، وإنه لا مجال له من دفعها عنه، فيحتم عليه الصبر إما اضطراراً، وإما اختياراً، فإذا فتح الله على قلب من وقعت عليه مصيبة بالتفكر في فوائدها، وما يكمن فيها من النعم والألطف، انتقل إلى ما حل به من الصبر عليها إلى الشكر لها والرضا بها، ثم تتقلب حينئذ في حقه إلى نعمة بعد أن كانت في نظره نقمة، فيكون ممن ينطبق عليهم قوله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له» (٣).

فهذا الحديث يعم جميع ما يقتضيه الله تعالى لعبده المؤمن، وأنها خير له إذا صبر على مكروهاها وشكر لمحبوهاها، بل يكون هذا داخل في مسمى الإيمان، فقليل الإيمان نصف صبر ونصف شكر، وهو واجب بإجماع الأمة (٤).

فسنة الله تعالى في الصبر تعد أحد ركائز تحقيق الاستخلاف والتمكين لعباده المؤمنين

---

(١) سورة هود: الآية (١١).

(٢) ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: للأصبهاني (٢١١/١٠).

(٣) أخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (٢٩٩٩) (٢٢٩٥/٤)، باب المؤمن كله له خير، من حديث صهيب ؓ.

(٤) ينظر: مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، منزلة الصبر، (١٥١/٢).

في الأرض، فلا نجاح في الدنيا ولا فوز في الآخر إلا بالصبر، ففي الدنيا لا يمكن أن تتحقق الآمال، ولا تنجح المقاصد، ولا يؤتى عمل أكله إلا بالصبر، فمن صبر ظفر، ومن عدم الصبر لم يظفر بشيء، فالناجحون في الدنيا إنما حققوا آمالهم بالصبر، استمروا المر، واستعذبوا العذاب، واستهانوا بالصعاب، ومشوا على الشوك، وحفروا الصخور بالأظافر، ولم يبالوا بالأحجار تقف في طريقهم، والطعنات تغرس في ظهورهم، قد يعثرون ثم لم يلبثوا أن ينهضوا، وقد يخطئون ثم يوشكون أن يصيبوا، وقد يجرحون ثم لا يلبث... أن يندمل، وقد يفشلون مرة ومرة فلا يلقون السلاح، ولا يستسلمون لليأس، ولا يفقدون نور الأمل، فالحاجة إلى الصبرؤكد؛ من أجل تحقيق سنة الله تعالى لعباده المؤمنين بالاستخلاف والتمكين في الأرض، والضرورة إليه أشد وألزم<sup>(١)</sup>.

يقول صاحب قوت القلوب: " أن الصبر سبب دخول الجنة وسبب النجاة من النار؛ لأنه جاء في الخبر: حَقَّتْ الجنة بالمكاره وحَقَّتْ النار بالشهوات، فيحتاج المؤمن إلى الصبر على المكاره؛ ليدخل الجنة، ويحتاج إلى الصبر عن الشهوات؛ لينجو من النار"<sup>(٢)</sup>.

فإذا كان الصبر ضرورة للناس بصفة عامة، فأهل الإيمان أولى به على وجه خاص؛ لأنهم أشد تعرضاً للأذى والمحن والابتلاءات، سواءً في أموالهم وأنفسهم وفي كل عزيز لديهم؛ لأنهم هم المكلفون بالاستخلاف والتمكين، ومن كلف بهذه المهمة لابد أن يواجه العديد من الابتلاءات بشتى أنواعها؛ ولأن الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون لهم أعداء يتربصون بهم الدوائر، فاقتضت سنة الله تعالى أن جعل لآدم إبليس، ولإبراهيم النمرود، ولموسى فرعون، ولمحمد ﷺ أبا جهل وأمثاله، يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وكذلك يكون المؤمنون من أتباع الأنبياء، فهم أشد بلاء بعد الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل،

---

(١) ينظر: الصبر في القرآن، د. يوسف القرضاوي، الناشر: مكتبة وهبة، ط: الثالثة، ١٤١٠هـ، ص: (١٢ - ١٤).

(٢) قوت القلوب: لأبي طالب المكي، (١/٣٣٦).

(٣) سورة الأنعام: الآية (١١٢).

أما من ظن أن تحقيق سنة الله تعالى بالاستخلاف والتمكين من دون أن يتصدى للموعودين لها بشتى أنواع الابتلاءات فقد جهل طبيعة الإيمان بالرسالات، وطبيعة أعداء أعدائها، ولعل هذا الوهم كان حاصل عند بعض أصحاب النبي ﷺ في العهد المكي بعد أن نالوا من العذاب ما نالوا، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٣)، أي: من أراد أن تتحقق سنة الله تعالى بالاستخلاف والتمكين في الأرض لابد له من أن يلحق الصبر، أما في العهد المدني فنجد القرآن الكريم ينفي مثل هذا الحسبان الواهم، فيقول جل شأنه: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبِينَ ﴾ (٤) وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (٥)، إذن من أراد الجنة لابد له من دفع الثمن، وثمن الجنة هو: الصبر على البأساء، أي: البؤس ويصيب الأموال، والضراء: المرض والجوع، ويصيب الأبدان، وزلزلوا، حركوا بأنواع البلاء وأزعجوا إزعاجاً شديداً، تصيب النفوس، حتى وصل بهم الحال إلى أن قالوا متى نصر الله، بعد أن طال بهم الصبر على أذى المشركين، فسنة الله في تحقيق الاستخلاف والتمكين لن تتحقق إلى بعد العبور على طريق الصبر، فلن يبلغ أحد إلى ما يريد حتى يلحق الصبر.

فبالصبر ضمان النصر والمدد، يقول تعالى ﴿ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ (٦)، وقال تعالى أيضاً: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ (٧)، وقد ورد من السنة ما يؤيد ذلك، ومن ذلك

(١) سورة العنكبوت: الآية (٢، ٣).

(٢) سورة البقرة: الآية (١١٤).

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٢٥).

(٤) سورة الأعراف: الآية (١٣٧).

ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: « يا غلام، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك... واعلم أن النصر مع الصبر... »<sup>(١)</sup>.

يتبين مما سبق أن الاستخلاف والتمكين لدين الله لم يتم لمن لم يستعينوا بعامل الصبر، فالصبر من أهم أسباب تحقيق سنة الله تعالى في الاستخلاف والتمكين في الأرض، وسواء أخذ بهذا السبب في تحقيق الاستخلاف والتمكين في الأرض جماعة مؤمنة أم غير مؤمنة، فالصبر ملزم لكليهما.

#### رابعاً: العدل:

إن من سنن الله تعالى التي شرعها لعباده في الأرض، سنة إقامة العدل الذي به يتحقق كل خير، وبالعدل يحوز الإنسان على الفوز في الدارين، وبفقدانه أو الإخلال في تطبيقه تحل الصراعات والمشاكل، فمن سنن الله تعالى في بقاء الأمم وديمومتها في الاستخلاف والتمكين قائم على مدى إقامتها للعدل؛ لأن عاقبة العدل كريمة، وعاقبة الظلم وخيمة، "فالله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة"<sup>(٢)</sup>، فالعدل صلاح الدول وعمار البلاد وسعادة الخلق.

ذكر صاحب تاريخ الخلفاء، أنه: "كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه: إن مدينتنا قد خربت فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لنا ما لا نرمها به فعل، فكتب إليه عمر: إذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل ونق طرقها من الظلم؛ فإنه مرمتها، والسلام"<sup>(٣)</sup>.

فمن سنن الله تعالى في العدل أنه لن يصلح أحوال أمة من الأمم، ولا يجتمع شمل أفرادها، إلا وكان العدل أساسها، فالعدل زمام صلاح الأمور واستقامتها في كل شيء، وفي المقابل لن تجد أمة من الأمم متردية في بعض شئونها، إلا كان سبب ذلك التردى فقدان

---

(١) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير)، ح، رقم (١١٢٤٣) (١٢٣/١١)، وشعب الإيمان: البيهقي، ح، رقم (٩٥٢٨) (٣٥٣/١٢)، فصل في ذكر ما في الأوجاع والأمراض والمصيبات من الكفارات.

(٢) الحسبة في الإسلام، أو وظيفة الحكومة الإسلامية: لابن تيمية، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ص، (٧).

(٣) تاريخ الخلفاء: للسيوطي، (ت: ٩١١هـ) تحقيق: حمدي الدمرداش، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط: الأولى،

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م (١٧٤/١).



إقامة القسط، وخير دليل على ذلك واقع الأمة اليوم وما تعيشه من ضعف وهوان نتيجة فقدان تحقيق هذه السنة الكونية.

فالعَدْلُ له قيمته في النهوض بالأمة، حيث أن العدل -كما ذكر سيد قطب- "يعد الميثاق الذي واثق الله به الأمة المسلمة، القوامة على البشرية بالعدل، العدل المطلق الذي لا يميل ميزانه مع المودة والشنآن، ولا يتأثر بالقرابة أو المصلحة أو الهوى في حال من الأحوال، العدل المنبثق من القيام لله وحده بمنجاة من سائر المؤثرات"<sup>(١)</sup>.

ولقد ورد في الحديث القدسي ما يؤكد على أهمية إقامة العدل، إذ جاء فيه: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا...»<sup>(٢)</sup>.

فإذا كان الله تعالى قد حرم الظلم على نفسه فمن باب أولى أن يكون محرماً عند خلقه، ولما حذرت الشريعة الإسلامية من الظلم ومن عواقبه، اشادة إلى إقامة العدل وداعية إليه؛ كونه أمراً ربانياً يجب الالتزام به، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾<sup>(٣)</sup>، ويبين النبي ﷺ قيمة العدل ولما للقائمين عليه من فضل، بقوله: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»<sup>(٤)</sup>، فالعدل إذا تحقق بالصورة التي دعا إليها تبارك وتعالى ونادى بها ﷺ تحققت السعادة والطمأنينة للفرد والمجتمع، فالغاية القصوى من فضيلة العدل، هي نيل السعادة في الدنيا والآخرة.

إن سنة الله تعالى في تحقيق العدل تجلب الكثير والآثار الإيجابية للفرد والمجتمع، فمن آثار تحقيقه العدل على الفرد، الشعور بالرضا والطمأنينة، فحين يسود العدل بتطبيق شريعة الله تعالى في مجتمع ما، بلا شك أن الفرد سيشعر بالاطمئنان والارتياح؛ وليقينه بعدم وجود الظلم وحفظ حقه، فيهنأ بعيشه وتصفو حياته؛ ولعدم وجود ظلم صدر منه لأحد، حتى يشعره

(١) في ظلال القرآن: لسيد قطب، (٢/٨٥٢).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (٢٥٧٧)، (٤/١٩٩٤)، باب تحريم الظلم، من حديث أبي ذر رضى الله عنه.

(٣) سورة النحل: الآية (٩٠).

(٤) أخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (١٨٢٧) (٣/١٤٥٨)، باب فضيلة الإمام العادل، من حديث زهير بن حرب رضى الله عنه.

بالقلق والضيق والاكتئاب.

وتتجلى صورة الاتزان بين عدم وجود الظلم وصدوره من الفرد ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَاتَّبِعُوا هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّوْا وَلاَ يَشْقَوْا ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ۝﴾ (١).

فهذا بيان من الله تعالى واضح كل الوضوح بأن من لزم الشريعة وطبقها على نفسه وعلى غيره، نال الرضا من الله تعالى، ومن نال الرضا من الله تعالى نال الراحة في البال والاطمئنان في النفس، ومن استقام على منهج الله تعالى ضمن الله له الأمن والسعادة، يقول تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ۝﴾ (٢).

ومن سنن الله تعالى الكونية في تحقيق العدل: تربية الفرد على الفضيلة، فالمجتمع الذي يسوده العدل وينصب فيه ميزان الحق، ويعطى كل ذي حق حقه، ينشأ الفرد فيه منصفاً متمسكاً بحب الفضائل، مدركاً أبعاد الواجبات الملقاة عليه، فينصف من نفسه، ويتخلى عن حقوق غيره، فما أجمل هذا المجتمع إذا كان أفراده متصفون بهذه المثالية، فعندما يتربى أفراد المجتمع على حب الفضائل والتمسك بها، فإنه يترفع عن سفاسف الأمور ولا يرضى لنفسه بالهوان والاحتقار؛ لأن فالنفوس الشريفة - كما يقول ابن القيم - "لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلها وأحمدها عاقبة، فالنفس الشريفة العلية لا ترضى بالظلم ولا بالفواحش ولا بالسرقة والخيانة؛ لأنها أكبر من ذلك" (٣).

ولما لإقامة العدل من أسباب في جلب المصالح ودرء المفساد واستقامة الحال على أحسنها وأتمها، فإن له أطيب الثمر على مستوى الدارين، فأهل العدل هم السباقون لنيل جزاءهم، وهالك بعض من ثمار العدل التي ينالها العادلون في دنياهم وأخراهم:

- حفظ النوع البشري واستمراره:

(١) سورة طه: الآية (١٢٣، ١٢٤).

(٢) سورة البقرة: الآية (٣٨).

(٣) الفوائد: لابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (١/١٧٧).

إن الله تعالى وهب الحياة لهذا الإنسان بواسع فضله ومنه وكرمه وعظيم إحسانه، إذ سخر له كل ما في هذا الكون وذلك كرمًا منه تعالى وتوفيراً لمتطلباته المعيشية، وتأميناً لمتطلبات حياته التي وهبها الله لهذا الإنسان، فأمر الله تعالى هذا الإنسان بالعدل لكي تستقيم له الحياة التي أرادها الله تعالى لهذا الإنسان حين وهبه الله هذه الحياة، فجعل الله العدل ميزاناً يحتكم إليه وفق المنهج الرباني، فحين يعم العدل وتطبق أحكام الله في الأرض فإن المجتمع يسوده الأمن والاستقرار، فينمو ويتكاثر وتستمر له الحياة.

يرى البعض أن هناك تضافراً بين العدل والإحسان يهدف إلى بقاء النوع البشري ورقية، "فالعدل الذي يعني الإنصاف والمعادلة بالمثل ثمرته بقاء النوع البشري والدفع بالحسنة المتمثلة بالعدل ثمرته حل المشكلات وإطفاء نار الفتن التي تنذر بهلاك النوع البشري"<sup>(١)</sup>.

ولبقاء النوع البشري يخاطب الله تعالى المنافقين بوصف أفعالهم التي بها يهلكون الحرث والنسل، وما ذلك الإهلاك إلا اعتداء وظلم، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾<sup>(٢)</sup>، قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية: "فهذا المنافق ليس له همة إلا الفساد في الأرض وإهلاك الحرث، وهو محل نماء الزروع والثمار والنسل، وهو نتاج الحيوانات للذين لا قوام للناس إلا بهما"<sup>(٣)</sup>.

كما يتضمن العدل صفاء القلوب ونقاء النفوس، في حين تجد الظلم يورث الحقد والحسد، فالمظلوم لا يرتاح حين ينتصف من ظالمه، فعواقب الظلم -كما يذكر ابن خلدون<sup>(٤)</sup> في

---

(١) العدل وتطبيقاته في التربية الإسلامية: للطالب، يوس بن أحمد محمد العجلاني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٢١هـ، ص (٥٤).

(٢) سورة البقرة : الآية (٢٠٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، (١/٤٢١).

(٤) هو: ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد الحضرميّ الإشبيلي من ولد وائل بن حجر، الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة، أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس، رحل إلى فاس وغرناطة، وتولى أعمالاً، ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق، كان فصيحاً، جميل الصورة، عاقلاً، صادق اللهجة، عزوفاً عن الضيم، طامحاً للمراتب العالية، تولى قضاء المالكية، توفي فجأة في القاهرة، له عدة مصنفات، أشهرها (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، والمقدمة، وشرح البردة) وغيرها من المصنفات، ينظر: الأعلام: للزركلي،

مقدمته- "تعود على الدولة بخراب العمران الذي هو مادتها ؛لإذهابه الآمال من أهله و اعلم أن هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم، و هو ما ينشأ عنه من فساد العمران و خرابه، و ذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري"<sup>(١)</sup>.

وإهلاك النوع البشري قد يكون بصورة مباشرة وغير مباشرة، فكم من الحروب التي قضت على الآلاف من البشر ظلماً وعدواناً، ومن نتاج تلك الحروب القضاء على مساحات طائلة من الأراضي الزراعية التي يقتاد منها آلاف البشرية، فهذه صورة من الصور الظلم التي يتعرض لها الكائن البشري، في حين لو كان العدل سائداً لتحقيق كل خيراً وصالحاً للفرد والمجتمع، ولأنعكس ذلك الخير على البشرية جمعاء، ولتضمن بقاء العنصر البشري إلى ما شاء الله له أن يبقى.

- ومن ثمار العدل أيضاً: نمو المجتمع:

إن العدل إذا تحقق في مجتمع ما ساد الأمن النفسي والطمأنينة فيه، كما يدفع ذلك النمو بالفرد للقيام بالعمل، وقوة الإرادة في تحمل الصعاب التي تعيق تقدمه، فالمجتمع الذي يكون حصيلته هذا النوع من الأفراد فإن أي نمو وتقدم يقوم به ذلك الفرد فإنه ينعكس على مجتمعه، فحين يسود المجتمع العدل والإنصاف، يتحقق الأمن ويتحرر المجتمع من الخوف والإذلال، ومن ثم يتفرغ الأفراد والجماعات للعمل في جميع ميادين الحياة المختلفة بعزيمة صادقة، وإرادة قوية، لا يعتريها خورٌ ولا ضعف.

- ومن ثمار العدل أيضاً: تحقيق الأمن:

يقول الماوردي<sup>(٢)</sup> إن ما تصلح به الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة، وأمورها ملتزمة،

---

(٣٣٠/٣).

(١) مقدمة ابن خلدون، (٣٩٠/١).

(٢) هو: الإمام العلامة وأقضى القضاة، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، المعروف بالماوردي، فقيه، كان من وجوه الفقهاء الشافعية ومن كبارهم، كان حافظاً للمذهب وله فيه كتاب " الحاوي " الذي لم يطالعه أحد إلا وشهد له

سنة أشياء، وهي قواعدها وإن تفرعت، وهي: دين متبع وسلطان قاهر وعدل شامل وأمن عام وخصب دائم وأمل فسيح، وسيتم الحديث عن القاعدة الرابعة التي اختصت بالحديث عن الأمن العام؛ كونها تخص هذا البحث.

ورد في كتاب أدب الدنيا والدين أن: "الأمن العام تطمئن إليه النفوس وتنتشر فيه الهمم، ويسكن إليه البريء، ويأنس به الضعيف، فليس لخائف راحة، ولا لحاذر طمأنينة، وقد قال بعض الحكماء "الأمن أهناً عيش، والعدل أقوى جيش؛ لأن الخوف يقبض الناس عن مصالحهم، ويحجزهم عن تصرفهم، ويكفهم عن أسباب المواد التي بها قوام أودهم وانتظام جملتهم؛ لأن الأمن من نتائج العدل، والجور من نتائج ما ليس بعدل، والأمن المطلق ما عم"<sup>(١)</sup>.

فهو أمن عام مطلق اجتماعي ومجتمعي يحقق طمأنينة النفوس، فتنتشر به الهمم، وتتمو به الملكات والطاقات الإنسانية؛ لأن الخوف هو نقيض الأمن، فبالأمن الاجتماعي والمجتمعي يزدهر العمران الإنساني، وبغياب هذا الأمن يتقهقر هذا العمران، ففي ظل الأمن يعيش الناس في استقرار وطمأنينة، لا يتفزعون ولا يخافون، يؤدي كل فرد واجبه على أحسن ما يكون، وتؤدي كل جماعة واجبها كأحسن ما يكون الأداء، ففي الجو الأمن تنطلق الكلمة المعبرة، والفكر المبدع والعمل المتقن المدروس، في جو الأمن يحيا الناس مطمئنين فرحين مستبشرين، يؤدون واجبهم في هدوء واستقرار، وفي سعادة وهناء وسلام.

ويقول تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

---

بالتبحر والمعرفة التامة بالمذهب، واستوطن بغداد في درب الزعفراني، توفي ببغداد، (ت: ٤٥٠هـ)، له العديد من التصانيف منها: الحاوي، و تفسير القرآن الكريم، والنكت والعيون، وأدب الدين والدنيا، وغيرها، ينظر: وفيات الأعيان: لابن خلكان، (٢٨٢/٣)، وتاريخ الإسلام: للذهبي، ت، بشار، (٧٥١/٩)، وسير أعلام النبلاء: لأبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، الناشر: دار الحديث - القاهرة: (د، ط)، ١٤٢٧هـ، (٣١١/١٣).

(١) أدب الدنيا والدين: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، (ت: ٤٥٠هـ) الناشر: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م، (د، ط)، ص، ١ (٤٢).

(٢) سورة الأنعام: الآية (٨٢).

قال صاحب تفسير المنار عند تفسير هذه الآية: "الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بظلم ما لأنفسهم لا في إيمانهم ولا في أعمالهم البدنية والنفسية من دينية ودنيوية، ولا بغيرهم من المخلوقات، من العقلاء والعجماوات، أولئك لهم الأمن من عقاب الله تعالى الديني على ارتكاب المعاصي والمنكرات، وعقابه الدنيوي على عدم مراعاة سننه في ربط الأسباب بالمسببات، كالفقر والأسقام والأمراض، دون غيرهم ممن ظلموا أنفسهم"<sup>(١)</sup>.

فالمأمل في الآية يجد أنها ربطت الأمن والهداية بالإيمان بالله تعالى، ففيها دليل على أن له مقتضيات لا بُد من القيام بها، فالقيام بتطبيق العدل يُعد من أولى تلك المقتضيات؛ لأنه يقود إلى "أمن العام تطمئن إليه النفوس وتنتشر فيه الهمم، ويسكن إليه البريء، ويأمن به الضعيف، فليس لخائف راحة، ولا لحاذر طمأنينة"<sup>(٢)</sup>.

فبالأمن يتحقق للمجتمع العدل والاستقرار الذي به تنمو البلاد وتعمر الأوطان، فسنة الله تعالى الربانية في العدل أن يحفظ للبشرية استمرارها، وللمجتمعات ازدهارها، وللدين التمكين في الأرض، والتهيئة لسبل الحياة الهادئة، وتوثيق الروابط الاجتماعية، وتحقيق الأمن، كما ينشأ للفرد العزة والكرامة والشعور بالرضا والطمأنينة والحياة الكريمة، والإرادة القوية الدافعة للعمل الناتجة عن العدل والأمن.

---

(١) تفسير القرآن الحكيم: محمد رشيد رضا، (٤٨٣/٧).

(٢) أدب الدنيا والدين، للماوردي، ص، (١٤٢).

### المطلب الثالث

#### سنة الله في جماعة المؤمنين بالأمن

إن نعمة الله تعالى بالأمن نعمة لا توصف ولا تقدر بثمن، وتدوم هذه النعمة مادامت الجماعة قائمة على تحقيق وسائل بقاء هذه النعمة، وسنة الله تعالى الكونية في الأمن قائمة على تحقيق وسائل بقاء الأمن بين أفراد الجماعة، وتعد سنة الأمن من السنن الربانية التي لا غنى لأي جماعة عنها.

#### الأمن في اللغة:

(أمن): الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان، أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق، والأمنة من الأمن، والأمان إعطاء الأمانة، والأمانة ضد الخيانة.

الأمان والأمانة بمعنى، وقد أمنت فأنا آمن، وآمنت غيري، من الأمن والأمان، والإيمان: التصديق، والله تعالى المؤمن؛ لأنه آمن عباده من أن يظلمهم.

والأمن: ضد الخوف، وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدَ الْأَمِينِ﴾ (٢) (١).

يريد الأمن، وهو من الأمن، يقال: آمن به قوم وكذب به قوم، فأما أمنت المتعدي فهو

ضد أخفته، وفي التنزيل العزيز: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (٤) (٢).

فكلمة الأمن تعني الأمان والاستقرار والاطمئنان والهدوء وحماية وصيانة الإنسان نفسه ودينه وعرضه وماله وجميع ممتلكاته من أي خطر يهدده ويروع حياته، وفي أي شأن من

شؤون حياته، فتلك نعمة أنعمها الله تعالى على قريش، يقول تعالى: ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ﴾ (١)

إِلَّا لِفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ

---

(١) سورة التين: الآية (٣).

(٢) سورة قريش: الآية (٤).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصاح العربية: للجوهري، (٢٠٧١/٥)، ومعجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (١٣٣/١)، ولسان

العرب: لابن منظور، (٢١/١٣).

وَأَمْنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾<sup>(١)</sup>، فالأمن يعد من أهم مطالب الحياة، إذ لا تتحقق متطلبات الحياة إلا إذا توفرت هذه السنة الكونية، فلا يعرف فضل سنة الله تعالى في الأمن إلا من اكتوى بنار الفوضى والخوف.

### الأمن في الاصطلاح:

الأمن: عدم توقع مكروه في الزمان الآتي<sup>(٢)</sup>، وأصل الأمن: طمأنينة النفس وزوال الخوف، ويقال: رجل أمنة، وأمنة: أي: يثق بكل أحد، وأمين وأمان: يؤمن به، والأمون: الناقة يؤمن فتورها وعثورها<sup>(٣)</sup>، والمراد بالأمن اطمئنان الفرد والأسرة والمجتمع على أن يحيوا حياة كريمة في الدنيا، لا يخافون على أنفسهم وأموالهم وعقولهم ونسلهم من الاعتداء عليها، وكذلك الاطمئنان في سعيهم إلى كل ما يرضي الله تعالى.

والأمن أمانان: أمن في الدنيا وأمن في الآخرة، ولا يتحقق أمن الآخرة إلا إذا تحقق أمن الدنيا، فالجماعة المؤمنة لن يتحقق لها الأمن الدنيوي إلا إذا سلكت وسائل سبل الوصول إليه، والأمن ليس له طريق إلا عبر تحقيق العبودية المطلقة لله تعالى وتحكيم شريعته، وبدون ذلك يتنافى الأمن والعدل والاستقرار، ويحل الخوف والجوع والظلم والاستبداد.

وهناك وسائل تتحقق من خلالها هذه السنة الكونية للجماعة المؤمنة، ومنها ما يأتي:

### ١ - الإيمان بالله تعالى:

إن الإيمان الخالص إذا تحقق في الجماعة المؤمنة مكن الله تعالى لها بالأمن في الأرض، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾<sup>(٤)</sup>. قال بعض المفسرين في معنى الآية: لم يخلطوا إيمانهم بشرك<sup>(٥)</sup>، فأكرم الله تعالى بالأمن

---

(١) سورة قريش: الآية (١، ٤).

(٢) التعريفات: للرجاني، ص، (٣٧).

(٣) المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني، ص، (٩٠، ٩١).

(٤) سورة الأنعام: الآية (٨٢).

(٥) الوسيط في تفسير القرآن المجيد: للواحيدي، (٢٩٢/٢)، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز: للواحيدي: تحقيق: صفوان

عدنان داوودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية- دمشق، بيروت، (٣٦٣/١)، وتفسير القرآن: للسمعاني، (١٣٦/١).



لمن لم يشرك به.

ومن معاني الآية أيضاً: أن الذين حصل لهم الأمن المطلق هم الذين يكونون مستجمعين لهذين الوصفين.

**أولهما:** الإيمان الذي لا يخالطه شك ولا ريب، وهو كمال القوة النظرية.

**والآخر:** ولم يلبسوا إيمانهم بظلم، وهو كمال القوة العملية، ثم قال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ

مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ (١) (٢).

## ٢- العمل الصالح.

ويتبع تحقيق وعد الله تعالى بالأمن للجماعة المؤمنة بعد الإيمان بالله تعالى، قيامها بالأعمال الصالحة، كما هو واضح في القرآن من أن الأمن موقوف على القيام بممارسة الأعمال الصالحة، حيث قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي

الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ

خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ (٣).

فوعده الله تعالى بالأمن مرتبط بشروط ووسائل لتحقيقه، وقد تم ذكر ذلك سابقاً مما أغنى عن إعادة ذكره هنا.

## ٣- تقوى الله تعالى.

ومن وسائل تحقيق سنة الله تعالى للجماعة المؤمنة بالأمن تقواهم لله تعالى أيضاً، إذ

يقول جل شأنه: ﴿إِلَّا إِلَٰهَ آبَائِكِ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ (٤)، فأحب الناس إلى الله تعالى أتقاهم، فمن اتقى الله في نفسه بسط

الله له الأمن في الدنيا والفوز في الآخرة، فالتقوى أحد وسائل تحقيق الأمن للجماعة المؤمنة

(١) سورة الأنعام: الآية (٨٢).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي، (٤٩/١٣).

(٣) سورة لنور: الآية (٥٥).

(٤) سورة يونس: الآية (٦٢، ٦٣).

في الأرض، فمن كرم الله تعالى لمن تحقق بالتقوى نال الأمن في الحياة الدنيا، ووسائل تحقيق سنة الله تعالى للتقوى مشتركة في تحقيق الأمن<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - إقامة الحدود في الأرض:

ومما يمنح الله تعالى هذه الجماعة بالأمن تنفيذها وإقامتها لحدود الله تعالى في الأرض لكافة الأحكام الشرعية؛ كون إقامة الحدود يجعل المجتمع يعيش في أمن وأمان.

فالجرائم حدد الإسلام لها عقوبات إذا لم تنفذ فإنها تهدد أمن الفرد والمجتمع وتنتشر الخوف في الكيان العام، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْذِ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٣٩)، فما نالت الجماعة الأمن من الله تعالى إلا؛ لأنها سباقة في تنفيذ حدود الله تعالى في المجتمع؛ لأن إقامة الحدود تردع كل من تسول له نفسه ارتكاب أي جريمة؛ ولأنه يعلم أن مصيره سوف يكون كحال من سبقه في إقامة الحد عليه من قبل، وإقامة الحدود أثر كبير يعود على الفرد والمجتمع كما هو معلوم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "حد يقام في الأرض، خير للناس من أن يمطروا ثلاثين أو أربعين صباحاً"<sup>(٢)</sup>.

#### ٥ - شكر الله تعالى على نعمة الأمن وعدم الكفر بها:

ومما يدل على شكر الجماعة لنعمة الأمن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ. بَلَدٌ طَيِّبٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْمَلٍ خَمْطٍ وَأَنْثَى شَقِيقٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ (١٧) فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (١٩)<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: الرسالة، ص، (٧١).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٢٩).

(٣) أخرجه أحمد في (مسنده)، ح، رقم (٨٧٣٨) (٣٥١/١٤)، وأخرجه النسائي في (السنن الكبرى)، ح رقم (٤٩٠٤)

(٧٥/٨) باب الترغيب في إقامة الحدود، وقال الألباني حسن بلفظ أربعين.

(٤) سورة سبأ: الآية (١٥، ١٩).

قال ابن عاشور - رحمه الله -: " وفي الآية دلالة واضحة على أن تأمين الطريق وتيسير المواصلات وتقريب البلدان لتيسير تبادل المنافع واجتلاب الأرزاق من هنا ومن هناك نعمة إلهية ومقصد شرعي يحبه الله لمن يحب أن يرحمه من عباده، وعلى أن الإجحاف في إيفاء النعمة حقها من الشكر يعرض بها للزوال وانقلاب الأحوال" <sup>(١)</sup>.

فما أكرم الله تعالى هذه الجماعة بالأمن إلّا؛ لأنها تعمل على تيسير سبل الأسفار وتقدير الأمن في جميع نواحي البلاد وبمختلف الوسائل، فهم ساعون وباذلون من أموالهم لتحقيق بعض احتياجات المسلمين الضرورية.

أما من بينت حالتهم الآية الكريمة حال كفرهم بالنعمة التي كانوا سادرين عنها، فهم لما "أعرضوا عن شكر الله، وعن العمل الصالح، والتصرف الحميد فيما أنعم الله عليهم، فسلبهم سبب هذا الرخاء الجميل الذي يعيشون فيه، وأرسل السيل الجارف الذي يحمل العرم في طريقه وهي الحجارة لشدة تدفقه، فحطم السد، ضيق الله عليهم في الرزق، وبدلهم من الرفاهية والنعماء خشونة وشدة" <sup>(٢)</sup>.

ومن وسائل تحقيق الأمن للجماعة أنها على دوام في طلب الأمن من الله تعالى لها ولمجتمعها، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيُشَرُّ الْأُمِّصِيرُ ۝١٣٦﴾ <sup>(٣)</sup>، فقوله تعالى، (بلداً)، "أي: يأمن من يحل به، و(آمناً)، أي: من الخوف، أي لا يرعب أهله، وقد أجاب الله دعاءه، فيقول تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۝١٣٧﴾" <sup>(٤)</sup>.

(١) التحرير والتنوير: للطاهر ابن عاشور، (١٨١/٢٢).

(٢) في ظلال القرآن: لسيد قطب، (٢٩٠١/٥).

(٣) سورة البقرة: الآية (١٢٦).

(٤) سورة آل عمران: الآية (٩٧).

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبَالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ

وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ (١) (٢).

فالأمن يعد إحدى ثمار الإيمان والعمل الصالح، والأمن سمة المؤمن الصادق في إيمانه، فإذا صدق إيمان الفرد وإيمان الجماعة عاشوا حياتهم في أمان لا يخافون ولا يفزعون ولا يخيفون ولا يربعون أحداً من الناس، وإنما تلجأ الناس إليهم إذا حل بهم أمر أخافهم فلا ملاذ لهم سوى هذه الفئة المؤمنة، فما نالت هذه الجماعة هذا الأمن من الله تعالى إلا لإيمانها بالله تعالى وقيامها بالأعمال الصالحة وتنفيذها لحدود الله تعالى في الأرض، واستقامتها على شرع الله في كل صغيرة وكبيرة، وقربها من الله تعالى، وبكل ذلك نالوا من الله تعالى الأمن في الدنيا.

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (٦٧).

(٢) محاسن التأويل: للقاسمي، (٣٩٥/١).

## **المبحث الثاني**

**سنة الله في إسعاد المؤمنين كأفراد**  
وفيه ثلاثة مطالب.

**المطلب الأول:** سنة الله في صلاح الذرية.

**المطلب الثاني:** سنة الله في سعة الرزق.

**المطلب الثالث:** سنة الله في الحياة الطيبة.

## المطلب الأول

### سنة الله في صلاح الذرية

تتجلى سنة الله تعالى الربانية في صلاح ذرية عباده المؤمنين القائمين على شرعه، وذلك حينما تكون حياتهم سارية وفق منهج الله تعالى الذي شرعه لهم، فما نال العبد المؤمن نعمة خيراً من صلاح الذرية، وما نال ذلك إلا لسابق أعماله التي تعبد لله تعالى بها؛ لأنه جعل شعاره قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (١)، فسعى جاهداً في صلاح نفسه وصلاح ذريته من خلال إيمانه بالله تعالى وعمله للأعمال الصالحات وتقواه له تعالى، واستقامته على شرعه تعالى، وإقامته لجميع حدوده، ثم يشرع بعد كل ذلك لتربية ذريته فمن تلقى التربية الصحيحة نال الذرية الصالحة.

كما أن من بركة الأب وصلاحه أن الله تعالى يبارك في رزق ذريته، يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٢).  
فلولا صلاح الأب لما هيا الله العبدان الصالحين لإقامة ذلك الجدار لحفظ كنزهما، فكان ذلك من أثر صلاح الآباء لأبنائهم وذرياتهم.

ومن وسائل صلاح الذرية بعد إيمان العبد بالله تعالى وتقوية صلته به، وتنفيذه لأوامر الله واجتنابه لنواهيه: بره بوالديه؛ كونه من أحب الأعمال إلى الله تعالى، روي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله، أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة على ميقاتها»، قلت: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين» (٣).

فما صلحت ذرية إلا بصلاح حال الوالدين، ومن ثم حسن تربيتهما التربية الإسلامية التي

---

(١) سورة التحريم : الآية (٦).

(٢) سورة الكهف: الآية (٨٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم (٢٧٨٢) (٤/١٤)، باب الجهاد والسير، وأخرجه مسلم في

(صحيحه)، ح، رقم (٨٥) (١/٨٩)، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال.

لا يشوبها إفراط ولا تفريط، فسنة الله تعالى في صلاح الذرية مرهونة على استقامة الأب على شرع الله تعالى وعلى تربيته الصحيحة لذريته.

ومن سننه تعالى في صلاح الذرية، قيام الآباء بكل ما يتصل بإصلاح نفوسهم وتقويم اعوجاجهم، وترفعهم على الدنيا، وحسن معاملة الآخرين، فالآباء هم المسؤولون عن تخليق ذريتهم منذ الصغر، على الصدق والأمانة والحلم والأناة وعفة اللسان والاستقامة، وإغاثة الملهوف، وإكرام الضيف، واحترام الكبير والإحسان إلى الجار والمحبة للآخرين، والابتعاد عن كل أضرار ما سبق، كما يجب على الآباء نحو ذريتهم تنزيه ألسنتهم من الشتائم والسباب، والكلمات النابية وعن كل ما ينبئ عن فساد الخلق، وسوء التربية، ومسؤولون عن ترفعهم عن دنيا الأمور، وسفاسف العادات وقبائح الأخلاق، وعن كل ما يحيط بالعفة والشرف والمروءة.

يعد صلاح الذرية صورة لصلاح الوالدين، فكلما كان الوالدان بارين بوالديهما كانت ذريتهما صالحة، تلك سنة من سننه تعالى المؤكدة بحديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بروا آباءكم تبارككم أبناءكم، وعفوا تعف نساؤكم»<sup>(١)</sup>.

ومن سنن الله تعالى في صلاح الذرية رضا الله تعالى عن العبد المؤمن، فمن رضا الله عنه أصلح الله له ذريته، لما روي عنه ﷺ أنه قال: «رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد»<sup>(٢)</sup>. فما حرم أحد من صلاح الذرية إلا لعدم رضا الله عنه، ورضا الله لم يناله العبد ولم يصلح له الذرية إذا لم يكن متمسكاً بهديه وشرعه، منفذاً لأوامره، متجنباً لنواهيه.

---

(١) أخرجه الطبراني في (المعجم الأوسط)، ح، رقم (١٠٠٢) (٢٩٩/١)، والمستدرک على الصحيحين: للحاكم، ح، رقم (٧٢٥٨) (١٧٠/٤)، كتاب البر والصلة، من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير):، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، ح، رقم (١٤٣٦٧) (٤٩٤/١٣)، ولم يرفعه، وأخرجه المستدرک: للحاكم، ح، رقم (٧٢٤٩) (١٦٨/٤)، كتاب البر والصلة، هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه "، وشعب الإيمان: للبيهقي، ح، رقم (٧٤٤٧) (٢٤٧/١٠)، باب بر الوالدين.

## المطلب الثاني

### سنة الله في سعة الرزق

الدليل على أن الله تعالى رزقنا آيات كثيرة من القرآن الكريم، كقول الله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾<sup>(٢)</sup>.

والرزق: اسم لما يسوقه الله إلى الحيوان فيأكله. قال في "القاموس": الرزق - بالكسر -: ما ينتفع به كل مرتزق<sup>(٣)</sup>. والرزق نوعان:

١- خاص: وهو الرزق الحلال للمؤمنين، وهذا هو الرزق النافع الذي لا تبعة فيه إذا كان عوناً على طاعة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup> وقال تعالى أيضاً: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ<sup>(٥)</sup>.

٢- عام: وهو ما به قوام سواء كان حلالاً أو حراماً، وسواء كان المرزوق مسلماً أو كافراً، قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٦)</sup>.

### الرزق في اللغة:

(رزق) الرء والزاء والقاف أصل واحد يدل على عطاء لوقت، فالرزق عطاء الله - عز وجل -، ويقال رزقه الله رزقاً، والرزق: ما ينتفع به والجمع الأرزاق. والرزق العطاء، ويقال

(١) سورة الذلريات: الآية (٢٢).

(٢) سورة الذلريات: الآية (٥٧).

(٣) القاموس المحيط: للفيرزاً بادي، (١/٨٨٦).

(٤) سورة الجاثية: الآية (١٦).

(٥) سورة الأعراف: الآية (٣٢).

(٦) سورة العنكبوت: الآية (٦٠).



ارتزق الجند، أي أخذوا أرزاقهم، وقوله: ﴿وَجَعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾<sup>(١)</sup>، أي شكر رزقكم<sup>(٢)</sup>. والرازق والرزاق: في صفة الله تعالى؛ لأنه يرزق الخلق أجمعين، وهو الذي خلق الأرزاق وأعطى الخلائق أرزاقها وأوصلها إليهم، والرزق: معروف والأرزاق نوعان: ظاهرة للأبدان كالأقوات، وباطنة للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم<sup>(٣)</sup>، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾<sup>(٤)</sup>.

### الرزق في الاصطلاح:

ورد في بعض التفاسير لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>، أن معنى فضلاً تحتمل معنيين، أحدهما: سعة الرزق، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةُ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(٦)</sup>، يريد بسعة الأرض سعة الرزق؛ لأنه يرزقهم من الأرض فيكون معناه، ورزق الله تعالى واسع<sup>(٧)</sup>.

وورد في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾<sup>(٨)</sup>، قيل: من المال والولد، وقيل ما بسط الله تعالى لهم في الدنيا من سعة الرزق<sup>(٩)</sup>، ومن معاني قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ رَحْمَةٍ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُوسُ كَكُفُورٍ﴾<sup>(١٠)</sup>.

(١) سورة الواقعة: الآية (٨٢).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: للجوهري، (٤/١٤٨١)، ومقاييس اللغة، لابن فارس، (٢/٣٨٨)، ومختار الصحاح، للرازي، ص، (١٢١).

(٣) لسان العرب: لابن منظور، (١٠/١١٥).

(٤) سورة هود: الآية (٦).

(٥) سورة البقرة: الآية (٢٦٨).

(٦) سورة الزمر: الآية (١٠).

(٧) النكت والعيون: للماوردي، (١/٣٤٣، ٥/١١٩).

(٨) سورة مريم: الآية (٥٠).

(٩) الوسيط في تفسير القرآن المجيد: للواحدي، (٣/١٨٦)، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن: للبغوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، (٣/٢٣٧).

(١٠) سورة هود: الآية (٩).

فالرحمة هاهنا جاءت بمعنى سعة الرزق<sup>(١)</sup>.

وقد تتحقق سنة الله تعالى في سعة الرزق لعباده المؤمنين ولغير المؤمنين في الأرض، وهذا لا غرابة في أن تتحقق لجميع خلقه، وإنما مقصودنا هو كيف تتحقق سنة الله تعالى في سعة رزقه لعباده المؤمنين، فلم تتحقق هذه السنة إلا لمن سلك السبل التي تتحقق بها هذه السنة، فمن سبل تحقيق سنة الله تعالى في سعة الرزق كثيرة نذكر منها ما يلي:

١- الإكثار من الاستغفار ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَرْزُقْكُمْ مِنْ رِزْقٍ عَظِيمٍ﴾ (١)، فالمراد بالمتاع الحسن: سعة الرزق، ورغد العيش، والعافية في الدنيا (٢)، ومما يدل على أن الاستغفار أحد وسائل سعة الرزق ما ورد في قوله تعالى على لسان نبي الله هود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم، إذ جعل الله جزاءه إرسال المطر عليهم وهو سبب سعة الرزق وزيادة القوة البدنية لهم، إذ كان هذان أهم ما يطلبه قومه من ربهم، ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (٣)، وقوله تعالى أيضاً على لسان نوح، ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۖ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۖ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ يَبِينُ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جُنُودًا وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (٤).

فكل هذه الآيات تبين أن سنة الله تعالى في سعة الأرزاق مرتبطة بكثرة الاستغفار، كما يؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لزم الاستغفار جعل الله له

(١) تفسير القرآن: للسمعاني، (٤١٥/٢).

(٢) سورة هود: الآية (٣).

(٣) سلسلة التفسير: لأبي عبد الله مصطفى بن العدوى: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، (د، ط، ت) (١٦/٣٦)، وموسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور: أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، الناشر: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. (٤٠/٣).

(٤) سورة هود: الآية (٥٢).

(٥) سورة نوح: الآية (١٠-١٢).

من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»<sup>(١)</sup>.

فتتجلى سنة الله تعالى في سعة الرزق لمن جعل الاستغفار ديدنه في جميع أوقاته.

٢- الإنفاق في سبل الخير، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، ويتحقق بهذه الآية معنى قوله ﷺ: «ما طلعت شمس قط إلا بعث بجنبتيها ملكان يناديان يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين يا أيها الناس هلموا إلى ربكم فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ولا آبت شمس قط إلا بعث بجنبتيها ملكان يناديان يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين اللهم أعط منفقاً خلفاً وأعط ممسكاً تلفاً»<sup>(٣)</sup>.

ومن معاني الآية السابق ذكرها، أنه ما أنفقتُم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم، فهو يخلفه، إما منجزاً في الدنيا، وإما مؤجلاً في الآخرة، وذلك الإنفاق مشروط بقصد وجهه تعالى، وفضل الله تعالى هو زيادة الرزق، كما ذلك في التوراة: عبدي، أنفق من رزقي أبسط عليك فضلي، فإن يدي مبسوطة على كل يد مبسوطة، والله تعالى واسع بالجود والفضل على من أنفق، فما كان من خلف فهو منه تعالى<sup>(٤)</sup>.

ولما للإنفاق من مكانة في الإسلام وما يقوم به من دور في المجتمع من تكافل وغيره، إذ

---

(١) أخرجه ابن ماجة في (سننه)، ح، رقم (٣٨١٩) (١٢٥٤/٢)، باب الاستغفار، وقال الألباني ضعيف، وأخرجه البيهقي في (السنن الكبرى)، ح، رقم (٦٤٢١) (٤٩٠/٣)، باب ما يستحب من كثرة الاستغفار في خطبة الاستسقاء وأن يقول كثيراً: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾<sup>(١٠)</sup> يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا<sup>(١١)</sup> ﴿نوح: ١٠ - ١١﴾، و جامع الأصول في أحاديث الرسول: لأبي السعادات مجد الدين المبارك بن عبد الكريم الشيباني ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرئوط - التتمة تحقيق بشير عيون، الناشر: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، ط: الأولى، ح، رقم (٢٤٤٦) (٣٨٩/٤)، لفرع الثاني: في الاستغفار، من حديث بو داود ﷺ.

(٢) سورة سبأ: الآية (٣٩).

(٣) أخرجه أحمد في (مسنده)، ح، رقم (٢١٧٢١) (٥٣/٣٦)، وشعب الإيمان، ح، رقم (٩٨٨٨) (١٧/١٣). باب في الزهد وقصر الأمل، قال الله عز وجل: ﴿فَهَلْ يُظُنُّونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذَكَرْنَهُمْ﴾ (محمد: ١٨)، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لأبي الحسن الهيثمي، ح، رقم (٤٦٧٥) (١٢٢/٣)، باب الإنفاق، من حديث أبي الدرداء ﷺ.

(٤) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: للنسفي، (٦٧/٣)، والبحر المحيط في التفسير: لأبي حيان الأندلسي، (٧٨٣/٢)، (٥٥٦/١٥)، والقرآن العظيم: لآين كثير، (٤٦٢/٦).

جعله الله تعالى قرين فضل صاحب القرآن والعامل به، فقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: " لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها" <sup>(١)</sup>.

فمن سنن الله تعالى في المنفقين أموالهم في وسيله، أنه ما أنفق عبداً نفقة في سبيل الله تعالى إلا وجد ثمارها وخيراتها في الدنيا قبل الآخرة، فكم من مريض شفي وكم من حاجة قضيت، وكم من نازلة فرجت ومشكلة حلت، فما خاب وخسر منفق قط، بل كلما أنفق وزاد في انفاقه كلما أخلف الله عليه وزاده من فضله.

٣- تقوى الله تعالى، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾ <sup>(٢)</sup>، تعد التقوى من أهم وسائل تحقيق سعة الرزق بنص ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، فالعبد إذا اتقى الله تعالى وآثر الحلال في المكاسب والتجارات والصبر على أهله، فإن كان في ضيقة فتح الله عليه ورزقه من حيث لا يحتسب، من حيث لا يرجو <sup>(٣)</sup>.

ومما ورد في السنة أن تقوى الله تعالى وسيلة من وسائل سعة الرزق، ما روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس، اتخذوا تقوى الله تجارة يأتكم الرزق بلا بضاعة ولا تجارة» <sup>(٤)</sup>، ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم (١٤٠٩) (١٠٨/٢)، وورد بلفظ (فسلط)، باب إنفاق المال في حقه، وأخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (٨١٥) (٥٥٨/١). وورد بلفظ (فسلطه)، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه.

(٢) سورة الطلاق: الآية (٢، ٣).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: للزجاج، (١٨٤/٥)، وتفسير الماتريدي، (٥٧/١٠)، ومفاتيح الغيب: للرازي، (٥٦٢/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (١٦٠/١٨).

(٤) المعجم الكبير: للطبراني، ح، رقم (١٩٠) (٩٧/٢٠).

ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>، أي: لو سنعنا عليهم الخير من كل جانب، وقيل: بركات السماء المطر، وبركات الأرض الثمار، أي: لفتحنا عليهم أبواب السماء والأرض بالرزق، فأكلوا من فوقهم يعني لأرسل السماء عليهم مدراراً ومن تحت أرجلهم يعني يخرج من الأرض بركاتها<sup>(٢)</sup>. فمن تحققت فيه تقوى الله تعالى حلت عليه بركات من السماء والأرض، وأخصب عليه العيش و أغزر له الرزق دون عناء ولا مشقة، فالمؤمن التقيّ ترى الغنى في قلبه والقناعة في نفسه وراضياً بقضاء الله وقدره.

٤ - شكر الله تعالى على نعمة الرزق، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>، ويقول تعالى أيضاً: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعَمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup> كَذَابِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالِ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَاذِبٌ ظَلِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>، "يخبر الله تعالى في هذه الآيات عن تمام عدله، وقسطه في حكمه، بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه، كصنعه تعالى بآل فرعون وأمثالهم حين كذبوا بآياته، فكان جزاءهم أن أهلكهم بسبب ذنوبهم، وسلبهم تلك النعم التي أسداها إليهم من جنات وعيون، وزروع وكنوز ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين، وما ظلمهم الله في ذلك، بل كانوا هم الظالمين"<sup>(٦)</sup>.

فمن شكر الله تعالى على نعمه فقد قيدها بعقالها، ومن كفر بنعم الله تعالى تعرض

(١) سورة الأعراف: الآية (٩٦).

(٢) ينظر: صفوة التفاسير: للصابوني، (٤٢٨/١)، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: للزحيلي، (٢٥٤/٦)، ولباب التأويل في معاني التنزيل: للخازن، (٢٣٠/٢).

(٣) سورة الرعد: الآية (١١).

(٤) سورة الأنفال: الآية (٥٣، ٥٤).

(٥) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، ط، العلمية، (٦٩/٤).

لزوالها، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾، فالشكر وثيقة تأمين ربانية يحفظ بها الإنسان نعم الله تعالى من الزوال، يقول الله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، أي: لئن شكرتم نعمتي لأزيدنكم من فضلي، أو لأزيدنكم من طاعتي<sup>(٢)</sup>.  
وروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال لرجل من همدان: «إن النعمة موصلة بالشكر، والشكر معلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد»<sup>(٣)</sup>.

فسنة الله تعالى في سعة الرزق، أن العبد إذا داوم على شكر الله تعالى وعلى ما أنعم الله به عليه زاده الله على نعمه نعماً كثيرة، وبارك الله له فيما أعطاه من النعم.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية (٧).

(٢) تفسير الماوردي، (٣/١٢٣).

(٣) الشكر: لأبي بكر عبد الله بن محمد القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق، (ت: ٢٨١هـ) الناشر: بدر البدر: المكتب الإسلامي - الكويت، ط: الثالثة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ح، رقم (١٨) (١/١١)، إن النعمة موصلة بالشكر، والشكر معلق، وأخرجه علاء الدين في كنز العمال ح، رقم (٨٦١٦) (٣/٧٣٧)، الفصل الثاني: في تفصيل الأخلاق على حروف المعجم.

### المطلب الثالث

#### سنة الله في الحياة الطيبة

تتجلى سنة الله تعالى في عبادة المؤمنين حين تتحقق فيهم معنى العبودية التي يريدها منهم، لا التي يتصورها بعض الناس أنها تحصل بالمناظر الخلابة والمناصب الخداعة، أو ما يتصورها البعض أنها تحصل بتكديس الأموال وتشييد القصور، لكنها في الحقيقة منحة ربانية يمنحها الله تعالى لمن امتثل أوامره واجتنب نواهيه، وتحقق فيه معنى قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٧).<sup>(١)</sup>

فاشترط الله تعالى لنيل الحياة الطيبة الإيمان ثم القيام بالعمل الصالح الذي يثمر من ورائهما طيب العيش وهناء النفس وصلاح الذرية وسعة الرزق وصلاح البال، وجميع ما يؤدي إلى الحياة الطيبة.

وسنة الله تعالى في منح عباده المؤمنين الحياة الطيبة مرهونة على القيام بحقوق الله تعالى، وحقوق الوالدين وذوي الحقوق وكل واجب أو مستحب يدخل ضمن الأعمال الصالحة، فلا حياة لغير الطائعين لله، ولا راحة بال ولا طمأنينة قلب لغير القانعين برزق الله والمكتفين به، فالحياة الطيبة انشراح صدر وطمأنينة قلب، يقول - ﷺ -: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيراً له»<sup>(٢)</sup>.

فجعل الله تعالى الحياة الطيبة لمن تقرب إليه وأحبه وعبدته، فإذا حقق العبد مراد الله تعالى منه، من إيمان به تعالى: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وعبادة الله تعالى تليق بجلاله، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا

(١) سورة النحل: الآية (٩٧).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (٢٩٩٩) (٢٢٩٥/٤)، باب المؤمن أمره كله خير، من حديث صهيب رضي الله عنه.

(٣) سورة التغابن: الآية (٨).

الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾<sup>(١)</sup>، وطاعة الله ولسوله في كل أمر يقول تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، ودعوة إلى الله وأمر بمعروف ونهي عن منكر كما ذكر: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(٣)</sup>، وجهاد في سبيله تعالى لإعلاء كلمته كما أمر في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، ومن جملة ما أمر به عباده المؤمنين الساعين للحياة الطيبة الاستغفار والتوبة من الخطأ والتقصير، يقول تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾<sup>(٥)</sup>، فإذا حقق العبد المؤمن مراد الله تعالى منه أكرمه بعدة كرامات منها: الحياة الطيبة في الدنيا، يقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، فمن آمن بالله تعالى وعمل صالحاً نال الحياة الطيبة سواء كانت حياته في عناء أو في فقر، في شدة أو في رخاء، في سراء أو في ضراء، فالمؤمن يعيش حياته في حالة واحدة، فهو راضٍ بالله تعالى وبالحياة التي كتبها الله له أن يعيشها، راضٍ بحياته في جميع الحالات.

(١) سورة الحج: الآية (٧٧).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٣٢).

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٠٤).

(٤) سورة البقرة: الآية (١٩٣).

(٥) سورة هود: الآية (٩٠).

(٦) سورة النحل: الآية (٩٧).



## **الفصل الرابع**

**السنن الربانية المتعلقة بالسلوك والأخلاق الباطلة**

**والآثام التي تستحق العقاب الإلهي وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول: السلوك والأخلاق الباطلة.**

**المبحث الثاني: السنن المتعلقة بالآثام.**

## **المبحث الأول**

### **السنن الربانية المتعلقة بالسلوك والأخلاق الباطلة**

وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** الظلم وسنة الله تعالى فيه.

**المطلب الثاني:** الطغيان وسنة الله تعالى فيه.

**المطلب الثالث:** النفاق وسنة الله تعالى فيه.

## المطلب الأول

### الظلم وسنة الله تعالى فيه

اقتضت حكمة الله تعالى وإرادته أن يجعل لكل شيء سبباً، وأنه لا يجري في هذا الكون شيء إلا وفق علم الله تعالى وإرادته وسننه، تلك السنن التي لا تتحول ولا تتبدل، فهو سبحانه المتصرف بشؤون هذا الكون والمنظم لمجرياته وأحداثه.

والباحث في هذه الدراسة يقدم مجموعة من السنن الربانية التي وردت في القرآن الكريم، وأشير هنا إلى أن السنن الربانية تكاد تكون شاملة لكل مجالات الحياة، والباحث لا يريد من بحثه هنا أن يجمع كل تلك السنن، ولكنه يجتهد في اختيار مجموعة من هذه السنن والتي تفيد في مساندة بحثه، وإلا فقديمًا قالوا ما حدث شيء إلا وحدث قبله مثله، يقول الله تعالى:

﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ (١٣٧) ﴿١﴾.

ويكتفي الباحث هنا بالتذكير أن القرآن الكريم حض المؤمنين على السير في الأرض، وعلى ضرورة التفكير في خلق الله تعالى والنظر بعين البصيرة إلى الآيات الماثلة هنا وهناك، وقرر القرآن الكريم أن المعنيين بالاستفادة من هذا الخطاب وهو السير في الأرض والتفكير والتدبر هم أولوا الأبواب والعقول المستنيرة، فهم وحدهم القادرون على سبر أغوار هذه السنن ومعرفة وفهمها وبالتالي إلى حسن توظيفها بما يساعد على الهداية إلى الصراط المستقيم، وعلى استشراف وبناء مستقبل أمة الإسلام بل ويساهم في رفد الحضارة الإنسانية.

وكما أن سنة الله ماضية في تحقيق الغاية من وراء الهداية والإيمان والتقوى والعمل الصالح، وذلك بنيل الثواب والجزاء الحسن في الدنيا والآخرة، حيث يقول تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ

الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ (٦٠) ﴿٢﴾.

فهي أيضاً ماضية في تحقيق المصير المحتوم لهذه السنن إذا هم خالفوا أوامر الله - عز وجل - وعاثوا في الأرض فساداً وظلموا وبغوا وطغوا، والله تعالى يقول: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٣٧).

(٢) سورة الرحمن: الآية (٦٠).

فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾<sup>(١)</sup>. ومن هذا المنطلق نبدأ في دراسة السنن الربانية المتعلقة بالسلوك والأخلاق الباطلة والآثام التي بسببها حلّ على مرتكبيها العقاب الإلهي.

### الظلم في اللغة:

(ظَلَمَ) الظَّاءُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ أَضْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا خِلَافُ الضِّيَاءِ وَالنُّورِ، وَالْآخَرُ وَضْعُ الشَّيْءِ غَيْرَ مَوْضِعِهِ تَعْدِيًّا، فيقال: ظَلَمَهُ يَظْلِمُهُ ظُلْمًا وَمَظْلَمَةً، وأصله وضع الشيء في غير موضعه<sup>(٢)</sup>. وقيل (الظُّلْمُ) هو: "وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بنقصان أو زيادة، وإما بعدول عن وقته ومكانه"<sup>(٣)</sup>. وقيل هو: "الجور ومنع الحق"<sup>(٤)</sup>.

وفي الاصطلاح: هو عبارة عن الضرر الخالي من نفع يزيد عليه ودفع مضرة أعظم منه والاستحقاق عن الغير في علمه أو ظنه، فإذا كان الفعل بهذه الصفة كان فاعله ظالماً<sup>(٥)</sup>. "وإنما كان ذلك منهم ظلماً؛ لأنهم نسبوا القبيح إلى من هو مبرأ منه، فقد وضعوا الشيء في غير موضعه، وهذا هو الظلم"<sup>(٦)</sup>.

ونذكر بعض أهل التفسير أن الظلم لا بد أن يكون "عبارة عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب تعديه، ولا يمكن تداركه، أو عن مطلق الضرر الشامل الدنيوي والأخروي"<sup>(٧)</sup>.

---

(١) سورة فصلت: الآية (٤٦).

(٢) تهذيب اللغة: للأزهري، (٢٧٤/١٤ - ٢٧٧)، والصاحح تاج اللغة وصاحح العربية: للجوهري، (١٩٧٧/٥)، ومعجم مقاييس اللغة: لأبن فارس، (٤٦٨/٣)، ومختار الصحاح: للرازي، ص، (١٩٧)، وأساس البلاغة: للزمخشري، (٦٢٦/١)، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي، (١١٣٤/١).

(٣) القاموس الفقهي: لسعيد أبو حبيب، ص، (٢٣٨).

(٤) انظر: معجم لغة الفقهاء: لمحمد قلجعي وحامد قنيبي، ص، (٢٩٦).

(٥) مفاتيح الغيب: للرازي، (٥١٣/٣).

(٦) فتح القدير: للشوكاني، (٧٢/٤).

(٧) محاسن التأويل: للقاسمي، (٢٥٠/٩).

وقال أهل السنة والحديث ومن وافقهم: أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه<sup>(١)</sup>، وهذا القول هو الصواب والمعروف في لغة العرب والقرآن والسنة.

فمن سنن الله تعالى في الظلم لمن يضع الشيء في غير موضعه، كأن يجعل العبد قلبه معلق بالاستعانة بالمخلوقين على قضاء حوائجه وتحقيق مآربه وهذا عين الظلم، فسنة الله في مثل هذا الظلم، هو خراب ذلك القلب وسداد طريقه المؤدية إلى الله؛ لأنه أشرك مع الله غيره، وهذا من صور الظلم المتجاوز للحدود في وضع الشيء في غير موضعه الذي يجب أن يوضع فيه. وليس الظلم مقصوراً في منع المستحق لحقه، بأقل درجة من الظلم في إعطاء غير المستحق<sup>(٢)</sup>، كمن أعطى لشخص عطية وهو في غنى عنها مع وجود منه أحوج إلى تلك العطية منه، فهذا يُعد من أنواع الظلم.

وللظلم أنواع نذكر منها ما ذكره بعض المفسرين:

#### ١ - الظلم بمعنى الشرك والكفر.

لقد ذكر بعض المفسرين أن أعظم أنواع الظلم هو الشرك بالله<sup>(٣)</sup>، كما جاء ذلك مبيناً في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، فمعنى الظلم هنا هو الشرك، يقول عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه، لما نزلت هذه الآية، شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أئنا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: "ليس كما تظنون إنما

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة: مؤلف الأصل ابن قيم الجوزية، اختصره: محمد بن محمد بن عبد

الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر، الناشر: دار الحديث، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص، (٢٣٢).

(٢) ميزان العمل: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، حققه وقدم له: الدكتور سليمان دنيا، الناشر، الناشر: دار المعارف، مصر، ط: الأولى، ١٩٦٤هـ، ص، (٣٦٨).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور، (٣٣٢/٧).

(٤) سورة الأنعام: الآية (٨٢).

هو كما قال لقمان لابنه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١)، فبين الله تعالى أن مراده بذلك الظلم في هذه الآية هو الشرك خاصة (٢).

ومما يؤيد قول المفسرين بأن أعظم أنواع الظلم الشرك بالله، هو ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعو لله نداً وهو خلقك» قال: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قال: ثم أي؟ قال: «ثم أن تزاني بحليلة جارك» فأنزل الله عز وجل تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ (٣)(٤).

فدل جواب النبي صلى الله عليه وسلم عن سؤال الرجل على أن للظلم عدة أنواع، غير أن بعضها أشد من بعض، فبين له بأن أعظم أنواع الظلم، هو الشرك بالله، ثم قتل الأولاد مخافة الفقر، ثم الزنا بحليلة الجار، فكان الظلم الأول ظلم عقدي، والثاني ظلم الدماء، والثالث ظلم الأعراض. كما ثبت أيضاً للكافرين بالظلم التام، كقوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٥)، فالكفر بالله من أعظم انواع الظلم؛ لأنه صرف ما لله تعالى من العبادة إلى مخلوق مثله (٦).

---

(١) سورة لقمان: الآية (١٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم (٤٧٧٦) (١١٤/٦)، باب ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣)، وأخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (١٢٤) (١١٤/١)، باب صدق الإيمان وإخلاصه.

(٣) سورة الفرقان: الآية (٦٨).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم (٧٥٣٢) (١٥٥/٩)، باب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (سورة المائدة: ٦٧)، وأخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (٨٦) (٩١/١). باب كون الشرك أقبح الذنوب، وبيان أعظمها بعده.

(٥) سورة البقرة: الآية (٢٥٤).

(٦) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي، (١١٠/١).

وأما سنن الله تعالى الربانية في الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والكفر فهي كثيرة في القرآن الكريم ومنها:

أ - سنة الله في الذي حاج إبراهيم في ربه، فدمغ الله حجته بقول إبراهيم.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢٥٨) (١).

أراد إبراهيم عليه السلام: أن الله هو الذي يخلق الحياة والموت في الأجساد، وأراد الكافر: أنه يقدر أن يعفو عن القتل فيكون ذلك إحياء، وعلى أن يقتل فيكون ذلك إماتة، فكان هذا جواباً أحق، لا يصح نصبه في مقابلة حجة إبراهيم؛ لأنه أراد غير ما أراد الكافر، فلو قال له: ربه الذي يخلق الحياة والموت في الأجساد فهل تقدر على ذلك؟ لبهت الذي كفر بادئ بدء وفي أول وهلة، ولكنه انتقل معه إلى حجة أخرى تنفيساً لخناقه، وإرسالاً لعنان المناظرة فقال: فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب لكون هذه الحجة لا تجري فيها المغالطة، ولا يتيسر للكافر أن يخرج عنها بمخرج مكابرة ومشاغبة. قوله: فبهت الذي كفر بهت الرجل وبهت وبهت: إذا انقطع وسكت متحيراً (٢).

وفي القصة إثبات لوجود الله، وللتناسب فإنه لما ذكر الله تعالى فيما سبق أن الله ولي الذين آمنوا، وأن الطاغوت ولي الكافرين، أعقبه بذكر نموذج للإيمان ونموذج للطغيان، ليبين تلك القضية ويشهد على صدقها وصحتها، وهو أن إبراهيم وفقه الله للأدلة التي تدحض الشبهات، وأن الملك عمي عن نور الحق، فكانت حججه متهافئة ساقطة، تتردد في ظلمات

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٥٨).

(٢) فتح القدير: للشوكاني، (١/ ٣١٨).

الشكوك والأوهام<sup>(١)</sup>.

ب - سنة الله في عزير الذي أنكر يوم البعث.

قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ۖ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ۖ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۖ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ۖ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ ﴿٢٥٩﴾﴾<sup>(٢)</sup>، وفي هذه القصة دليل واضح على حقيقة البعث بعد الفناء، والحشر بعد النشر من القبور، والدليل الثابت الذي يمكن أن يحتج به على البعث في كل زمان ومكان: هو سنته تعالى في تكوين الحيوان وإنشاء لحمه وعظمه، والإنشاء معناه: التقوية، والإنشاء معناه التتمية. وهذه حالة خاصة، وأما الآية الكبرى العامة وهي كيفية التكوين الدالة على قدرة الله على البعث، فهي قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۖ ﴿٢١٩﴾﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ۖ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ۖ ﴿١٠٤﴾﴾<sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup>.

واختلفوا في الذي مر على القرية، فقيل: أرميا بن حلقيا<sup>(٦)</sup>.

(١) التفسير المنير: للزحيلي (٣/ ٢٧).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٥٩).

(٣) سورة الأعراف: الآية (٢٩).

(٤) سورة الأنبياء: الآية (١٠٤).

(٥) التفسير المنير: للزحيلي (٣/ ٣٥).

(٦) هو: إرميا بن حلقيا من سبط لاوي بن يعقوب من أنبياء بني إسرائيل ويقال إنه الخضر عليه السلام، وقيل أن إرميا كان غلاماً من أبناء الملوك، وكان زاهداً، ولم يكن لأبيه ابن غيره، وكان أبوه يعرض عليه النكاح فكان يأبى مخافة أن يشغله عن عبادة ربه، ينظر: تاريخ دمشق: لابن عساكر، (٢/ ٢٩)، مختصر تاريخ دمشق: لأبي الفضل الرويفعي، (٢٣٩/٤).



وقيل هو عزيز بن شرخيا<sup>(١)</sup>، والراجح أنه أرميا بن حلقيا، لأنه كان من جملة الذين أسره بختنصر<sup>(٢)</sup> إلى بابل أوائل القرن السادس قبل الميلاد، وذلك أنه لما رأى عزم بختنصر على استئصال اليهود وجمعه آثار الهيكل ليأتي بها إلى بابل، جمع كتب شريعة موسى وتابوت العهد وعصا موسى ورماها في بئر في أورشليم خشية أن يحرقها بختنصر<sup>(٣)</sup>.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره عجب نبيه ﷺ ممن قال إذ رأى قرية خاوية على عروشها، "أنى يحيي هذه الله بعد موتها"، مع علمه أنه ابتداء خلقها من غير شيء، فلم يقنعه علمه بقدرته على ابتدائها حتى قال: أنى يحييها الله بعد موتها! ولا بيان عندنا من الوجه الذي يصح من قبله البيان على اسم قائل ذلك. وجائز أن يكون ذلك عزيزا، وجائز أن يكون أرميا، ولا حاجة بنا إلى معرفة اسمه، إذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك، وإنما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على إحيائه خلقه بعد مماتهم، وإعادتهم بعد فنائهم، وأنه الذي بيده الحياة والموت<sup>(٤)</sup>.

## ٢ - الافتراء على الله بالكذب.

(١) هو: عزيز بن سروخا، قال ابن عباسؓ، هو الذي قال الله تعالى في كتابه: ﴿أَوَكَلَّيْ مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (البقرة: ٢٥٩)، وقيل أنه كان من علماء بني إسرائيل، ينظر: مختصر تاريخ دمشق: لأبي الفضل الرويفعي (٣٦/١٧)، وتوضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم: لأبي بكر شمس الدين محمد بن عبد الله بن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، الشهير بابن ناصر الدين (ت: ٨٤٢هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: الأولى، ١٩٩٣م، (٦/٢٦٨).

(٢) التحرير والتنوير: للطاهر ابن عاشور (٣/٣٥).

(٣) هو: بختنصر بن نجور زاذان بن سنحاريب ابن دارياس بن نمرود ابن فالخ بن عابر بن نمرود صاحب إبراهيم الذي حاجه في ربه، خرج في ست مئة ألف راية يريد أهل بيت المقدس، وهو من أحرق التوراة حتى لم يبق منها حدف واحد، وأول من اتخذ المكامن في الحروب، ينظر: كنوز الذهب في تاريخ حلب: لأبي ذر أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل، موفق الدين، سبط ابن العجمي (ت: ٨٨٤هـ) الناشر: دار القلم، حلب، ط: الأولى، ١٤١٧هـ، (٢/١٧).

(٤) التحرير والتنوير: للطاهر ابن عاشور (٣/٣٥).

(٥) جامع البيان، للطبري، ت: شاکر (٥/٤٤١).

ومن أنواع الظلم الافتراء على الله بالكذب، والتكذيب بآياته، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فذكر أهل التفسير في تفاسيرهم لهذه الآيتين، أن الظلم في حد ذاته شر، وأن شر أنواع الظلم والإجرام في البشر هو الافتراء بالكذب على الله، أي اقتراحهم الدنيء الساقط بأن يأتي لهم النبي ﷺ، بقرآن غير هذا الذي عنده أو بالتغيير والتبديل لما يكرهونه منه، كتحقيقه لآلهتهم، وتكفير آبائهم، والتكذيب بآياته، بما اقترفتوه من المعاصي والآثام<sup>(٣)</sup>.

كما يلحق بهذا النوع من الظلم ما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>، ذكر بعض المفسرين أن الظلم درجات، وأن منتهى الظلم الذي لا ينبغي أن يلحقه سائر أنواع الظلم، هو تعطيل المساجد من الطاعات التي بُنيت لها ومن أجلها<sup>(٥)</sup>.

ومن سنن الله تعالى الربانية في الذين ظلموا أنفسهم بالافتراء على الله بالكذب فهي كثيرة في القرآن الكريم وسنكتفي بذكر الذين هادوا وكذبوا على الله وهم الوارد ذكرهم في سورة الأنعام.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ

(١) سورة هود: الآية (١٨).

(٢) سورة يونس: الآية (١٧).

(٣) اللباب في علوم الكتاب: لابي حفص النعماني، (٤٥٩/١٠)، وتفسير آيات من القرآن الكريم: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، (ت: ١٢٠٦هـ) تحقيق: الدكتور محمد بلتاجي، الناشر: جمعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، (د، ط)، ص، (٢٤٤)، وتفسير القرآن الحكيم: لرشيد رضا، (٢٦١/١١).

(٤) سورة البقرة: الآية (١١٤).

(٥) انظر: فتح القدير: للشوكاني، (١٥٣/١).

شُحْمَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٦٦﴾ (١). وَحُرِّمَ هَذَا الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ ظَلَمِ مَنْهُمْ، فَعَاقِبَهُمُ اللَّهُ فَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الطَّيِّبَاتِ الَّتِي أَحَلَّهَا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١١٨) (٢). (٣)

وهذه هي سنة الله تعالى الربانية فيهم بسبب ظلمهم بالافتراء على الله بالكذب، وما حرم العبد لنعم الله تعالى إلا بسبب ظلمه، فكم حرمت أمة الإسلام من نعم بسبب ظلمها في عصور انحطاطها (٤).

وعاقبة الظلم: عدم الفلاح، فلا يفلح المفتري ولا المكذب، ولا يفوز أحدهما أو كلاهما يوم القيامة (٥).

### ٣ - ظلم الناس بعضهم لبعض.

أما ظلم الناس بعضهم لبعض فهي كثيرة، والمتأمل في القرآن الكريم سيجد أن هذا النوع من أنواع الظلم هو الأكثر وجوداً في القرآن، فمنها ظلم الصد عن سبيل الله، وظلم أكل أموال الناس بالباطل، وظلم البغي على الناس بغير الحق، وظلم التعاون على الإثم من قول أو فعل، وظلم التعاون على العدوان، أي التعدي على الناس بما فيه ظلم، وظلم البخل في الإنفاق، أو ظلم الحكم بغير ما أنزل الله، أو ظلم قتل النفس بغير حق، وغير ذلك وكل ما ذكرناه من أنواع ظلم الناس بعضهم لبعض يكون سبباً لنيل العقاب في الدنيا قبل الآخرة.

(١) سورة الأنعام: الآية (١٤٦).

(٢) سورة النحل: الآية (١١٨).

(٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: لأبي بكر جابر بن موسى بن عبد القادر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الخامسة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م (٣/ ١٦٥).

(٤) ينظر: المصدر السابق، (٣/ ١٦٦).

(٥) التفسير المنير: للزحيلي (٧/ ١٦٤).

وأما السنن الربانية على ظلم بعض العباد لبعضهم فهي الأكثر في القرآن الكريم ولكن سنكتفي بذكر ظلم فرعون لموسى وقومه ففيها الكثير من السنن الربانية وسنكتفي بذكر فرعون وظلمه كنموذجاً لظلم الناس بعضهم لبعض، ففي قصة فرعون من السنن الكونية ومن الدروس والعبر ما يكفينا لبسط هذا النوع من أنواع الظلم.

قال تعالى: ﴿طَسَمَ ۝١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِخُّ أبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝٥ وَنُكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ (١)...الآيات.

الإشارة في قوله تعالى: ﴿طَسَمَ ۝١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢﴾ هي إشارة إلى ما هو مقروء يوم نزول هذه الآية من القرآن تنويها بشأن القرآن وأنه شأن عظيم. وجملة قوله تعالى: ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى﴾ مستأنفة استئنافاً ابتدائياً، ومهد لنبا موسى وفرعون بقوله نتلوا عليك للتشويق لهذا النبا لما فيه من شتى العبر بعظيم تصرف الله في خلقه. والتلاوة: القراءة لكلام مكتوب أو محفوظ (٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: أي تجبر في أرض مصر وتكبر، وعلا أهلها وقهرهم، حتى أقروا له بالعبودية (٣).

وقوله: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا﴾، فرقاً يشيعونه فيما يريد، أو يشيع بعضهم بعضاً في

(١) سورة القصص: الآية (١ - ٦).

(٢) التحرير والتنوير: للطاهر ابن عاشور (٢٠ / ٦٣).

(٣) جامع البيان، للطبري، ت: شاکر (١٩ / ٥١٦).

طاعته أو أصنافاً في استخدامه استعمل كل صنف في عمل، أو أحزاباً بأن أغرى بينهم العداوة كي لا يتفقوا عليه<sup>(١)</sup>.

وقال الطبري: يعني بالشيعة: الفرق، يقول: وجعل أهلها فرقاً متفرقين<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾ ذكر أن استضعافه إياها كان استعباده. وقوله: ﴿إِنَّهُ

كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من أولاد الأنبياء لتخيل فاسد<sup>(٣)</sup>.

ومن صنوف أفعال فرعون عليه اللعنة في قومه إنه كان يقتل من لا يستحق قتله، ويستعبد من لا يستحق استعباده، ويتعطرس بكبريائه على قومه، ويتكبر بعدم عبادته لربه.

كما ورد أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ قيل هم

بنو إسرائيل، وقوله: ﴿وَنَجْعَلُهمْ أَيْمَةً﴾ أي: ولاية وملوكاً، وقوله تعالى: ﴿وَنَجْعَلُهمْ الْوَارِثِينَ﴾

أي: نخلفهم ونجعلهم وراث آل فرعون يرثون الأرض بعد تدمير وإهلاك الله تعالى لهم<sup>(٤)</sup>.

وهذه سنة من سنن الله تعالى في هذا الكون على الظالمين أن يجعلهم عبرة لمن خلفهم

ويورث أرضهم وديارهم للمظلومين والمستضعفين، قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا

يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي

إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾<sup>(٥)</sup>

فهذه الآيات واردة على سبيل المقارنة والموازنة بين المؤمنين والكافرين، وجزاء كل منهم، فلما

بين الله تعالى إهلاك قوم فرعون معه بالغرق على وجه العقوبة، بين سبحانه وتعالى ما أكرم

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٤ / ١٧١).

(٢) جامع البيان، للطبري، ت: شاکر (١٩ / ٥١٦).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٤ / ١٧١).

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري، ت: شاکر (١٩ / ٥١٧).

(٥) سورة الأعراف: الآية (١٣٧).

المؤمنين به من الخيرات، وهو أنه تعالى أورثهم أرضهم وديارهم<sup>(١)</sup>.

ومن خلال هذا العرض لظلم فرعون وجبروته من سورة القصص، يتبين أن هذه السورة قد اشتملت على التنويه بآيات القرآن المبين، وتبيين ما حدث لقوم موسى عليه السلام من ظلم وجبروت فرعون، حيث كان يذبح أبناءهم ويستبقي بناتهم، وأنه - تعالى - شاء إنقاذهم من هذه المحنة، فنجّى موسى من بطش فرعون وقتله، حيث ألهم الله تعالى أم موسى عليه السلام أن تصنع له تابوتاً وتلقيه في النيل ففعلت ما ألهمها الله به، فدفعته المياه إلى قصر فرعون، فالتقطه آله؛ ليكون لهم عدواً وحزناً؛ وليخلص بني إسرائيل من ظلم فرعون وأعوانه ويجعل هلاكه وجنوده على يد من رباه في كنفه<sup>(٢)</sup>.

ومن سنن الله تعالى الربنية التي يجريها على الظالمين في الدنيا قبل الآخرة بسبب ظلمهم، ذلك ما سطره الله لنا في سورة يونس، إذ ضرب لنا مثلاً بفرعون عليه اللعنة حيث جعله الله عبرة وآية لمن خلفه ولمن سلك ما سلكه فرعون ونجّاه ببذنه بعد أن أغرقه، قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافُلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، "لقد أنقذ الله موسى وهارون وبني إسرائيل من ظلم فرعون وقومه، وكان عبورهم في البحر معجزة خارقة لموسى، إذ أوحى الله إليه بأن يضرب بعصاه البحر، فقال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(٤)</sup>، وذلك لصموده مع أخيه في وجه الطاغية فرعون، أكبر ملك في أكبر

(١) ينظر: تفسير المنير: للزحيلي (٩/ ٧٥).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط ١، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م). (٧/ ١٧٣٠).

(٣) سورة يونس: الآية (٩٢).

(٤) سورة الشعراء: الآية (٦٣).

دولة في الأرض، استعبدت شعب مصر عدة قرون، فما زالا يجادلانه بالحجج والبيانات، حتى نصرهما الله، وهكذا فلا تستعظم قوة أي دولة كبرى أمام قوة الحق، ويفعل الإيمان القوي في القلب المليء باليقين ما لا تفعله قوى الشر المتكاثرة، وهكذا يتصدى موسى وأخوه هارون لعدو الله، وقومهما أذلة مستضعفون، وفرعون مصر صاحب السلطة والمال والجند والأتباع، ثم ينتصر الضعفاء، ويتلاشى الأقوياء<sup>(١)</sup>.

وهكذا تجري سنن الله تعالى الربانية لجميع خلقه مؤمنهم وكافرهم، فمن اعتبر واتعظ بما حصل لفرعون وتجنب الظلم والتكبر، نجى من غضب الله وبطشه وانتقامه، يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأنقذ الله بني إسرائيل من كيد فرعون وملئه، فعبروا البحر آمنين بالسير في أرضه دون سفن، بعد أن أوحى الله لنبيه موسى بضرب البحر فانفلق، فكان كل فرق كالطود العظيم، ثم أغرق الله فرعون وقومه حينما لحقوا بهم، وفي وسط البحر أطبق عليهم الماء، كما وصف تعالى هذا الحادث العجيب بقوله: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(٣)</sup> وَأَرْزَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ<sup>(٤)</sup> وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُ أَجْمَعِينَ<sup>(٥)</sup> ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ<sup>(٦)</sup> إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ<sup>(٧)</sup> وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ<sup>(٨)</sup> ﴿٣﴾<sup>(٩)</sup>.

فمن خلال ما سبق تبين لنا أن الظلم عبارة عن تعدي ومجاوزة الحدود الشرعية، أو تعدي الحق على الباطل، وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْعَدْ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(١٠)</sup>.

(١) التفسير المنير: للزحيلي (٧٣ / ٩).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٣).

(٣) سورة الشعراء: الآية (٦٣ - ٦٨).

(٤) التفسير المنير: للزحيلي (٧٥ / ٩).

(٥) سورة البقرة: الآية (٢٢٩).

، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾<sup>(١)</sup>.

كما يتبين أيضاً أن معاني الظلم في الاصطلاح التي ذكرناها بداية حديثنا عن الظلم في هذا المطلب، وجاءت مستقاة من المعاني اللغوية، حيث جاء الظلم في اللغة بمعنى وضع الشيء في غير موضعه المختص به، وجاء في المعنى الاصطلاحي بأن يقوم الظالم بالتصرف في ملك الغير، أو نقل الحق إلى غير مستحقه، فكلاهما تجاوزا للحدود الشرعية، وهذا واضح وجلي في قصة فرعون مع موسى وقومه؛ لذلك يتضح ارتباط المعاني الاصطلاحية للظلم بالمعاني اللغوية، والمعنى الاصطلاحي للظلم مستمد من المعنى اللغوي.

كما يتضح من السابق أن للظلم أنواع أعظمها الشرك بالله كونه متعلقاً بالاعتقاد، ومن أقبح أنواع الظلم وأشنعها ما ذكره المفسرون وهو الافتراء على الله بالكذب والتكذيب بآياته، لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، ومن الظلم أيضاً الإعراض عن آيات الله بعد التذكير بها، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾<sup>(٣)</sup>، لذلك قال بعضهم "أحق الناس تسمية بالظلم من يرى الآيات فلا يعتبر بها ويرى طريق الخير فيعرض عنها ويرى مواقع الشر فيتبعها ولا يجتنب عنها"<sup>(٤)</sup>.

وتبين أيضاً أن للظلم درجات وأن منتهى الظلم منع مساجد الله من إحيائها بالطاعات ولما شئدت من أجله، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ

(١) سورة الطلاق: الآية (١).

(٢) سورة يونس: الآية (١٧).

(٣) سورة الكهف: الآية (٥٧).

(٤) روح البيان: لأبي الفداء الخلوئي، (٢٦١/٥).



عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾<sup>(١)</sup> ، وغيرها من أنواع الظلم.

وسائل للوقاية من الظلم بكل أشكاله:

أولاً: الإنكار على الظالم.

ومن ذلك ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أنه قال: "يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فِئْتَبَتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾<sup>(٢)</sup>، وإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الناس إذا رأوا ظالماً فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم بعقاب منه"، أي إذا لم يمنعوه عن ظلمه مع القدرة على منعه أن يعمهم الله بعقاب منه أي بنوع من العذاب<sup>(٣)</sup>، ومن الواضح أن الواجب منع الظالم من الظلم والإنكار عليه يشمل الحاكم الظالم وغيره من الظلمة، كما أن العذاب أو العقاب الذي يعمهم قد يكون به هلاك الأمة، وقد يكون بما دون الهلاك.

ثانياً: عدم الاستكانة للظالم.

رفض الظلم وعدم الاستكانة للظالم والانتصار منه، كل ذلك مما يجب أن يتربى عليه الفرد المسلم لأنه شيء ضروري لتكوين شخصيته الإسلامية ومن مقوماتها الأساسية ومن الصفات الأصلية للمسلم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ ﴿٢٩﴾<sup>(٤)</sup>. ومعنى الانتصار في هذه الآية: هو أن "يقنصروا على ما جعله الله لهم ولا يعتدوا؛ لأن من أخذ حقه غير متعدّد الله وما أمر به فلم يسرف في القتل إذا كان ولي دم أو ردّ على سفيه محاماة على عرضه وردعاً له فهو مطيع، وكل مطيع محمود"<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة البقرة: الآية (١١٤).

(٢) سورة المائدة: الآية (١٠٥).

(٣) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي: لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبارك فوري، الناشر: دار الكتب

العلمية - بيروت، (٨ / ٣٢٤، ٣٣٥).

(٤) سورة الشورى: الآية (٣٩).

(٥) الكشف، للزمخشري، (٤ / ٢٢٩).

وفي تفسير القرطبي<sup>(١)</sup> في هذه الآية: "أي إذا نالهم ظلم من ظالم لم يستسلموا لظلمه"<sup>(٢)</sup>.  
وورد أيضاً أن السلف كانوا، يكرهون أن يُستذلّوا، فإذا قدروا عفوا عمن بغى عليهم<sup>(٣)</sup>.  
وقال الألويسي<sup>(٤)</sup> في تفسير الآية التي ذكرناها: "أي ينتقمون ممن بغى عليهم على ما جعله  
الله تعالى لهم ولا يعتدون، والعفو عن العاجز المعترف بجرمه محمود، والانتصار من  
المخاصم المصرّ محمود"<sup>(٥)</sup>.

ثالثاً: عدم الركون إلى الذين ظلموا.

ومن سبل الوقاية من وقوع الظلم أو شيوعه وانتشاره وما يترتب على ذلك من العقاب أو  
الهلاك بالأمة، عدم الركون إلى الذين ظلموا بأي نوع من أنواع الركون إليهم حتى يعجزوا أو  
يضعفوا عن ارتكاب الظلم لاسيما الحكام الظلمة؛ لأنهم لا يرتكبون المظالم إلا بأعوانهم  
وبسكوت أهل الحق عنهم أو بركونهم إليهم؛ لذا يحذر الله تعالى من الركون إلى الظالمين أو  
مساندتهم فيقول جل شأنه: ﴿وَلَا تَرْكُؤُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مَن

---

(١) هو: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، محدث قرطبة، ولد بقرطبة سنة ٣٦٨،  
ورحل رحلات طويلة، وولى قضاء لشبونة وشنترين، قيل أنه أحفظ أهل المغرب، وتوفي سنة (٤٦٣) بشاطبه، وله  
مصنفات، التمهيد، والكافي في الفقه، والاستيعاب، وغيرها، ينظر: أسد الغابة، لابن الأثير، (٦/١)، وتاريخ الإسلام،  
للذهبي، ت، بشار، (١٠/١٩٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٦ / ٣٩).

(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: للعسقلاني، (٤/٢٧٥). باب الانتصار من الظالم، لقوله جل ذكره: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا

أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ (الشورى: ٣٩)،

(٤) هو: الشهاب محمود بن عبد الله بهاء الدين بن محمود شهاب الدين الألويسي، فقيه بغدادى من قضاة الشافعية، ترفع  
عن مناصب الدولة وعكف على التدريس، تولى القضاء في البصرة مدة سنتين، توفي بغداد سنة (١٢٧٠هـ) له  
مصنفات عدة، منها، التعطف على التعرف في الاصلين والتصوف، المتان في علمي المنطق والبيان، ينظر: فهرس  
الفهارس والأثبات: لمحمد عبد الحي بن عبدالكبير الإدريسي، (ت: ١٣٨٢هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار  
الغرب الإسلامي - بيروت، ط: الثانية، ١٩٨٢م، (١/١٣٩)، والأعلام: للزركلي، (٤/١٣٦)، و معجم المؤلفين: عمر  
بن رضا، (٦/١٤٨).

(٥) روح المعاني: للألويسي (١٣/٤٧).

أُولِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴿١١٣﴾ (١).

قال الزمخشري في تفسيرها: "ولا تركنوا، من أركنه إذا أماله، والنهي متناول للانحطاط في هواهم، والانقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم، والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومدّ العين إلى زهرتهم، وذكرهم بما فيه تعظيم لهم. وتأمل قوله: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا﴾ فإن الركون هو الميل اليسير. وقوله تعالى: ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي إلى الذين وجد منهم الظلم، ولم يقل إلى الظالمين" (٢).

رابعاً: لا يعان الظالم على ظلمه.

أعوان الظالم ظلمة مثله، فلا تجوز إعانة الظالم؛ لأنه إذا كان الركون بجميع أشكاله وأنواعه لا يجوز، فما يكون فيه إعانة فعلية للظالم، أولى أن لا يجوز، والواقع أن الحاكم الظالم إنما يتمكن من ظلمه بمعاونة أعوانه وأتباعه وليس بنفسه فقط، فالمعاونة له بأي شكل من أشكالها لا تجوز؛ لأنها تقوية له ومساعدة له لتنفيذ ظلمه، ولهذا إذا نزل العذاب بالحاكم الظالم نزل بأعوانه أيضاً؛ لأنهم مثله ظالمون كما حصل لفرعون وأعوانه قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ (٣)، فالله تعالى جمعهم بوصف الخطيئة، ومن خطيئتهم: الظلم الذي كان يقترفه فرعون ويعاونه عليه هامان وجنودهما، فلما نزل العذاب بفرعون نزل بأعوانه قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَبَدَّنَهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (٤). وقال تعالى في آية أخرى: ﴿فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَبَدَّنَهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ

(١) سورة هود: الآية (١١٣).

(٢) الكشف: الزمخشري (٢/ ٤٣٣).

(٣) سورة القصص: الآية (٨).

(٤) سورة الذاريات: الآية (٤٠).

الظالمين ﴿٤٠﴾<sup>(١)</sup>. فجعلهم الله تعالى جميعاً ظالمين: فرعون وجنوده لمعاونة جنوده له، فأهلكهم جميعاً.

خامساً: لا يعان الظالم على بقاءه.

ولا يعان الظالم على بقاءه في مركزه الذي يمكّنه على الظلم، ولا يُدعى له بالبقاء؛ لأن في بقاءه استمراراً لظلمه، جاء في الحديث النبوي الشريف: "من دعا لظالم بالبقاء فقد أحبّ أن يُعصى الله في أرضه"<sup>(٢)</sup>، وسئل الإمام سفيان الثوري<sup>(٣)</sup>، عن ظالم أشرف على الهلاك في برية، هل يسقى شربة ماء؟ فقال: لا. فقيل له: يموت؟ فقال: دعه يموت<sup>(٤)</sup>.

فيتوجب على الجماعة المسلمة في حاضر الأمة أن تبين للناس أن أمور الحياة تجري وفق سنن الله العامة ومنها سنته في الأسباب والمسببات، وسنته تعالى في تدافع الحق والباطل، وأن الله تعالى لن يخرق من أجل عيونهم قوانين الحياة وسننها العامة في الاجتماع، فهم ليسوا بأحسن حالاً ولا أكرم على الله تعالى من رسول الله ﷺ وصحابته الكرام وقد قص الله علينا ما لاقوه من شدائد وأذى وما تحملوه في سبيله وما قدموه من تضحية وفداء حتى أتاهم نصر الله وأزال الطواغيت من الأرض، كما يجب على المسلمين اليوم أن يعلموا علم اليقين أن إزاحة الطواغيت والحكام الظلمة لا يكون بمجرد تأفهم أو تضجرهم أو تحسرهم أو بالاحتجاج بأنهم مسلمون فلا بد أن يهلك الله الحكام الظلمة وهم في بيوتهم لا يحركون ساكناً، راجيين من الله تعالى أن يرسل ملائكة تقاتل عنهم وتزيح الحاكم الظالم فتخلصهم من شرّه، فإذا أرادوا الخلاص من الحاكم الظالم أو الكافر فعليهم سلوك الجهاد الشرعي بأنواعه

---

(١) سورة القصص: الآية (٤٠).

(٢) الكشف: للزمخشري (٢ / ٤٣٤).

(٣) هو: أبو عبد الله الثوري سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب، الكوفي، المجتهد، شيخ الإسلام، وإمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، ولد سنة سبع وتسعين اتقافاً، وطلب العلم وهو حدث باعتهاء والده، قيل عنه أنه، أمير المؤمنين في الحديث، توفي، ١٢٦هـ، ينظر، سير أعلام النبلاء: للذهبي، دار - الحديثة - القاهرة، (٦/٦٢١).

(٤) الكشف، للزمخشري (٢/٤٣٣).

وإعداد القوة اللازمة لذلك، ومن أولى خطواته ومستلزماته وحدة الكلمة وضم الجهود بعضها إلى بعض <sup>(١)</sup>.

---

(١) ينظر: السنن الإلهية في الأمم والجماعات، لعبد الكريم زيدان ص، (١٣٣).

## المطلب الثاني الطغيان وسنة الله تعالى فيه

### الطغيان في اللغة:

جاء في لسان العرب<sup>(١)</sup>: طغى يطغى طغياناً ويطغو طغياناً: جاوز القدر، وارتفع وغلا في الكفر. وأطغاه المال: جعله طاغياً. وكل شيء جاوز القدر فقد طغى. وطغى الماء والبحر: ارتفع وعلا كل شيء. وجاء في مفردات الراغب<sup>(٢)</sup>: أطغاه كذا: حمله على الطغيان، وذلك تجاوز الحد في العصيان. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾<sup>(٣)</sup> استعير الطغيان فيه لتجاوز الماء الحد.

وجاء في المعجم الوسيط<sup>(٤)</sup>: طغى طغياً وطيغياً: جاوز الحد المقبول. وطغى الماء: فاض وتجاوز الحد في الزيادة. وطغى فلان: غلا في العصيان. وطغى فلان: تجبر وأسرف في الظلم.

### الطغيان في الاصطلاح:

ومعنى الطغيان في الاصطلاح يقوم على أساس معناه في اللغة، فيراد به تجاوز الإنسان حده وقدره. وحدّ الإنسان هو ما حده الله له من حدود لا يجوز أن يتجاوزها، وقدّر الإنسان هو قدره باعتباره عبداً لله تعالى فتلزمه طاعة سيده ومولاه، وبقاؤه في نطاق العبودية له، فإن تجاوز ما حدّ الله تعالى للإنسان من حدود لا يتجاوزها أو تجاوز قدره وقع في المعصية والتمرد على الله<sup>(٥)</sup>.

---

(١) لسان العرب: لابن منظور، (١/ ٢٣١).

(٢) المفردات: للراغب الأصفهاني (٣٠٤).

(٣) سورة الحاقة: الآية (١١).

(٤) المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى، (٢/ ٥٦٥).

(٥) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، لعبد الكريم زيدان (١٨٩).

وأعظم ما يحمل الإنسان على الطغيان؛ ما يصير عنده من مال كثير أو ما يكون له من سلطان نافذ، فالأول: هو طغيان المال، أي الطغيان الذي سببه المال، والثاني: هو طغيان السلطان أي الطغيان الذي سببه السلطة التي تكون للإنسان، وكلا النوعين من الطغيان مدمر ومهلك وفقاً لسنة الله تعالى التي لا تتخلف، ونذكر فيما يلي شيئاً عن هذين النوعين من الطغيان.

### أولاً: طغيان المال.

١ - مال قارون وسنة الله تعالى فيه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغَ فِيمَا ءَاتَاهُ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ (١).

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ قَرُونَ﴾ ، وهو: قارون بن يصهر (٢)، ﴿كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ يقول: كان من عشيرة موسى بن عمران النبي ﷺ، وهو ابن عمه لأبيه وأمه، وذلك أن قارون هو قارون بن يصهر بن قاهث، وموسى: هو موسى بن عمران بن قاهث، كذا نسبه ابن جريج (٣).

واعلم أن نص القرآن يدل على أن قارون كان من قوم موسى عليه السلام، وظاهر ذلك يدل على أنه كان ممن قد آمن به، ولا يبعد أيضاً حمله على القرابة، قال الكلبي: إنه كان

---

(١) سورة القصص: الآية (٧٦، ٧٧).

(٢) هو: قارون بن يصهر بن لاوي، خرج مع موسى منافقاً، فلم يزل على نفاقه على موسى وقومه، فأهلكه الله، كان أغنى

أهل زمانه، ينظر: مختصر تاريخ دمشق، لأبي الفضل الرويفي، (٣٤٩/٢٥)

(٣) جامع البيان، للطبري، ت: شاكر (١٩/٦١٥).

ابن عم موسى عليه السلام؛ لأنه كان قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي، وموسى بن عمران بن قاهث بن لاوي وقال محمد بن إسحاق إنه كان عم موسى عليه السلام؛ لأن موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث وقارون بن يصهر بن قاهث، ثم قيل: إنه كان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بني إسرائيل للتوراة، إلا أنه نافق كما نافق السامري<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: فتجاوز حده في الكبر والتجبر عليهم. وكان بعضهم يقول: كان بغيه عليهم زيادة شبر أخذها في طول ثيابه. وقال آخرون: كان بغيه عليهم بكثرة ماله<sup>(٢)</sup>. ومثله عند المراغي<sup>(٣)</sup> في قوله تعالى: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي تكبر وتجبر، والكنز: المال المدفون في باطن الأرض، والمراد به هنا المال المدخر<sup>(٤)</sup>.

وأما الرازي<sup>(٥)</sup> فذكر فيها وجوهاً كثيرة، فقال - رحمه الله - في قوله: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾، ففيه وجوه:

**أحدها:** أنه بغى بسبب ماله، وبغيه أنه استخف بالفقراء ولم يرع لهم حق الإيمان ولا عظمهم مع كثرة أمواله.

**والثاني:** أنه من الظلم، قيل ملكه فرعون على بني إسرائيل فظلمهم.

---

(١) مفاتيح الغيب: للرازي (١٣ / ٢٥).

(٢) جامع البيان، للطبري، ت شاكر (١٩ / ٦١٦).

(٣) هو: أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري، من العلماء تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩م، ثم كان مدرّس الشريعة الإسلامية بها، وولي نظارة بعض المدارس، وعين أستاذًا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، وتوفي بالقاهرة، له كتب، منها (الحسبة في الإسلام و الوجيز في أصول الفقه وتفسير المراغي، وغيرها، ينظر: الأعلام، للزركلي، (٢٥٨/١)، ومعجم المفسرين، لعادل نويهض، (٨٠/١).

(٤) تفسير المراغي (٢٠ / ٩١، ٩٢).

(٥) هو: محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الإمام فخر الدين الرازي القرشي البكري، الشافعي المفسر المتكلم، من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة، فريد عصره، ونسيج وحده، شهرته تغني عن إستقصاء فضائله، وكان من تلامذة محيي السنة البغوي، وتصانيفه في علم الكلام والمعقولات سائرة، وله التفسير الكبير والمحصل في أصول الفقه، وغيرها، ينظر، طبقات المفسرين العشرين: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة - القاهرة، ط: الأولى، ١٣٩٦هـ، (١١٥).



**الثالث:** بغى عليهم، أي طلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت يده.

**الرابع:** قيل أنه طغى عليهم واستطال عليهم فلم يوافقهم في أمر.

**الخامس** أيضاً: قيل أنه تجبر وتكبر عليهم وسخط عليهم.

**السادس:** بغيه عليهم أنه زاد عليهم في الثياب شبراً، وهذا يعود إلى التكبر.

**السابع:** بغيه عليهم أنه حسد هارون على الحبورة، ويروى أن موسى عليه السلام لما قطع البحر وأغرق الله تعالى فرعون جعل الحبورة لهرون، فحصلت له النبوة والحبورة وكان صاحب القربان والمذبح، وكان لموسى الرسالة، فوجد قارون من ذلك في نفسه، فقال يا موسى لك الرسالة، ولهارون الحبورة، ولست في شيء، ولا أصبر أنا على هذا، فقال موسى عليه السلام: والله ما صنعت ذلك لهارون ولكن الله جعله له، فقال والله لا أصدقك أبداً؛ حتى تأتيني بآية أعرف بها أن الله جعل ذلك لهارون، قال فأمر موسى عليه السلام رؤساء بني إسرائيل أن يجيء كل رجل منهم بعصاه، فجاءوا بها، فألقاها موسى عليه السلام في قبة له، وكان ذلك بأمر الله تعالى، فدعا ربه أن يريهم بيان ذلك، فباتوا يحرسون عصيهم فأصبحت عصا هارون تهتز لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز، فقال موسى: يا قارون أما ترى ما صنع الله لهارون! فقال والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر، فاعتزل قارون ومعه ناس كثير، وولي هارون الحبورة والمذبح والقربان، فكان بنو إسرائيل يأتون بهداياهم إلى هارون فيضعها في المذبح وتنزل النار من السماء فتأكلها، واعتزل قارون بأتباعه وكان كثير المال والتبع من بني إسرائيل، فما كان يأتي موسى عليه السلام ولا يجالسه<sup>(١)</sup>.

وخلاصة ما ذكره الطبري والمراغي والرازي وغيرهم في تفسير البغي لهذه الآية هي في

---

(١) مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥ / ١٤).

معنى التكبر والتجبر، وإن اختلف المفسرون في بيانهم لتأويل هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَأَيْنَهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾<sup>(١)</sup> يقول تعالى ذكره: وآتينا قارون من كنوز الأموال ما إن مفاتحه، وهي جمع مفتاح، وهو الذي يفتح به الأبواب، وقال بعضهم: عنى بالمفاتيح في هذا الموضع: الخزائن لتثقل العصابة<sup>(٢)</sup>. وتتوء: من ناء به الحمل ينوء: إذا أثقله حتى أماله. والعصابة: الجماعة الكثيرة يتعصب بعضهم لبعض بلا تعيين عدد خاص، والقوة: الشدة<sup>(٣)</sup>.

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾<sup>(٤)</sup> يقول: إذ قال قومه: لا تبغ ولا تبطر فرحاً، إن الله لا يحب من خلقه الأشرين البطرين. عن مجاهد، في قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾<sup>(٥)</sup> قال: المتبذخين الأشرين البطرين، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم. وقوله تعالى: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ لا تبطر بكثرة المال كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم ولا يفرح بالدنيا إلا من رضي بها واطمأن وأما من قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه يتركها عن قريب فلا يفرح بها {إن الله لا يحب الفرحين} البطرين بالمال<sup>(٦)</sup>.

وقوله: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة القصص: الآية (٧٦).

(٢) جامع البيان، للطبري ت: شاکر (١٩ / ٦١٧).

(٣) تفسير المراغي الآية (٩١، ٩٢).

(٤) سورة القصص: الآية (٧٦).

(٥) جامع البيان، للطبري، ت: شاکر (١٩ / ٦٢٢).

(٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، للنسفي (٢ / ٦٥٦).

(٧) سورة القصص: الآية (٧٧).

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل قوم قارون له: لا تبغ يا قارون على قومك بكثرة مالك، والتمس فيما آتاك الله من الأموال خيرات الآخرة، بالعمل فيها بطاعة الله في الدنيا. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْكُنْ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ يقول: ولا تترك نصيبك وحظك من الدنيا، أن تأخذ فيها بنصيبك من الآخرة، فتعمل فيه بما ينجيك غدا من عقاب الله<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ يقول: وأحسن في الدنيا إنفاق مالك الذي آتاكه الله، في وجوهه وسبله، كما أحسن الله إليك، فوسع عليك منه، وبسط لك فيها<sup>(٢)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: بالظلم والبغي<sup>(٣)</sup>. ومثل هذا القول عند الطبري: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ يقول: ولا تلتمس ما حرم الله عليك من البغي على قومك، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٧٧)</sup> يقول: إن الله لا يحب بغاة البغي والمعاصي<sup>(٤)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِن الْقُرُونِ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾<sup>(٧٨)</sup> أي: أن قارون قال لقومه الذين وعظوه: إنما أوتيت هذه الكنوز على فضل علم عندي، علمه الله مني، فرضي بذلك عني، وفضلني بهذا المال عليكم، لعلمه بفضلي عليكم<sup>(٥)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَم﴾ أي: قارون ﴿أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِن الْقُرُونِ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ هو إثبات لعلمه بأن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه

(١) جامع البيان، للطبري ت شاكر (١٩ / ٥٢٤).

(٢) المصدر السابق (١٩ / ٦٢٥).

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٢ / ٦٥٧).

(٤) جامع البيان، للطبري ت شاكر (١٩ / ٦٢٥).

(٥) سورة القصص: الآية (٧٨).

(٦) جامع البيان، للطبري ت شاكر (١٩ / ٦٢٦).

وأغنى<sup>(١)</sup>.

ويقول تعالى ذكره: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾<sup>(٢)</sup>، وهي فيما ذكر ثياب الأرجوان<sup>(٣)</sup>.  
وأما القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، يقول تعالى ذكره: فحسبنا بقارون وأهل داره. وقيل: وبداره؛ لأنه ذكر أن موسى إذ أمر الأرض أن تأخذه أمرها بأخذه، وأخذ من كان معه من جلسائه في داره، وكانوا جماعة جلوساً معه، وهم على مثل الذي هو عليه من النفاق والمؤازرة على أذى موسى. وعن سعيد بن جبير<sup>(٥)</sup>، عن ابن عباس ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ قال: قيل للأرض خذهم، فأخذتهم إلى أعقابهم؛ ثم قيل لها: خذهم، فأخذتهم إلى ركبهم؛ ثم قيل لها: خذهم، فأخذتهم إلى أحقائهم؛ ثم قيل لها: خذهم، فأخذتهم إلى أعناقهم؛ ثم قيل لها: خذهم، فحسف بهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾<sup>(٦)</sup>.

## ٢ - طغيان أصحاب الجنة.

قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٢/ ٦٥٧).

(٢) سورة القصص: الآية (٧٩).

(٣) جامع البيان، للطبري ت شاكر (١٩/ ٦٢٧).

(٤) سورة القصص: الآية (٨١).

(٥) هو: هو الإمام الجليل أبو عبد الله سعيد بن جبير بن هشام الكوفي الأسدي الوالبي، مولى لبني والبة بن الحارث من بني أسد ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس، سمع سعيد جماعات من أئمة الصحابة، منهم ابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، رضى الله عنهم، وجماعات من التابعين، وكان يقال: سعيد بن جبير جهبذ العلماء، قتله الحجاج بن يوسف صبراً ظملاً في شعبان سنة خمس وتسعين، وعمره تسعاً وأربعين سنة، ينظر: الطبقات الكبرى: لابن سعد، (٦/ ٢٦٨)، وتهذيب الأسماء واللغات: للنووي، (١/ ٢١٦).

(٦) جامع البيان، للطبري ت شاكر (١٩/ ٦٣١).

(٧) سورة القلم: الآية (١٧).

القرآن يصور حالهم، حال الندم بعد فوات الأوان، وكيف أنَّهم أقبل بعضهم على بعض يتلاومون، كل منهم يلوم الآخر، ويدّعي أنه السبب فيما كان منهم وما وقع بهم، ثم اعترفوا بطغيانهم كما اعترفوا بظلمهم: ﴿قَالُوايَرْبُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٢١) ﴿وَكَمْ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿يَرْبُنَا﴾ من تحسر وندم، ودعوا الله أن يبدلهم خيراً من جنتهم؛ لأنهم تابوا إليه ورغبوا في ثوابه وفضله، وقد قَبِلَ الله توبتهم، وأبدلهم خيراً منها، وروي أنهم تعاقدوا وقالوا: إن أبدلنا الله خيراً منها لنصنعنَّ كما صنع أبونا، فدعوا الله - عز وجل - وتضرعوا إليه سبحانه، فأبدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير منها<sup>(١)</sup>.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ﴾، بلونا هم امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع وغيرهما من ألوان البلاء والآفات، أي عاملناهم معاملة المختبر. الجنة: البستان، كان دون صنعاء بفرسخين، وكان لرجل صالح، ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل وألقته الريح، أو بعد عن البساط الذي يبسط تحت النخلة، فيجتمع لهم شيء كثير، فلما مات قال بنوه: إن فعلنا ما كان يفعل أبونا، ضاق علينا، فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين<sup>(٢)</sup>.

ليصر منها: أي ليقطعن ثمار نخيلها، مصبحين: أي وقت الصباح، ولا يستثنون: أي ولا يثنون عما هموا به من منع المساكين، فطاف عليها طائف من ربك: أي طرقها طارق من عذاب ربك، إذ أرسل عليها صاعقة من السماء أحرقتها، كالصريم: أي كالليل البهيم في السواد بعد أن احترقت<sup>(٣)</sup>.

---

(١) التفسير الموضوعي ٢- جامعة المدينة، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية، ص، (٢٩٧).

(٢) التفسير المنير للزحيلي (٥٧/٢٩).

(٣) تفسير المراغي (٣٤/٢٩).

فتنادوا: نادى بعضهم بعضاً، أن اغدوا اخرجوا في الغدوة مبكرين. على حرثكم بساتنكم أو غلتكم. إن كنتم صارمين مريدين قطع ثماره، وجواب الشرط دل عليه ما قبله. يتخافتون يتسارون فيما بينهم ويتناجون حتى لا يسمعون أحد. اغدوا ساروا غدوة إلى حرثهم. على حرد أي على منع للفقراء، وقيل: الحرد: القصد والسرعة. قادرين على الصرم في ظنهم<sup>(١)</sup>.

فانطلقوا وهم يتخافتون: أي يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافة والمناجاة حتى لا يسمعون أحد، على حرد: أي على منع، لصالون: أي قد ضللنا طريق جنتنا وما هذه هي، محرومون: أي حرمانا خيرها بجنائتنا على أنفسنا، أوسطهم: أي أرجحهم رأياً، تسبحون: أي تذكرون الله وتشكرونه على ما أنعم به عليكم، يتلاومون: أي يلوم بعضهم بعضاً على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين، طاغين: أي متجاوزين حدود الله<sup>(٢)</sup>.

فلما رأوها رأوا الجنة سوداء محترقة. لصالون تائهون عنها، أي ليست هذه. محرومون ممنوعون ثمرتها بمنعنا الفقراء منها. قال أوسطهم خيرهم وأرجحهم رأياً. تسبحون هلا تذكرون الله وتستغفرونه من فعلكم وتتوبون إليه من خبث نيتكم. إنا كنا ظالمين بمنع الفقراء حقهم. يتلاومون يلوم بعضهم بعضاً على قصدهم وإصرارهم على منع المساكين. يا ويلنا يا هلاكنا، ويا: للتنبيه. طاغين متجاوزين حدود الله. أن يبدلنا خيراً منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة، وقد روي أنهم بدلوا خيراً منها. إلى ربنا راغبون طالبون منه العفو والخير. كذلك العذاب أي مثل ذلك العذاب لهؤلاء أصحاب الجنة عذاب الدنيا. العذاب لمن خالف أمرنا من أهل مكة وغيرهم. أكبر أعظم منه. لو كانوا يعلمون أي لو علموا عذابها لاحترزوا عما يؤديهم إلى العذاب<sup>(٣)</sup>.

---

(١) التفسير المنير للزحيلي (٥٧/٢٩).

(٢) تفسير المراغي (٣٤/٢٩).

(٣) التفسير المنير للزحيلي (٥٨/٢٩).

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا يُبَيِّنُ لَنَا إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾<sup>(١)</sup> أي عاصين بمنع حق المساكين<sup>(٢)</sup>. وقال ابن كيسان<sup>(٣)</sup>: طغينا نعم الله فلم نشكرها كما شكرها آباؤنا من قبل<sup>(٤)</sup>. وقال السمرقندي: يعني: عاصين بمنعنا المساكين<sup>(٥)</sup>. وقال أبو السعود: متجاوزين حدود الله<sup>(٦)</sup>. وقال الشوكاني: ثم نادوا على أنفسهم بالويل حيث قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين أي: عاصين متجاوزين حدود الله بمنع الفقراء وترك الاستثناء، ثم رجعوا إلى الله وسألوه أن يعوضهم بخير منها<sup>(٧)</sup>.

وبين هذا المشهد وسابقه ترى مسافة يملؤها الفكر؛ ليقول: بأن هؤلاء الأبناء بعد أن قام كل منهم مبكراً ينادي إخوته؛ ليخرجوا جميعاً مبكرين، ثم انطلقوا بجمعهم يتكلمون بصوتٍ خفيض حتى لا يلفتوا إليهم الأنظار، ويؤكدون ما بيتوه ليلاً من حرمان المساكين، وأنهم صاروا يظنون -لجهلهم- أنهم قادرون على الاستحواذ على ثمار جنتهم، والانفراد بها وحدهم، دون أن يعطوا منها فقيراً شيئاً، فساروا حتى وصلوا إلى حديقتهم؛ فماذا كان؟. القرآن يعبر عن ذلك بهذه الكلمات، التي تحمل الأسى والحزن، وتصور الدهشة التي

(١) سورة القلم: الآية (٣١).

(٢) بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٤٨٤).

(٣) هو: أبو بكر الأصم عبد الرحمن بن كيسان، فقيه معتزلي مفسر، كان من أفصح الناس وأفقههم وأورعهم، خلا أنه كان يخطئ علياً عليه السلام في كثير من أفعاله ويصوب معاوية في بعض أفعاله، وله كتب في تفسير والأصول، ومناظرات مع ابن الهذيل العلاف قال ابن حجر: هو من طبقة ابن الهذيل وأقدم منه، و كان جليل القدر يكاثره السلطان، (ت: نحو، ٢٢٥) ينظر: لسان الميزان: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: دار البشائر الإسلامية، ط: الأولى، ٢٠٠٢ م، (٩/ ٢٣٢)، والأعلام، للزركلي، (٣/ ٣٢٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٨/ ٢٤٥).

(٥) بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٤٨٤).

(٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٩/ ١٦).

(٧) فتح القدير، للشوكاني (٥/ ٣٢٥).

اعترت هؤلاء الأبناء، فهي تذكر أنهم بمجرد أن وصلوا ورأوها أنكروا أنفسهم، ومن شدة المفاجأة قالوا: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ (٢٦) ﴿١﴾ أي: إنا سلطنا طريقاً آخر أدّى بنا إلى بستان آخر محترق ليس به ثمر، وبستاننا كان وارف الظلال مثقلاً بالثمار، ثم أفاقوا من دهشتهم، وتيقنوا أن هذه جنتهم فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ (٢٧) ﴿٢﴾ أي: إن الله حرّمنا من ثمار جنتنا، بل حرّمنا من بقاء أشجارها؛ لأننا عقدنا النية على حرمان المساكين (٣).

وكم في كلمة الحرمان من تعبير عن الأسى والحزن والألم، وكأنها تصورهم والكآبة قد علت وجوههم، والألم يعتصر قلوبهم، وفي هذا المشهد ترى واحداً منهم يقف يلومهم أن لم يستجيبوا لنصحه، وهو أخ لهم كما قال ربنا: أوسطهم، أي أرجحهم عقلاً وأصوبهم رأياً، أو أوسطهم سنّاً، قال لهم: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسْتَحْونَ﴾ (٢٨) ﴿٤﴾ فهو يذكرهم بنصيحته لهم حين كانوا مجتمعين للتشاور في كيفية الحصول على ما في جنتهم كاملاً، دون أن يعطوا الفقراء منها شيئاً، ولم يقولوا إن شاء الله، ظناً منهم أنهم بتدبيرهم سوف يحققون مطلبهم، وأنه لا مجال لمشية الله في ذلك، أو يذكرهم هذا الأخ بما طلبه منهم من التوبة والرجوع عن هذه الخطة الفاسدة، فلم يستجيبوا لنصحه، فاعترفوا بذنبهم قائلين: ﴿سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٢٩) ﴿٥﴾ والقرآن يذكر أن البلاء قد وقع بهم جميعاً؛ لأن هذا الأخ مع نصيحته لهم لم يتركهم يذهبون ولم يتخل عنهم ولم يتخلف، إنما سار معهم حيث ساروا، فوقع البلاء بهم جميعاً، مما يدعونا إلى أن نوجّه النصح لمن يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، أن يحذروا من موافقة أهل المعاصي والظالمين والطاغين.

وهكذا تجري سنة الله في البطرين الطاغين، إهلاك زروعهم وثمارهم، فليس عقاب

(١) سورة القلم: الآية (٢٦).

(٢) سورة القلم: الآية (٢٧).

(٣) التفسير الموضوعي ٢ - جامعة المدينة، ص، (٢٩٦).

(٤) سورة القلم: الآية (٢٨).

(٥) سورة القلم: الآية (٢٩).



البطرين واحداً فقد يكون بالخوف والجوع ، وقد يكون بتخريب بيوتهم وإهلاكهم، وقد يكون بإهلاك زروعهم وثمارهم كما ذكرنا، وقد تجتمع هذه الجزاءات عليهم فيعاقبوا بالخوف والجوع، ثم بإهلاك الزروع والثمار، ثم بتخريب بيوتهم وتدميرهم، وقد يحل بهم جزاء واحد فيتوبوا، والله الحكمة البالغة يفعل ما يشاء.

وإذا ما قرأنا في كتاب الله هذه القصة قصة أصحاب الجنة، لا بُدَّ أن نقول للآخرين: اعتبروا أيها الناس بما آل إليه حال أصحاب الجنة، ولا تحرموا الفقراء والمساكين، فلهم في أموالكم حق معلوم، كما يجب أن ننّبّه إلى قيمة العلم والعلماء في بناء الأمم، وأنّ هذا الدين قد بدأ رحلته لبناء الأمة المتعلمة، التي تزخر بالعلم والعلماء من أول لحظة نزل فيها القرآن، كما رأينا في مطلع سورة "العلق" في قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ (١) وكما رأينا في هذه السورة المباركة؛ حيث أقسم الله في مطلعها بالقلم وما يسطرون. فيجب أن نعود لنبني أمتنا على العلم النافع المرتبط بالإيمان الصحيح، وبالأخلاق الكريمة، التي تسلم رسول الله ﷺ ذراها، وسعد بشهادة الحق في قوله -عز من قائل-: ﴿وَأَنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٢) (٣).

### النوع الثاني: طغيان فرعون وسنة الله تعالى فيه.

والنموذج للطغيان في الأرض، طغيان فرعون عليه اللعنة، الذي كان من مظاهر تجاوزه حدّه وقدرة تكبره على الخالق حتى ادعى لنفسه الربوبية، وتكبره على خلق الله حتى استعبدهم وظلمهم وغمطهم حقوقهم، وقد كرر الله تعالى قصة فرعون في آيات كثيرة للاعتبار والاتعاظ لحاجة الناس إلى الاعتبار بقصة هذا الطاغية وما حلّ به عقاباً لطغيانه، لكثرة ما يبتلى البشر بطغيان السلطة، ومن جملة ما ورد في القرآن الكريم على فرعون وطغيانه قوله تعالى:

---

(١) سورة العلق: الآية (١، ٢).

(٢) سورة القلم: الآية (٤).

(٣) التفسير الموضوعي ٢- جامعة المدينة، ص، (٢٩٨).

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الإمام الرازي في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾، قال بعض المفسرين معناه: أنه تكبر على الله وكفر به. وقال آخرون: إنه طغى على بني إسرائيل. والأولى عندي الجمع بين الأمرين، فالمعنى أنه طغى على الخالق بأن كفر به وطغى على الخلق بأن تكبر عليهم واستعبدتهم<sup>(٢)</sup>. وقد يصل طغيان السلطة بالإنسان إلى حد ادّعاء الربوبية لنفسه إما بلسان الحال وإما بلسان المقال كما فعل فرعون ، قال تعالى حكاية عما ادّعاه فرعون لنفسه : ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾<sup>(٣)</sup>.

وما تعنيه دعوى الربوبية في هذه الآيات، هو أن فرعون ادّعى الربوبية لنفسه فبلغ ذروة الطغيان والكفر ، وهذه الدعوى الباطلة لنفسه (أنه يجب على من تحت يده طاعته والانقياد له وعدم الاشتغال بطاعة غيره)<sup>(٤)</sup> ، وقال الرازي فيما تعنيه هذه الدعوى التي أطلقها لنفسه (أي فأنا ربكم بمعنى مربيكم والمحسن إليكم وليس للعالم إله حتى يكون له عليكم أمر ونهي ، فليس لأحد عليكم أمر ولا نهي إلا لي)<sup>(٥)</sup>.

وواضح من أقوال المفسرين في الآيات التي ذكرناها في الفقرة السابقة أن سنة الله في الطغاة إنزال العقاب فيهم في الدنيا، فهي سنة ماضية لا تتخلف، جرت على الطغاة السابقين، وستجري على الحاضرين والقادمين، فلن يفلت أحد منهم من عقاب الله في الدنيا كما لا يفلت أحد منهم من عقاب الآخرة.

(١) سورة النازعات: الآية (١٥ - ١٧).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (٣٩/٣١).

(٣) النازعات: الآية (٢٣ ، ٢٤).

(٤) روح المعاني، للألويسي (٢٠٣/١٦).

(٥) مفاتيح الغيب، للرازي (٤٢/٣١).

## المطلب الثالث

### النفاق وسنة الله تعالى في أهله

#### النفاق في اللغة:

هو مأخوذ من النفق، وهو السرب في الأرض الذي يستتر فيه؛ سمي النفاق بذلك؛ لأن المنافق يستتر كفره ويغيبه.

وقيل إنه مأخوذ من نافقاء اليربوع، وهو باب جحره؛ لأنه في ظاهره أرض مستوية وباطنه حفرة قد أعدها اليربوع للتخلص من الخطر وقت الحاجة؛ فاستطاع بهذا الفعل أن يخدع الصياد؛ فكذاك المنافق يظهر خلاف ما يبطن<sup>(١)</sup>.

#### النفاق في الاصطلاح:

هو إظهار الإسلام والخير، وإبطال الكفر والشر. وهو مخالفة الباطن للظاهر، وإظهار القول باللسان، أو الفعل؛ بخلاف ما في القلب من الاعتقاد، أي: هو إظهار متابعة ما جاء به الرسول ﷺ مع إباطه وجحده بالقلب، فهو مظهر للإيمان ومبطن للكفر.

والمنافق: يخالف قوله فعله، وسره علانيته؛ فهو يدخل الإسلام من باب، ويخرج من باب آخر، ويدخل في الإيمان ظاهراً، ويخرج منه باطناً<sup>(٢)</sup>، والنفاق: هو مصطلح شرعي لم تعرفه العرب بهذا المعنى الخاص، وإن كان أصله الذي أخذ منه في اللغة معروفاً<sup>(٣)</sup>.

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، (١٠/ ٣٥٨). تاج العروس، للحسيني، (١٣/ ٤٦٣). و معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ٤٥٤).

(٢) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة: لعبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم: الدكتور عبد الرحمن بن صالح، الناشر: مدار الوطن للنشر، الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م، ص (٢٥٤).

(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور، (١٠/ ٣٥٩)، والإيمان: لابن تيمية، ص (٢٨٤).

## والنفاق في الشرع نوعان:

النفاق كالكفر والشرك والفسق - درجات ومراتب؛ منها ما هو مخرج من الإسلام، ومنها غير مخرج منه:

أولاً: النفاق الأكبر؛ المخرج من الملة، والموجب للخلود في الدرك الأسفل من النار: هو إبطان الكفر في القلب، وإظهار الإيمان على اللسان والجوارح، ويترتب على هذا النوع ما يترتب على الكفر الأكبر؛ من حيث انتفاء الإيمان عن صاحبه، وخلوده في جهنم<sup>(١)</sup>.

ثانياً: النفاق الأصغر؛ غير المخرج من الملة:

هو النفاق العملي، واختلاف السر والعلانية في الواجبات، وذلك بعمل شيء من أعمال المنافقين؛ مع بقاء أصل الإيمان في القلب وصاحبه لا يخرج من الملة، ولا ينفي عنه مطلق الإيمان، ولا مسمى الإسلام، وهو معرض للعذاب كسائر المعاصي، دون الخلود في النار<sup>(٢)</sup>. والنفاق: إذا أطلق ذكره في القرآن؛ فإن المراد به النفاق الأكبر المنافي للإيمان؛ بخلاف الكفر فإنه يأتي - أحياناً - بمعنى الكفر الأصغر، وكذلك الظلم والفسق والشرك، أما في السنة فقد ورد النفاق الأصغر<sup>(٣)</sup>.

ومن أمثلة النفاق الأكبر المذكورة في القرآن الكريم وسنة الله تعالى الربانية فيهم مثل:

١ - الأخنس بن شريق<sup>(٤)</sup>.

---

(١) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، للأثري، ص، (٢٥٧).

(٢) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة: للأثري، ص، (٢٥٩).

(٣) المصدر السابق، ص، (٢٥٨).

(٤) هو: أبي بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج، واسمه عمير بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن ثقيف، وكان اسمه أبيًا، فلما أشار على بني زهرة بن كلاب بالرجوع إلى مكة حين توجهوا بالنفير إلى بدر ليمنعوا العير فقبلوا منه فرجعوا، فقبل خنس بهم، فسمي الأخنس يومئذ، ينظر: الجزء المتمم لطبقات ابن سعد [الطبقة الرابعة من الصحابة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك]، تحقيق ودراسة: الدكتور / عبد العزيز السلومي: مكتبة الصديق - الطائف، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦ هـ (٢٩٣)، وأسد الغابة، لابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م (١/١٨١).

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ (١). أرشدت هذه الآيات إلى أن فريق المنافقين شأنه الإفساد والتدمير والتخريب من الباطن، وهو لا يتقي الله، ولا يخافه ولا يخشاه، فحق له من الله تعالى العذاب في جهنم، فهي مأواه وبئس المصير (٢).

نزلت الآية في الأخنس بن شريق حليف بني زهرة فإنه أتى النبي عليه السلام وقال: "إني أحبك، وأريد أن أؤمن بك، والله يعلم ما في قلبي، وكان يبطن بغضه، وكان عليه السلام يعجبه قوله (ويسر به) فنزلت الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٢٠٤) (٣) يعني في العلانية (٤).

وقد كان هذا الأخنس حليف لبني زهرة فأقبل إلى النبي ﷺ، بالمدينة، فأظهر له الإسلام، فأعجب النبي ﷺ، ذلك منه، وقال: إنما جئت أريد الإسلام، والله يعلم أنني صادق؛ وذلك قوله: ﴿وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ (٥)، ثم خرج من عنده ﷺ، فمر بزرع لقوم من المسلمين وحرمر، فأحرق الزرع وعقر الحرمر (٥)، وورد هذا في أكثر كتب التفسير (٦). والأخنس كان رجلاً حسن المنظر، حلو المنطق، كان يوالي رسول الله ﷺ، ويدعي

(١) سورة البقرة: الآية (٢٠٤ - ٢٠٦).

(٢) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٢/٢٣٠).

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٠٤).

(٤) تفسير القرآن: للسمعاني، (١/٢٠٧).

(٥) جامع البيان، للطبري، ت، شاكر (٤/٢٢٩).

(٦) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: لأبي بكر الجزائري، (١/١٨٥)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: لأبي

العباس الأنجري، (١/٢٣٣).

الإسلام، ثم ارتد (١).

واسمه أبي، والأخنس لقب لقب به؛ لأنه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من حلفائه من بني زهرة عن قتال رسول الله ﷺ (٢).

وأما بيان تفسير الآيات ففي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ (٣)، يعني: الأخنس بن شريق، وكان منافقاً حلو الكلام حسن العلانية سيئ السريرة. وقوله ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؛ لأن قوله إنما يعجب الناس في الحياة الدنيا ولا ثواب له عليه في الآخرة. وقوله تعالى: ﴿وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾؛ لأنه كان يقول للنبي - ﷺ -: "والله إني بك لمؤمن ولك محب" ﴿وَهُوَ الَّذِي الْخَصَامُ﴾، أي: شديد الخصومة وكان جدلاً بالباطل. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ﴾ (٤)، الآية وذلك أنه رجع إلى مكة فمر بزرع وحمير للمسلمين فأحرق الزرع وعقر الحمير، فهو قوله: ﴿وَيُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾، أي: نسل الدواب. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ (٥)، وإذا قيل له: مهلاً مهلاً ﴿أَخَذَتُ الْعِزَّةَ بِالْإِثْمِ﴾، حملته الأنفة وحمية الجاهلية على الفعل بالإثم ﴿فَحَسْبُ جَهَنَّمَ﴾، كافيه الجحيم جزاءً له، ﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (٦)، ولبئس المقر جهنم (٦).

والخلاصة- إن هذا الفريق يركن في خداعه للناس إلى أمور ثلاثة:

(١) حسن القول بحيث يعجب السامع ويملك لبه، بحيث لا يتهمه في صدقه.

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس الأنجري، (١/ ٢٣٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣/ ١٤).

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٠٤).

(٤) سورة البقرة: الآية (٢٠٥).

(٥) سورة البقرة: الآية (٢٠٤ - ٢٠٦).

(٦) الوجيز للواحدي، ص، (١٥٩).

(٢) إشهد الله تعالى على صدقه وحسن قصده.

(٣) قوة المعارضة في الجدل عند محاجة المنكر أو المعارض.

ومثل هذا الفريق يوجد في كل أمة وكل عصر وإن اختلفت حاله باختلاف العصور، فحينما ترى الواحد لا يغش بزخرف قوله إلا فرداً أو أفراداً معدودين وحيناً يتسنى له أن يخدع أمة وينكل بها تنكيلاً، فترى الجرائد في عصرنا قد تكون سبيلاً للغش، كما تكون أحياناً طريقاً للنصح وإرشاد الأمة إلى ما فيه خيرها وفلاحها<sup>(١)</sup>.

وورد في تفسير المنير عن علماء المالكية قولهم: أن هذه الآيات دليل وتنبيه على الاحتياط في أمور الدين والدنيا، واستبراء أحوال الشهود والقضاة، وأن الحاكم لا يعمل على ظاهر أحوال الناس وما يبدو من إيمانهم وصلاحهم، حتى يبحث عن باطنهم؛ لأن الله تعالى بين أحوال الناس، وأن منهم من يظهر قولاً جميلاً، وهو ينوي قبيحاً<sup>(٢)</sup>.

ومن خلال هذا العرض لحادثة الأخنس ابن شريق تتجلى سنة الله تعالى الربانية في مثل هؤلاء المنافقين، وكيف هتك الله - سبحانه وتعالى - أستارهم، وكشف أسرارهم في القرآن، وجلى لعباده أمورهم؛ ليكونوا منها ومن أهلها على حذر.

٢ - أصحاب الإفك وسنة الله تعالى فيهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

هذه الآية وما بعدها التي برأ الله فيها عائشة - رضي الله عنها - مما رماها به أهل الإفك والبهتان من المنافقين، غيرة من الله تعالى لها، وصونا لعرض نبيه ﷺ، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ

(١) تفسير المراغي (٢/ ١١٠).

(٢) التفسير المنير، للزحيلي (٢/ ٢٢٩).

(٣) سورة النور: الآية (١١).

الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ ﴿١١﴾، أي إن الذين أتوا بالإفك وهو أبلغ الكذب والافتراء جماعة منكم، لا واحد ولا اثنان، أي ما أفك به على عائشة، بزعم زعيم المنافقين عبد الله بن أبي، فإنه هو الذي اختلق هذا الكذب، وتواطأ مع جماعة صغيرة، فأصبحوا يروجونه ويذيعونه بين الناس، حتى دخل في أذهان بعض المسلمين، فتكلموا به، وبقي شيوخ الخبر قريباً من شهر، حتى نزل القرآن، وفي التعبير بعصبة إشارة إلى أنهم فئة قليلة. وقوله تعالى: ﴿مِّنْكُمْ﴾ أي منكم أيها المؤمنون؛ لأن عبد الله كان من جملة من حكم له بالإيمان ظاهراً<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، أي لا تظنوا أن فيه فتنة وشرّاً، بل هو خير لكم؛ لاكتسابكم به الثواب العظيم؛ لأنه كان بلاء مبيناً ومحنة ظاهرة، وإظهار كرامتكم على الله بإنزال قرآن يتلى مدى الدهر في براءتكم وتعظيم شأنكم، وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيراً، إلى نحو ذلك من الفوائد الدينية والآداب التي لا تخفى على من تأملها<sup>(٢)</sup>.

ثم ذكر عقاب من اجترحوه - كل منهم بقدر ما خاض فيه فقال: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾، لكل واحد تكلم في هذه القضية ورمى أم المؤمنين عائشة بالفاحشة نصيب من عذاب عظيم بقدر ما خاض فيه، أو عقاب ما اكتسب. ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(١١)</sup>، أي والذي تحمل معظم ذلك الإثم منهم، وهو في رأي الأكثرين عبد الله بن أبي، له عذاب عظيم في الدنيا والآخرة، فإنه أول من اختلق هذا الخبر، أو أنه كان يجمعه ويستوشيه ويذيعه ويشيعه، فمعظم الشر كان منه، أما عذابه في الدنيا فبإظهار نفاقه ونبذه

(١) سورة النور: الآية (١١).

(٢) التفسير المنير، للزحيلي (١٨ / ١٧٧، ١٧٨).

(٣) تفسير المراغي (١٨ / ٨٣).



من المجتمع، وأما في الآخرة فهو في الدرك الأسفل من النار<sup>(١)</sup>.

وقال الضحاك<sup>(٢)</sup>: "الذي تولى كبره حسان ومسطح فجلدهما - ﷺ - حين أنزل الله عذرها، وجلد معها امرأة من قريش، وإنما أضاف الكبر إليه؛ لأنه ابتداءً بذلك القول، لاجرم حصل له من العقاب مثل ما حصل لكل من قال ذلك، لقوله عليه الصلاة والسلام: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، فعمل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء»<sup>(٣)(٤)</sup>.

وهذه الآيات فيها جملة من الآداب والزواجر، أرشدت إليها قصة الإفك، وهي تربية عالية للمجتمع، وصون لأخلاقه من التردي والانحدار، ونبذ للعادات السيئة في إشاعة الأخبار دون علم ولا تثبت<sup>(٥)</sup>، وهي كذلك سنة إلهية، يفضح الله بها أسرار وخفايا المنافقين الذين كانوا وراء هذه الحادثة وعلى رأسهم ابن أبي.

وقد عاتب الله أهل الإيمان به فيما وقع في أنفسهم من إرجاف من أرجف في أمر عائشة وزجرهم بتسعة أمور:

---

(١) التفسير المنير، للزحيلي (١٨/ ١٧٧، ١٧٨).

(٢) هو أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي البلخي، مفسر، ومؤدب الأطفال، لقي جماعة من التابعين، ولم يشافه أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، ويقال كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي، وكان يطوف عليهم على حمار، توفي بخراسان سنة (١٠٥هـ). له كتاب في (التفسير) ينظر، الثقات: لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، (ت: ٣٥٤هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط: الأولى، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، وميزان الاعتدال، (٢/ ٣٢٥)، والأعلام للزركلي، (٣/ ٢١٥).

(٣) أخرجه مسلم، ح، رقم (١٠١٧) (٤/ ٢٠٥٩)، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، من حديث جرير بن عبد الله .

(٤) تفسير المراغي (١٨/ ٨٤).

(٥) التفسير المنير للزحيلي (١٨/ ١٥٨).

(١) ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ (١٢) ﴿١﴾،

"أي: هلا إذ سمعتم ما قال أهل الإفك في عائشة ظننتم بمن اتهم بذلك خيرا؛ لأن الإيمان يحملك على إحسان الظن، ويكفكم عن إساءتكم أنفسكم أي أمثالكم من المؤمنين الذين هم كأنفسكم كما قال ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾" (٢)، وقال ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾" (٣)، وهلا قلتم حينئذ: هذا كذب ظاهر مكشوف؟ فإن الذي وقع لم يكن فيه ما يرتاب منه - ذاك أن مجيء أم المؤمنين راكبة جهرة على راحلة صفوان (٤) وقت الظهيرة والجيش أجمعه يشاهد ذلك، ورسول الله بين أظهرهم ينفي كل شك، وإنما قيل ما قيل لحسد في القلوب كامن، وبغض في النفس مكتوم" (٥).

ثم علل سبحانه كذب الآفكين ووبخهم على ما اختلقوه وأذاعوه بقوله:

(٢) ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ (٦)، أي هلا جاء الخائضون في الإفك بأربعة شهداء يشهدون على ثبوت ما قالوا وما رموها به. ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (٧) ﴿١٣﴾، أي فحين لم يقيموا بينة على ما قالوا فأولئك المفسدون هم الكاذبون في حكم الله وشرعه.

(١) سورة النور: الآية (١٢).

(٢) سورة الحجرات: الآية (١١).

(٣) سورة النور: الآية (٦١).

(٤) هو: صفوان بن المعطل بن ربيعة، بالتصغير، ابن خزاعي بلفظ النسب، ابن محارب بن مرة بن فالح بن نكوان السلمي ثم الذكواني، و يكنى أبا عمرو، سكن المدينة، وشهد صفوان الخندق ومشاهدة المريسيع، وقوله ﷺ: «ما علمت عليه إلا خيرا»، وقيل أن سعد بن عبادة كفن صفوان حلة فقال: ﷺ «كساه الله من حلل الجنة»، قتل صفوان في خلافة عمر في غزاة أرمينية شهيدا سنة تسع عشرة، ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، (٣/٣٥٦)

(٥) تفسير المراغي (١٨/٨٤).

(٦) سورة النور: الآية (١٣).

(٧) سورة النور: الآية (١٣).

(٣) ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١)،

أي ولولا تفضله سبحانه عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من أجلها الإمهال للتوبة، ورحمته في الآخرة بالعفو بعد التوبة - لعجل لكم العقاب في الدنيا من جراء ما خضتم فيه من حديث الإفك والبهتان (٢).

ثم بين سبحانه وقت حلول العذاب الذي كانوا يستحقونه لولا الفضل والرحمة بقوله:

(٤) ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾

(٣) ﴿١٥﴾ أي ولولا تفضله ورحمته لمسكم ذلك العذاب وقت تلقىكم ما أفضتم فيه من الإفك وأخذ بعضكم إياه من بعض بالسؤال عنه، وقولكم قولاً بالأفواه دون أن يكون له منشأ في القلوب يؤيده، وظنكم إياه هيناً سهلاً لا يعاب به، وهو من العظام والكبائر عند الله (٤).

وخلاصة ذلك - إنه وصفهم بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها:

أ - تلقى الإفك بالأسنة، فقد كان الرجل يلقي أخاه فيقول له ما وراءك، فيحدثه حديث الإفك حتى شاع وانتشر حتى لم يبق بيت ولا نادٍ إلا طار فيه، فهم قد فعلوا جهد المستطاع في نشره.

ب - إنه قول بلا روية ولا فكر، فهو قول باللسان لا يترجم عما في القلب، إذ ليس هناك علم يؤيده ولا قرائن أحوال وشواهد تصدقه.

ج - استصغار ذلك وحسبانه مما لا يؤبه له، وهو عند الله عظيم الوزر، مستحق لشديد

---

(١) سورة النور: الآية (١٤).

(٢) تفسير المراغي (١٨ / ٨٤).

(٣) سورة النور: الآية (١٥).

(٤) تفسير المراغي (١٨ / ٨٥).

العقوبة<sup>(١)</sup>.

(٥) ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا مُبْتَنًى عَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>،

أي: وهلا حين سمعتموه ممن بدأ به وانتحله أو ممن تابعه في القول - قلتم تكذيباً له وتهويلاً لشأن ما ارتكبه من الجرم: لا يحل لنا أن نتكلم بهذا ولا ينبغي لنا أن نتفوه به سبحانه رب - هذا كذب صراح يحير السامعين، أمره، لما فيه من جرأة على بيت كريم شهير بالعفاف والطهر، ولما فيه من مس عرض ذلك البيت المقدس، بيت النبوة الذي هو في الذروة العليا من الإجلال والاحترام وعظيم المكانة، وإذا جاز الخوض فيه على هذه الشاكلة فماذا يبقى للمؤمنين بعدئذ؟ أفليس هؤلاء هم الأسوة الحسنة، وينبوع الطهر، ومنهم يقتبس المؤمنون فضائل الدين، وشريف الأخلاق؟ وإنا لنبرأ إليك ربنا منه وأن تلوكه ألسنتنا، وأن يحمل الهواء تلك النبرات الصوتية لتصل إلى أسماعنا، كما نبرأ إليك ربنا من كل أفاك أثيم سولت له نفسه أن يكون الوسيلة في انتشار هذا القول الكاذب بين المؤمنين<sup>(٣)</sup>.

خلاصة تنزه ربنا أن يرضى بظلم هؤلاء القاذفين، وألا يعاقبهم على عظيم ما ارتكبوا، وكبير ما اجترحوا من الإثم والفسوق، وأن توسم زوج نبيه بالفجور، والعقل والدين يمتنعان الخوض في مثل هذا؛ لأن فيه إيذاء للنبي - ﷺ - والله يقول ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾<sup>(٤)</sup>؛ ولأن فيه إشاعة الفاحشة التي أمر الله بسترها؛ ولأن في إظهار محاسن الناس وترك معائبهم.

(١) التفسير المنير، للزحيلي (١٨ / ١٨٠).

(٢) سورة النور: الآية (١٦).

(٣) تفسير المراغي (١٨ / ٨٥).

(٤) سورة الأحزاب: الآية (٥٧).

(٦) ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١)، "أي: يعظكم الله بهذه

المواعظ التي بها تعرفون عظم هذا الذنب، وكبر هذا الجرم، وأن فيه النكال والعقاب بالحد في الدنيا، والعذاب في الآخرة، كي لا تعودوا لمثله أبداً إن كنتم من أهل الإيمان تتعظون بعظات الله، وتأتَمرون بأمره، وتنتهون عما نهاكم عنه" (٢).

(٧) نيل عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة لمن خاض في مثل هذا الأمر، معنى ذلك:

"إن الذين يشيعون الفاحشة عن قصد وإرادة ومحبة لها، وإن الذين يرغبون في إشاعة الفواحش وانتشار أخبار الزنى في أوساط المؤمنين، لهم عذاب مؤلم في الدنيا وهو حد القذف، وفي الآخرة بعذاب النار، والله يعلم بحقائق الأمور، ولا يخفى عليه شيء، ويعلم ما في القلوب من الأسرار، فردوا الأمر إليه ترشدوا، وأنتم بسبب نقص العلم والإحاطة بالأشياء والاعتماد على القرائن والأمارات لا تعملون تلك الحقائق، وورد عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم، ولا تطلبوا عوراتهم، فإنه من طلب عورة أخيه المسلم، طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته» (٣).

وهذا التأديب التربوي له مغزاه العميق، فإن شيوع الفاحشة في مجتمع يجرى الناس على الإقدام عليها، ويجعلهم يستسهلون الوقوع فيها. والآية تدل على أن مجرد حب إشاعة الفاحشة كاف في إلحاق العذاب، فالذين يشيعونها فعلاً أشد جرماً وإثماً وتعرضاً للعقاب. ومنشأ حب إشاعة الفاحشة هو الحقد والكراهية والاستعلاء على الناس وحسدهم على ما يتمتعون به من تماسك واستقرار ومحبة ووثام، فيعمل الحاقد الكاره الحاسد كابن أبي على تقويض أركان هذا المجتمع، والغض من كرامته، والنيل من عرضه وسمعته، ظناً منه أن هذا

(١) سورة النور: الآية (١٧).

(٢) تفسير المراغي (١٨ / ٨٦).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، الرسالة، ح، رقم (٢٢٤٠٢) (٨٨/٣٧)، صحيح لغيره وإسناده حسن، من حديث ثوبان ؓ.

شرف له" (١).

(٨) فضل الله تعالى ورحمته أي: "لولا الفضل الإلهي والرحمة لكان أمر آخر، والجواب المحذوف هو: لهلكتم أو لعذبكم الله واستأصلكم، ولكنه تعالى رؤف بعباده، رحيم بهم، فتاب على التائبين من هذه القضية، وأرشد إلى ما فيه الخير، وهدى إلى الطريق الأقوم، وحذر من مغبة الاستمرار في وجهة الانحراف، وبين خطر هذا الفعل الشنيع وهو الطعن بعرض بيت النبوة، فله الحمد والمنة؛ لذا حذر في الآية الآتية من اتباع وساوس الشيطان.

(٩) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ﴾ (٢)، أي يا أيها المؤمنون المصدقون بالله ورسوله لا تسيروا في طرائق الشيطان ومسالكه، ولا تسمعوا لوساوسه وتأثيراته وما يأمر به، في الإصغاء إلى الإفك والتلقي له، وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، فإن من يتبع وساوس الشيطان ويقتفي آثاره خاب وخسر؛ لأنه - أي الشيطان - لا يأمر إلا بالفحشاء (ما أفرط قبحه) والمنكر (ما أنكره الشرع وحرمه وقبحه العقل ونفر منه) فلا يصح لمؤمن طاعته، وهذا تنفير وتحذير صريح. والله تعالى، وإن خص المؤمنين في هذه الآية بالنهي عن اتباع وساوس الشيطان، فهو نهى لكل المكلفين، بدليل قوله تعالى: ومن يتبع خطوات الشيطان، فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر فكل المكلفين ممنوعون من ذلك، وحكمة تخصيص المؤمنين بالذكر هي أن يتشددوا في ترك المعصية؛ لئلا يتشبهوا بحال أهل الإفك (٣).

وفي هذه الآيات جملة من الآداب والزواجر، أرشدت إليها قصة الإفك، وهي تربية عالية للمجتمع، وصون لأخلاقه من التردي والانحدار، ونبذ للعادات السيئة في إشاعة الأخبار دون

(١) التفسير المنير، للزحيلي (١٨ / ١٨٢).

(٢) سورة النور: الآية (٢١).

(٣) التفسير المنير، للزحيلي (١٨ / ١٨٣).

علم ولا تثبت، وقد دلت الآيات على ما يأتي:

١ - إن داء الأمة ينبع من داخلها، وأخطر داء فيها زعزعة الثقة بقادتها ومصلحيها، وتوجيه النقد الهدام لهم، ومحاولة النيل من عرضهم وسمعتهم وكرامتهم، فأهل الإفك ليسوا من الأعداء الخارجين، وإنما هم - في الظاهر - عصابة من المؤمنين.

٢- ليس في الأشياء خير محض ولا شر محض، وإنما ما غلب نفعه على ضرره فهو خير، وما غلب ضرره على نفعه فهو شر، فحقيقة الخير: ما زاد نفعه على ضرره، والشر: ما زاد ضرره على نفعه، وإن خيراً لا شر فيه هو الجنة، وشرّاً لا خير فيه هو جهنم. أما البلاء النازل على الأولياء فهو خير؛ لأن ضرره من الألم قليل في الدنيا، وخيره هو الثواب الكثير في الآخرة؛ لذا كان حديث الإفك خيراً على عائشة وأهلها آل أبي بكر، وعلى صفوان بن المعطل المتهم البريء، فقال تعالى: لا تحسبوه شراً لكم، بل هو خير لكم، لرجحان النفع والخير على جانب الشر، وكان صفوان هذا صاحب ساقية رسول الله ﷺ في غزواته لشجاعته، وكان من خيار الصحابة رضوان الله عليهم. وقيل كما ذكر ابن إسحاق: كان حصوراً لا يأتي النساء، وقال: والله ما كشفت كنف أنثى قط، يريد بزنى، وقتل شهيداً في غزوة أرمينية سنة تسع وعشرين في زمان عمر، وقيل: ببلاد الروم سنة ثمان وخمسين في زمان معاوية<sup>(١)</sup>.

٣- للذين خاضوا في إثم الإفك جزاء وعقاب في الدنيا والآخرة، وهم الذين أصروا على التهمة، أما الذين تابوا وهم حسان ومسطح وحمئة، فقد غفر الله لهم.

٤- إن زعيم المنافقين عبد الله بن أبي هو الذي تولى كبر حديث الإفك، واختلاق معظم القصة، والترويج لها وإشاعتها بين المسلمين. وهل جلد هو وغيره؟

---

(١) المصدر السابق (١٨ / ١٨٥).

روى الترمذي وغيره أن النبي ﷺ جلد في الإفك رجلين وامرأة: مسطحاً وحساناً وحمنة.  
وروى ابن عباس قال: جلد رسول الله ﷺ ابن أبي ثمانين جلدة، وله في الآخرة عذاب النار<sup>(١)</sup>.

٥- على المؤمنين والمؤمنات أن يظنوا ببعضهم خيراً؛ لذا عاتبهم الله تعالى بقوله: إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً أي ببعضهم أو بإخوانهم، فالواجب على المسلمين إذا سمعوا رجلاً يقذف أحداً أو يذكره بقبيح لا يعرفونه به أن ينكروا عليه ويكذبوه. ولأجل هذا قال العلماء: إن الآية أصل في أن درجة الإيمان التي حازها الإنسان، ومنزلة الصلاح التي حلها المؤمن، وحلة العفاف التي يستتر بها المسلم لا يزيلها عنه خبر محتمل وإن شاع، إذا كان أصله فاسداً أو مجهولاً.

٦- إن إثبات تهمة الزنى إما بالإقرار أو بأربعة شهود، فقوله تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾<sup>(٢)</sup>، توبيخ لأهل الإفك على تقصيرهم في الإثبات، أي هلا جاؤوا بأربعة شهداء على ما زعموا من الافتراء. وهذا إحالة على المذكور في آية القذف السابقة. وإذا لم يأتوا بالشهداء فهم في حكم الله كاذبون.

٧- إن أحكام الدنيا في الإثبات ونحوه تجري على الظاهر، والسرائر إلى الله عز وجل، كما ورد في ذلك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه، وليس لنا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نؤمنه ولم نصدق، وإن قال: إن سريرته حسنة"<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق (١٨ / ١٨٦).

(٢) سورة النور: الآية (١٣).

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، ح، رقم: (٢٦٤١) (٣ / ١٦٩)، باب الشهداء العدول.



٨- تكرر الامتتان من الله تعالى على عباده في قصة القذف مرتين في قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾<sup>(١)</sup>، أي لولا فضله ورحمته لمسكم بسبب ما قلتم في عائشة عذاب عظيم في الدنيا والآخرة، ولكنه برحمته ستر عليكم في الدنيا، ويرحم في الآخرة من أتاه تائباً<sup>(٢)</sup>.

٩- وصف الله الخائضين في قصة الإفك بارتكاب آثام ثلاثة: تلقي الإفك بالسنتهم وإشاعته بينهم، والتكلم بما لا علم لهم به، واستصغارهم ذلك وهو عظيم الوزر، ومن العظائم والكبائر. وهذا يدل أن القذف من الكبائر، وأن عظم المعصية لا يختلف بظن فاعلها وحسابه، وأنه يجب على المكلف أن يستعظم الإقدام على كل محرم.

١٠- عاتب الله جميع المؤمنين بأنه كان ينبغي عليهم إنكار خبر الإفك، وألا يحكيه أو ينقله بعضهم عن بعض، وأن ينزهوا الله تعالى عن أن يقع هذا من زوج نبيه ﷺ، وأن يحكموا على هذه المقالة بأنها بهتان، وحقيقة البهتان: أن يقال في الإنسان ما ليس فيه. والغيبة: أن يقال في الإنسان ما فيه، وإن وصف الإيمان يجب أن يكون باعثاً لهم على هذا التخلق والأدب.

١١- دل قوله تعالى: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾<sup>(٣)</sup>، أي في عائشة، قال الإمام مالك: من سب أبا بكر وعمر أدب، ومن سب عائشة قتل؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup> فمن سب عائشة فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآن قتل، قد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها

(١) سورة النور: الآية (١٤).

(٢) التفسير المنير، للزحيلي (١٨ / ١٨٧، ١٨٨).

(٣) سورة النور: الآية (١٧).

به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية، فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن، «وقال أصحاب الشافعي: من سب عائشة رضي الله عنها أدب كما في سائر المؤمنين، وليس قوله: إن كنتم مؤمنين في عائشة؛ لأن ذلك كفر، وإنما هو كما قال ﷺ في المتفق عليه من حديث أبي هريرة ؓ قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»<sup>(١)</sup>. أي لا يكمل إيمانه، لا أنه سلب الإيمان. وبوائقه: شروره وآثامه ودواهيته<sup>(٢)</sup>.

١٢- إن الذين يحبون إشاعة الفاحشة (الفعل القبيح المفرط القبح) في المؤمنين المحصنين والمحصنات كعائشة وصفوان رضي الله عنهما لهم عذاب أليم في الدنيا بالحد، وفي الآخرة بعذاب النار أي للمنافقين، أما الحد للمؤمنين فهو كفارة. والله يعلم مقدار عظم هذا الذنب والمجازاة عليه، ويعلم كل شيء، والناس لا يعلمون بذلك<sup>(٣)</sup>.

١٣- نهى الله المؤمنين وغيرهم عن اتباع مسالك الشيطان ومذاهبه؛ لأنه لا يأمر إلا بالفحشاء والمنكر.

١٤- لله تعالى وحده الفضل في تزكية المؤمنين وتطهيرهم وهدايتهم، لا بأعمالهم.

١٥- على المؤمن التخلق بأخلاق الله، فيعفو عن الهفوات والزلات والمزالق، فإن فعل، فالله يعفو عنه ويستتر ذنوبه، وكما تدين تدان، والله سبحانه قال: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري، ح، رقم: (٦٠١٦)، (٨ / ١٠)، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، تابعه شياطة، وأسد بن موسى، وقال حميد بن الأسود، وعثمان بن عمر، وأبو بكر بن عياش، وشعيب بن إسحاق، عن ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبي هريرة، وأخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (٤٦) (١ / ٦٨)، باب بيان تحريم إيذاء الجار، واللفظ عند مسلم «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه».

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين: لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن - الرياض، (٣ / ٣٦٢).

(٣) التفسير المنير. للزحيلي (١٨ / ١٨٩).

﴿١﴾ ، أي كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن دونكم، وقال ﷺ: «من لا يرحم لا يرحم» ﴿٢﴾.

١٦- في هذه الآية دليل على أن القذف وإن كان معصية كبيرة لا يحبط الأعمال؛ لأن الله تعالى وصف مسطحاً بعد قوله بالهجرة والإيمان وكذلك سائر الكبائر ولا يحبط الأعمال غير الشرك بالله، قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ ﴿٣﴾.

١٧- من حلف على شيء ألا يفعله، فرأى أن فعله أولى من تركه، أتاه وكفر عن يمينه.  
١٨- قال بعض العلماء: هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى، من حيث لطف الله بالقذفة العصاة بهذا اللفظ.

١٩- دلت هذه الآية على أن أبا بكر أفضل الناس بعد النبي ﷺ؛ لأن الله وصفه بصفات عجيبة في هذه الآية، دالة على علو شأنه في الدين، أورد الرازي أربع عشرة صفة مستتبطة من هذه الآية: ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة منها أنه وصفه بأنه صاحب الفضل على الإطلاق من غير تقييد لذلك بشخص دون شخص، والفضل يدخل فيه الإفضال، وذلك يدل على أنه رضي الله عنه، كما كان فاضلاً على الإطلاق كان مفضلاً على الإطلاق، ومنها أنه لما وصفه تعالى بأنه أولوا الفضل والسعة بالجمع لا بالواحد وبالعوم لا بالخصوص، على سبيل المدح، وجب أن يقال: إنه كان خالياً عن المعصية ﴿٤﴾.

٢٠- قال بعض أهل التحقيق: إن يوسف - عليه السلام - لما رمي بالفاحشة برأه الله

---

(١) سورة النور: الآية (٢٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في (صحيحه) ح، رقم (٧/٨)، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، من حديث أبي هريرة ؓ، وأخرجه مسلم في (صحيحه)، ح، رقم (٢٣١٨)، (٤/١٨٠٨)، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك.

(٣) سورة الزمر: الآية (٦٥).

(٤) التفسير المنير للزحيلي (١٨/ ١٩٠).

على لسان صبي في المهد، وإن مريم لما رميت بالفاحشة برأها الله على لسان ابنها عيسى - صلوات الله عليه-، وإن عائشة لما رميت بالفاحشة برأها الله تعالى بالقرآن فما رضي لها ببراءة صبي ولا نبي حتى برأها الله بكلامه من القذف والبهتان<sup>(١)</sup>.

وحادثة الإفك ترينا كيف كانت طريقة التربية بالأحداث على المنهج القرآني. وكيف كان الشعور يحمى ليتوهج، ثم تنزل الطرقات عنيفة متوالية، فإذا هي تطبع في النفس طابعاً لا ينتهي بعد أن تبرد المشاعر وتهدأ، بل يصبح جزءاً من كيانه لا يزول<sup>(٢)</sup>.

وهكذا تتجلى سنة الله تعالى الربانية في عباده المؤمنين عندما يحاول المنافقون هدم وحدة المسلمين وزعزعة عقيدتهم في النبي ﷺ، وإشعال نار الفتنة بين المسلمين، فقد كانت حادثة الإفك معركة خاضها رسول الله ﷺ وخاضتها الجماعة المسلمة يومذاك، وخاضها الإسلام، معركة ضخمة لعلها أضخم المعارك التي خاضها رسول الله ﷺ، وخرج منها منتصراً كاظماً لآلامه الكبار محتفظاً بوقار نفسه وعظمة قلبه وجميل صبره، فلم تؤثر عنه كلمة واحدة تدل على نفاد صبره وضعف احتماله، والآلام التي تناوشه لعلها أعظم الآلام التي مرت في حياته، والخطر على الإسلام من تلك الفرية من أشد الأخطار التي تعرض لها في تاريخه. وها هو ذا يُرمى في طهارة فراشه، وهو الطاهر الذي تفيض منه الطهارة، وها هو ذا يرمى في صيان حرمة، وهو القائم على الحرمات في أمته. ها هو ذا يرمى في كل شيء حين يُرمى في عائشة -رضى الله عنها-. يرمى في فراشه وعرضه وقلبه ورسالته، يرمى في هذا كله، ويتحدث الناس في المدينة شهراً كاملاً، والله يريد لحكمة يراها أن يدع هذا الأمر شهراً كاملاً، لا يبين فيه بياناً، فأى صبر فوق صبر رسولنا ﷺ، وعندما تصل الآلام ذروتها يتعطف عليه ربه، فيتنزل القرآن ببراءة عائشة الصديقة الطاهرة، وبراءة بيت النبوة الطيب

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٢ / (٢١٢)، وتفسير المنير: للزحيلي (١٨ / ١٩١).

(٢) منهج التربية الإسلامية: لمحمد بن قطب بن إبراهيم: دار الشروق، ط ١٦، (٢ / ٣٨٨).

الرفيع" (١).

ولقد كادت حادثة الإفك أن تحقق للمنافقين ما كانوا يسعون إلى تحقيقه من هدم وحدة المسلمين وزعزعة عقيدتهم في النبي صلى الله عليه وسلم، وإشعال نار الفتنة بين المسلمين، ولكن الله سلم فقد تمكّن الرسول القائد صلى الله عليه وسلم من قيادة الأمة بكفاءة وهو في تلك الظروف الحالكة؛ لتجتاز الامتحان الصعب، ويصل بها بأمان إلى شاطئ السلامة (٢).

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤ / ٢٤٩٩).

(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط: الرابعة، (١ / ٣٢٢).

## **المبحث الثاني**

### **السنن الربانية المتعلقة بالعصاة**

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** كبائر الذنوب وسنة الله تعالى في مرتكبيها.

**المطلب الثاني:** صغائر الذنوب وسنة الله تعالى في مرتكبيها.

## المطلب الأول

### كبائر الذنوب وسنة الله تعالى في مرتكبيها

الذنوب يستعمل في كل فعل يستوخم عقابه، اعتباراً بذنب الشيء. وجمع الذنوب ذنوب، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾<sup>(١)(٢)</sup>، والسيئة : الفعلة القبيحة، وهي ضد الحسنة، قال تعالى: ﴿بِكُلِّ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾<sup>(٣)</sup>. والسوء كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ومن الأحوال النفسية والبدنية. والسوء الفعل القبيح قال تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾<sup>(٤)</sup>، والحسنة والسيئة ضربان:

(أحدهما): بحسب اعتبار العقل والشرع من نحو المذكور في قوله تعالى : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾<sup>(٥)</sup>.

(والثاني): حسنة وسيئة بحسب اعتبار الطبع وذلك ما يستخفه الطبع وما يستثقله ، ومنه قوله تعالى : ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾<sup>(٦)(٧)</sup>.  
ومن السنن الإلهية في أصحاب الكبائر ما يأتي:  
أولاً: قذف الرعب في قلوب الكافرين بسبب شركهم.

الكفر أو الشرك أعظم المعاصي ومن سنة الله فيه وفي أصحابه إلقاء الرعب في قلوبهم كلما لقوا المؤمنين وقاتلوهم، قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا

---

(١) سورة غافر: الآية (٢١).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (١٨١).

(٣) سورة البقرة: الآية (٨١).

(٤) سورة النساء: الآية (١٢٣).

(٥) سورة الأنعام: الآية (١٦٠).

(٦) سورة الأعراف: الآية (٩٥).

(٧) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (٢٥٣).

أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ (١).

اختلف المفسرون في هذا الوعد هل هو مختص بمعركة أحد أو هو عام في جميع الأوقات؟ قال كثير من المفسرين: إنه مختص بمعركة أحد وذلك؛ لأن جميع الآيات المتقدمة إنما وردت في هذه الواقعة، ودليلهم على ذلك، أن المسلمين لما انهزموا أمام الكفار أوقع الله تعالى الرعب في قلوبهم ففروا منهم من غير سبب، وقيل أنه لما تحرك كفار قريش نحو مكة، قالوا قتلنا منهم الكثير وتركناهم ونحن فوقهم قاهرون، ثم قال بعضهم لنرجع حتى نستأصلهم جميعاً، فلما عزموا على ذلك قذف الله تعالى الرعب في قلوبهم، وقيل أن هذا الوعد غير مختص بمعركة أحد، بل هو عام فإن وعد الله هذا يتحقق كلما لقي المؤمنون الكفار فسيلقي الله الرعب في قلوبهم حتى يغلبهم المؤمنون ويظهر الإسلام على سائر الأديان (٢).

والقول الثاني يبين سنة عامة لله تعالى، فوعده تعالى قائم بإلقاء الرعب في قلوب الكفرة كلما التقوا مع أهل الإيمان ولكن يجب أن توجد حقيقة الإيمان في قلوب المؤمنين حتى يتحقق لهم هذا الوعد من الله تعالى بإلقاء الرعب في قلوب الكفار عند اللقاء بهم (٣).

فالذين خوطبوا بهذه الآية ووعدهم الله بهذا الوعد هم المؤمنون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين ذكر الله لنا أوصافهم في القرآن الكريم من صدق الإيمان ومحبة الله ورسوله وإيثار هذه المحبة على ما سواه، وبذلهم المال والنفس في سبيل الله وهجر الوطن والأهل والمال نصرة لدين الله وانقيادهم الكامل الشامل لشرع الله إلى غير ذلك من الصفات (٤).

فسنة الله في إلقاء الرعب في قلوب الكفار من المؤمنين في القتال وفي كل لقاء؛ إنما هو للمؤمنين حقيقة الذين قامت فيهم معاني الإيمان وأوصافه وظهرت آثاره في أقوالهم وأعمالهم.

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٥١).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (٩ / ٣١، ٣٢).

(٣) في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥ / ١٠١).

(٤) تفسير القرآن الحكيم، لرشيد رضا، (٤ / ١٧٩، ١٨٠).



ثانياً: إهلاك الأمم السابقة بسبب كبائر الذنوب التي اقترفوها.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ (١).

وواضح من هذه الآية أن الهالكين إنما أهلكهم الله بذنوبهم التي اقترفوها. وفي هذا الإخبار تقرير حقيقة ثابتة وسنة مطردة: أن الذنوب تهلك أصحابها وأن الله تعالى هو الذي يهلك المذنبين بذنوبهم، وأن هذه سنة ماضية ولو لم يرها أحد في عمره القصير ، ولكنها سنة ثابتة تخضع لها الأمم حين تفشو فيها الذنوب، فإنها تهلك إما بقارعة من الله تعالى كما كان يحدث في هلاك الأمم السابقة، وإما بالانحلال البطيء الطبيعي الذي يسري في كيان الأمة وهي توغل في متهاتات الذنوب وتحسب أنها في أمان من الهلاك (٢).

فالأمة تهلك بذنوبها وإن كانت قوية: قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ (٣)، أي: أولم يسر في الأرض هؤلاء المكذبون برسالتك يا محمد فينظروا كيف كان عاقبة من قبلهم من الأمم المكذبة بالأنبياء ما حلَّ بهم من العذاب، مع أنهم كانوا أشد من هؤلاء قوة وآثراً في الأرض، فقد شيدوا من البنايات والمعالم والديارات ما لا يقدر هؤلاء عليه ومع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد؛ أخذهم الله بذنوبهم وهي كفرهم برسولهم وما كان لهم من الله من واق أي وما دفع عنهم عذاب الله أحد (٤).

---

(١) سورة الأنعام: الآية (٦).

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٣ / ١٢٩ ، ١٣٠).

(٣) سورة غافر: الآية (٢١).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ٧٦).

## المطلب الثاني

### صغائر الذنوب وسنة الله تعالى في مرتكبيها

وأما بالنسبة لصغائر الذنوب وسنة الله تعالى فيها، فلا شك إن عمل السيئات يستوجب ترتب الجزاء عليها بغض النظر عن فاعلها، أو عن صغيرها وكبيرها، فسنة الله تعالى في عمل السيئات وما يترتب عليها سنة عامة قاطعة تسري على جميع الخلق، ولا تتخلف عن فرد أو أمة أو جماعة، فلا محاباة لأحد من الخلق في جريان هذه السنة العامة، فالله تعالى هو رب العالمين، والكل أمام هذه السنة العامة سواء، فكل من يعمل سوءاً يلحق جزاءه بحسب سنة الله تعالى، فلا تتوقف هذه السنة الربانية عن بعض وتسري على البعض الآخر، ومن يعتقد ذلك فهو واهم ومخطيء، قال تعالى في بيان هذه السنة العامة: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوْءًا يَّجْزَ بِهِ﴾<sup>(١)</sup>. قال الإمام القرطبي في تفسيرها: "وقال الجمهور لفظ الآية عام، والكافر والمؤمن مجزي بعمله السوء .." <sup>(٢)</sup>.

ومن أمثلة السنن الإلهية الربانية في أصحاب صغائر الذنوب ما يلي:

#### أولاً: صغائر الذنوب تضعف مقاومة المؤمن للشيطان.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، أي إن الذين تولوا عن القتال في معركة أحد لم يكن ذلك منهم إلا ناشئاً عن بعض ما كسبوا من السيئات من قبل، فهذه السيئات هي التي أحدثت الضعف في نفوسهم وفتحت ثغرة فيها تسلل منها الشيطان فقدر على استزلالهم بالتولي عن القتال، كما قال بعض السلف إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، وإن من جزاء

(١) سورة النساء: الآية (١٢٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٥/ ٣٩٦).

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٥٥).

السيئة السيئة بعدها<sup>(١)</sup>.

فالذنوب بالنسبة لمرتكبها كالأمراض بالنسبة للمصاب، تضعف مقاومته وتفتح ثغرة في بدنه تتسلل منها الجراثيم والأمراض أو تقوي فيه الموجودة منها في البدن أصلاً.

ثانياً: صغائر الذنوب سبب في وقوع المصائب.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾<sup>(٢)</sup>، أي وما أصابكم أيها الناس أي مصيبة من مصائب الدنيا كالمرض وسائر النكبات والأحوال المكروهة نحو الآلام والأسقام والقحط والغرق وأشباهاها ﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي بسبب معاصيكم التي اكتسبتموها ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ أي ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقبكم عليها عاجلاً ، قيل وآجلاً<sup>(٣)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن المعلوم بما أرانا الله من آياته في الآفاق وفي أنفسنا وبما شهد به في كتابه أن المعاصي سبب المصائب، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾<sup>(٥)</sup>.

وقال تعالى أيضاً: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَبْتَكُمْ مُّصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَهَا قُلْنِي أَنِّي هَذَا أَقَلُّ هُوَ مِنْ عِنْدِ

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، (٩ / ٣٩٧)، و تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، ط، العلمية (٢ / ١٢٨)، تفسير القرآن الحكيم، لرشيد رضا (٤ / ١٥٧).

(٢) سورة الشورى: الآية (٣٠).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٤ / ١١٦)، مفاتيح الغيب، للرازي، (٢٧ / ١٧٢)، روح المعاني، للألوسي (٤٠ / ٢٥).

(٤) سورة الشورى: الآية (٣٠).

(٥) سورة آل عمران: الآية (١٥٥).

أَنْفُسِكُمْ ﴿١﴾ (٢).

يتبين مما سبق أن الله تعالى ينزل عقابه وبطشه ونقمته على كل من اقترف كبيرة من الكبائر، فسنة الله تعالى لا تتبدل ولا تتغير بتغير الزمان والمكان، فكما أنه هذه السنة جرت على مرتكبي الكبائر في الزمن القديم فهي تجري على من ارتكبها في هذا الزمن، وكذلك تجري سنة الله تعالى الكونية فيمن يرتكب صغائر الذنوب إذا لم يتب منها.

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٦٥).

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لابن تيمية، (ت: ٧٢٨هـ) الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٨هـ، ص: (٣١).

## **الفصل الخامس**

### **سنة الله وآثارها على خلقه عند مخالفتهم لأوامره**

وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** السنن الربانية المتعلقة بالأمم الظالمة عند مخالفتها لأوامر الله تعالى.

**المبحث الثاني:** السنن الربانية المتعلقة بالظالمين كأفراد عند مخالفتهم لأوامر الله تعالى.

**المبحث الثالث:** السنن الربانية في حاضر الأمة.

## **المبحث الأول**

**السنن الربانية في القرآن الكريم المتعلقة بالأمم الظالمة عند**

**مخالفتها لأوامر الله تعالى، وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول: سنة الله تعالى في الاستدراج.**

**المطلب الثاني: سنة الله تعالى في الهزيمة.**

**المطلب الثالث: سنة الله تعالى في الاستبدال.**

## المطلب الأول

### سنة الله تعالى في الاستدراج

#### معنى الاستدراج في اللغة:

جاء في لسان العرب<sup>(١)</sup>: استدرجه أي أدناه منه على التدرج فتدرج هو. وسنستدرجهم معناه نأخذهم درجة فدرجة وذلك إدناؤهم من الشيء شيئاً فشيئاً كالمراقبي والمنازل في ارتفاعها ونزولها<sup>(٢)</sup>، واستدرج الله العبد: أمهله ولم يباغته<sup>(٣)</sup>، واستدرج الله المرء: جرّه قليلاً قليلاً إلى العذاب<sup>(٤)</sup>.

#### معنى الاستدراج عند المفسرين:

أ - جاء في تفسير الزمخشري: استدرجه إلى كذا إذا استنزله إليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه، واستدراج الله العصاة أن يرزقهم الصحة والنعمة، فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقاً إلى ازدياد الكفر والمعاصي من حيث لا يعلمون أي: من الجهة التي لا يشعرون أنه استدراج وهو الإنعام عليهم؛ لأنهم يحسبونه إثارة لهم وتقضيلاً على المؤمنين، وهو سبب لهلاكهم<sup>(٥)</sup>.

ب - وفي تفسير القرطبي: الاستدراج هو الأخذ بالتدرج منزلة بعد منزلة<sup>(٦)</sup>.

ج - وفي تفسير الألوسي: الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى النقل درجة بعد درجة من سفلى إلى علو فيكون استصعاداً أو بالعكس فيكون استنزالاً<sup>(٧)</sup>.

ومن السنن الربانية في القرآن الكريم على الأمم الظالمة باستدراجها عند مخالفتها لأوامر الله كثيرة، ولكن سيقصر الباحث على نماذج منها فقط، ومنها على سبيل المثال لا الحصر

---

(١) لسان العرب: لابن منظور (٣ / ٩٢).

(٢) المفردات: للراغب الأصفهاني (١٦٧).

(٣) المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى (١ / ٢٧٧).

(٤) بصائر ذوي التمييز: للفيروز آبادي (٢ / ٥٩٢).

(٥) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري، (٤ / ٥٩٥).

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٧ / ٣٢٩).

(٧) روح المعاني: للألوسي، (٥ / ١١٨).

ما يلي:

سنة الله في المستدرجين.

استدراج الأمم:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾<sup>(١)</sup>. وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي: فلما أعرضوا عما ذكروا به وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، أي: فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون. قال ابن كثير: وهذا استدراج منه تعالى وإملاء لهم ولهذا قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾، من الأموال والأولاد والأرزاق.... ﴿أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾، أي: على غفلة، ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾، أي آيسون من كل خير<sup>(٢)</sup>، وروى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر<sup>(٣)</sup> عن النبي ﷺ قال: إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا

(١) سورة الأنعام: الآية (٤٢ - ٤٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، ط، العلمية، (٢٢٩/٣).

(٣) هو: أبو عبيس عقبة بن عامر بن عبيس بن عمرو بن عدي بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب، ويكنى أبا حماد، شهد عقبة العقبة الأولى ويجعل في الستة نفر الذين أسلموا بمكة أول الأنصار الذين لم يكن قبلهم أحد، وشهد بدر وأحد وأعلم يومئذ بعصاة خضراء في مغفرة وشهد الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله - ﷺ، وشهد يوم اليمامة، وقتل يومئذ شهيدا سنة اثنتي عشرة وذلك في خلافة أبي بكر الصديق رحمة الله عليه، وقيل وتوفي بمصر سنة ثمان وخمسين، ينظر: الطبقات الكبرى: لابن سعد، (٤٢٨/٣)، وتاريخ دمشق: لابن عساكر، (٤٩٢/٤٠).



مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴿١﴾ الخ... (١).

وفي تفسير الألوسي لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ المراد أنهم انهمكوا في معاصيهم ولم يتعظوا بما نالهم من البأساء والضراء فلما لم يتعظوا ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من النعم الكثيرة كالرخاء وسعة الرزق مكرماً بهم واستدرجاً لهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ فرح بطر من النعم ولم يقوموا بحق المنعم ﴿أَخَذْنَهُمْ﴾، أي: عاقبناهم وأنزلنا بهم العذاب ﴿بَغْتَةً﴾ أي، فجأة ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ أي، آيسون من النجاة والرحمة، ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي، استوصلوا ولم يبق منهم أحد، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، على ما جرى عليهم من النكال والهلاك فإن إهلاك الكفار والعصاة من حيث إنه تخلص لأهل الأرض من شؤم عقائدهم الفاسدة وأعمالهم الخبيثة نعمة جليلة يحق أن يحمد عليها (٢).

### سنة الله العامة في المستدرجين:

ومن آيات الاستدراج التي ذكرناها في الفقرات السابقة يتبين أن سنة الله في المستدرجين إمهالهم بعد أن لم يتعظوا بما امتحنهم الله به من صنوف البأساء والضراء، أو بما امتحنهم به من النعم، أو بعد أن كذبوا بآيات الله التي من شأنها أن تحمل المتأمل فيها على الإيمان، وإن سنة الله تعالى في هؤلاء مدة إمهالهم أن يوسع عليهم الرزق والخيرات ويزيد عليهم الرخاء

---

(١) أخرجه أحمد في (مسنده)، ح، رقم (١٧٣١١) (٥٤٧/٢٨)، والحديث حسن، وهذا إسناد ضعيف لضعف رشدين بن سعد، وباقي رجال الإسناد ثقات، وهو عند الإمام أحمد في "الزهد"، بهذا الإسناد. وأخرجه: أبو الحسن الهيثمي في كتابه: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ح، رقم (١٧٧٩٢) (٢٠/١٠)، باب فيمن يستعين بالنعم على المعاصي، من حديث عقبة ابن عامر رضي الله عنه، وأخرجه، صهيب عبد الجبار في (الجامع الصحيح للسنن والمسانيد)، تاريخ النشر: (١٥ - ٨ - ٢٠١٤)، (٩٢/١٩)، باب قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (الأنعام: ٤٤).

(٢) ينظر: روح المعاني، للألوسي، (٤/ ١٤٣، ١٤٤).

الذي هم فيه، ويعطيهم ما يتمنون من النعم على وجه الاستدراج لهم وزيادة إثمهم لما يقابلون هذه النعم بالمعاصي.

ويمكن للباحث القول: إن ما يجب الاتعاظ به من سنة الله في المستدرجين، هو إن نعم الله تقابل بالشكر، وهذا هو منهج المؤمنين ومسلكتهم في الحياة، فكل نعمة يعطاها المؤمن يقابلها بطاعة جديدة وشكر جديد، فإذا غفل عن هذا ونسي شكر النعمة بشكر المنعم فهو مقصر وغافل، فإذا قابل النعمة بالمعصية فهو مستدرج، والفاصل بين المقصر والمستدرج خيط دقيق جداً، فإن المقصر في شكر النعمة غفلة منه وجهلاً قد ينزلق إلى منحدر الاستدراج، ولذلك كان العارفون يخشون على أنفسهم ((الاستدراج)) وأن يكونوا مستدرجين إذا توالى عليهم النعم مع احتمال تقصيرهم في شكرها فيكون ذلك علامة استدراجهم، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما حملت إليه كنوز كسرى: "اللهم إني أعوذ بك أن أكون مستدرجاً، فإني أسمعك تقول: ﴿سَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾" (١)(٢).

وقال الحسن البصري: "كم مستدرج بالإحسان إليه، وكم مفتون بالثناء عليه، وكم مغرور بالستر عليه، وقيل: أنه كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار" (٣).

وعلى هذا فينبغي للفرد المسلم والجماعة المسلمة والأمة بمجموعها أن لا يغتروا بنعم الله عليهم وأن لا يتناسوا سنة الله تعالى في الاستدراج، بل عليهم أن يتداركوا أنفسهم من أن يكون تواتر النعم عليهم استدراجاً، ليس إكراماً وإنعاماً لهم، والذي يرجح أن هذه النعم إكرام لهم من الله تعالى مسارعتهم إلى شكرها بشكر المنعم عليها بالقيام بحق نعم الله ووضعها في مواضعها والزيادة في طاعة الله والإتيان بما يحبه من الجهاد في سبيله.

---

(١) سورة القلم: الآية (٤٤).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (٣ / ٩٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٥١/١٨).

## المطلب الثاني

### سنة الله تعالى في الهزيمة

النصر والهزيمة من عند الله تعالى نعمة وابتلاء وهي سنة يصرفها الله تعالى وفق علمه وحكمه وحكمته، وقد سبق وإن تكلمنا عن النصر، ولنا أن نقف في هذا المطلب على الهزيمة، وسنبداً بتعريف الهزيمة في اللغة والاصطلاح، ثم نبين هذه السنة الربانية بعد التعريف:

فالهزيمة في اللغة: "هزم: الهاء والزاء والميم أصل صحيح يدل على غمز وكسر. فالهزم: أن تغمز الشيء بيدك فينهزم إلى داخل، ومنه الهزيمة في الحرب" <sup>(١)</sup>، والهزيمة في القتال تعني "الكسر" <sup>(٢)</sup>.

ولم أجد فيما رجعت إليه من كتب اللغة من زاد على ذلك إلا تفصيلاً للكسر، والمراد به هنا، الكسر في القتال وهذا ما يعيننا هنا وإذا كان النصر في القرآن كما مر جاء ليقدم أربعة معان، وإذا قلنا أن الهزيمة تقابل النصر في المعنى أفدنا من ذلك أن الهزيمة تعني الاندحار والنكوص وهذه معانٍ مذمومة أرادها الله تعالى للكافر ووعد إياها ضمن سنته - سبحانه وتعالى - الجارية في هزيمة الكافرين.

أما الآيات الكريمة في سنة الله تعالى في الهزيمة، سواء على الكافرين أو المسلمين، فهي أيضاً كثيرة، ومن أهمها:

قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ <sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (٤ / ٢٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (٦ / ٥١) ولسان العرب، مادة هزم، حرف الميم، (١٢ / ٦١٠).

(٣) سورة الأنبياء، الآية: (١١).

لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ ﴿١٣٧﴾ (٢).

وعند الوقوف على أقوال بعض المفسرين في هذه الآيات، نستعرض أقوالهم في سنته تعالى في هزيمة وإهلاك المخالفين.

وكما ذكرنا سابقاً ان النصر له أسبابه، فإن للهزيمة أسبابها، فأما أمة تمتلك الأسباب لأحدهما بأت بالنتيجة الحتمية لذلك، غير أن هذا الامتلاك للأسباب يقع في مقدور واختيار الأمم، ولهذا من سعى للعزة وسلك طريق النصر واستجمع أسبابه، استحق النصر من الله تعالى، وإلا بأت بالثانية، ولهذا فإن الهزيمة والهلاك للمخالفين، فهذا مقرر من الله تعالى وفق سنة لا تتبدل ولا تتحول، وسأقف عند آية واحدة من الآيات التي ذكرت سابقاً، مستعرضاً أقوال بعض المفسرين لها، وهذه الآية هي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ ﴿١٣٧﴾ (٣).

وفي هذه الآية الكريمة بيان لعدل الله ومنته، وأنه سبحانه لا يظلم أحداً، فما كان ليعذب قوماً أو ليهلكهم وهم لا يستحقون هذا العذاب والإهلاك، حاشا لله.

وإن مفهوم المخالفة في هذه الآية يفيد أن الله لا يهلك القرى المصلحة بل يهلك القرى التي استحققت هذا الإهلاك، وفي هذا يقول الإمام الرازي: "اعلم أنه تعالى بين أنه ما أهلك أهل القرى إلا بظلم" (٤).

وسنة الله تعالى ثابتة في هزيمة الظالمين والمخالفين وإهلاكهم، ما دام أنهم طغوا وخالفوا وتجبروا وظلموا وأفسدوا، وهذه القاعدة جارية على كل الأمم، سواء كانت مسلمة أم كافرة، ذلك أن العدل أساس الملك ودوامه وسبب في عدم الاستئصال والهلاك، فلو أن أمة كافرة

(١) سورة يونس، الآية: (١٣).

(٢) سورة هود، الآية: (١١٧).

(٣) سورة هود، الآية: (١١٧).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي، (٨ / ٤٨٦).

أقامت العدل بين رعاياها ولم يظلم بعضهم بعضاً لم تكن السنة جارية عليهم بالهلاك وهم على ذلك، والعكس صحيح، فلو أن أمة مسلمة انتشرت فيها الفساد وغاب عنها العدل وانتشر الظلم بين أفرادها لجرت عليهم سنة الله تعالى في إنزال العذاب بالشكل الذي يقرره الله تعالى، وجاء في رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية أن "الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام"<sup>(١)</sup>.

يقول ابن عاشور<sup>(٢)</sup>: "فلو أن قوماً غير مسلمين عملوا في سيرتهم وشؤون رعيتهم بمثل ما أمر الله به المسلمين من الصالحات بحيث لم يعوزهم إلا الإيمان بالله ورسوله لاجتنبوا من سيرتهم صوراً تشبه الحقائق التي يجتنبها المسلمون لأن تلك الأعمال صارت أسباباً وسناً تترتب عليها آثارها التي جعلها الله سنناً وقوانين عمرانية سوى أنهم لسوء معاملتهم ربهم بجحوده أو بالإشراك به أو بعدم تصديق رسوله يكونون بمنأى عن كفالته وتأييده إياهم ودفع العوادي عنهم، بل يكلمهم إلى أعمالهم وجهودهم على حسب المعتاد؛ ألا ترى أن القادة الأوروبيين بعد أن اقتبسوا من الإسلام قوانينه ونظامه بما مارسوه من شؤون المسلمين في خلال الحروب الصليبية ثم بما اكتسبوه من ممارسة كتب التاريخ الإسلامي والفقه الإسلامي والسيرة النبوية قد نظموا ممالكهم على قواعد العدل والإحسان والمواساة وكرهة البغي والعدوان فعظمت دولهم واستقامت أمورهم وإن كان ذلك على الأقل في الظاهر"<sup>(٣)</sup>.

ويقول الألوسي - رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية: "أي ما صح وما استقام بل استحال في الحكمة أن يهلك القرى التي أهلكتا وبلغت أنبأؤها أو ما يعمها وغيرها من القرى الظالم

---

(١) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن تيمية، (١/ ٢٦).

(٢) هو: محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، عين عام (١٩٣٢م) شيخاً للإسلام مالكيًا، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفات عدة منها (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، ومقاصد الشريعة الإسلامية) وكتب كثيراً في المجلات، (ت: ١٣٩٣هـ) ينظر: الأعلام للزركلي (٦/ ١٧٤).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٨/ ٢٨٣، ٢٨٤).

أهلها، والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك على أبلغ وجه وإلا فلا ظلم منه تعالى فيما يفعله بعباده كائناتاً ما كان<sup>(١)</sup>.

فالله تعالى يفعل ما يشاء، ولا يقع منه ظلم سبحانه، ولا يسأل عما يفعل، ولكنه سبحانه يقرر سنة ربانية ليكون المؤمن في سكون وطمأنينة؛ وليكون الكافر في خوف ورعب، وتلك سنة الله تعالى في خلقه.

ويقول سيد - رحمه الله تعالى - يعلق على هذه الآية الكريمة، "إنها تكشف عن سنة من سنن الله في الأمم. فالأمة التي يقع فيها الفساد بتعبيد الناس لغير الله، في صورة من صورته، فيجد من ينهض لدفعه هي أمم ناجية، لا يأخذها الله بالعذاب والتدمير. فأما الأمم التي يظلم فيها الظالمون، ويفسد فيها المفسدون، فلا ينهض من يدفع الظلم والفساد، أو يكون فيها من يستتكر، ولكنه لا يبلغ أن يؤثر في الواقع الفاسد، فإن سنة الله تحقق عليها، إما بهلاك الاستئصال. وإما بهلاك الانحلال والاختلال؛ فأصحاب الدعوة إلى ربوبية الله وحده، وتطهير الأرض من الفساد الذي يصيبها بالدينونة لغيره، هم صمام الأمان للأمم والشعوب... وهذا يبرز قيمة كفاح المكافحين لإقرار ربوبية الله وحده، الواقفين للظلم والفساد بكل صورته... إنهم لا يؤدون واجبهم لربهم ولدينهم فحسب، إنما هم يحولون بهذا دون أمهم وغضب الله، واستحقاق النكال والضياع"<sup>(٢)</sup>.

ومما يستفاد منه من هذه السنة في استشراف المستقبل: أن الظلم إذا حل بقوم فإن الهلاك الذي يقع بأهله لا يفرق بين صغير وكبير ولا بين صالح وطالح، بل أن الهزيمة والعذاب هذا يكون كالنار التي تأكل ما تجده دون تفريق بين أخضر ويابس، ونحن مدعوون لمحاربة الظلم وأهله بكل ما أوتينا من قوة، لننقذ أنفسنا وأمتنا من أن تستحق غضب الله

---

(١) ينظر: روح المعاني، للأوسى (٨ / ٤٠٦).

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (٤ / ٢٧٣).

تعالى عليها بإنزال عذابه وعقابه، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وكما ذكرنا في مطلب سابق أن النصر له أسباب، فإن للهزيمة أسباب وسنذكر لذلك نموذجاً واحداً وهو أسباب الهزيمة في غزوة أحد: وقبل الحديث عن أسباب الهزيمة في غزوة أحد، نشير هنا إلى أن للنصر أسباب وللهزيمة أسباب، والمؤمن المتبصر هو الذي يدرك ما يجب عليه الحاليين، وقد أبان القرآن أسباب هزيمة المسلمين في غزوة أحد، للرد على المنافقين المشككين في نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال محمد بن كعب القرظي<sup>(١)</sup>: لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقد أصيبوا بما أصيبوا يوم أحد، قال ناس من أصحابه: من أين أصابنا هذا، وقد وعدنا الله النصر؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا أُرْسِلْتُمْ تَحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، أقسم الله تعالى في هذه الآية أنه قد نصر المؤمنين أولاً في بداية أمر المعركة وقت أن أخذوا يقتلون المشركين قتلاً، ويفتكون بهم فتكاً، ولكنهم لما طمعوا في الغنائم وانقسموا فريقين: فريق الرماة فوق الجبل تركوا أماكنهم حينما رأوا انهزام المشركين، وفريق ثبت مكانه وقالوا: لا نخالف أمر الرسول أبداً، وهم القائد عبد الله بن جبير<sup>(٣)</sup>، مع نفر قليل من أصحابه، والفريق الأول وهم الرماة هم الذين أرادوا الدنيا وتركوا أماكنهم طلباً للغنيمة، والفريق الثاني هم الذين أرادوا الآخرة وثبتوا في مكانهم ولم يخالفوا أمر الرسول صلى

(١) هو: محمد بن كعب بن حبان بن سليم بن أسد القرظي حلفاء الأوس ويكنى أبا حمزة، وكان ثقة عالماً كثير الحديث، قيل أنه كان يقص فسقط عليه وعلى أصحابه مسجد فقتلهم توفي سنة ثمان ومائة، وقيل سنة سبع عشرة ومائة وهو ابن ثمان وسنتين سنة، ينظر: الطبقات الكبرى: لابن سعد (٤٠/١٣٤)، وتاريخ دمشق: لابن عساكر، (١٣٦/٥٥).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٥٢).

(٣) هو: عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن البرك الأنصاري، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، كما شهد بدرًا واحداً، واستعمله رسول الله - ﷺ - يوم أحد على الرماة، استشهد مع من بقي معه من الرماة، وكان الذي قتل عبد الله بن جبير عكرمة بن أبي جهل، ينظر: الطبقات الكبرى: لابن سعد، (٣٦٣/٣)، وأسد الغابة: لابن لأثير، (١٩٤/٣).

الله عليه وسلم، ثم تحول النصر إلى هزيمة، وعفا الله عن المخالفين، وصرف المؤمنين عن المشركين ليمتحن إيمانهم ويظهر الصادقون من المنافقين، وتاب الله بفضل العظيم على المؤمنين<sup>(١)</sup>.

ثم ذكر الله المؤمنين حيث انهزموا ولم يلتفتوا إلى ما وراءهم، والحال أن الرسول يدعوهم لمناصريته قائلاً: «إلي عباد الله، إلي عباد الله، أنا رسول الله، من يكر فله الجنة»، فقال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَبِكُمْ فَأَثْبَبَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾<sup>(٢)</sup>، أي إن الله جازاكم على صنيعكم، وألقى عليكم الغم والحزن بسبب الغم الذي أدخلتموه على الرسول وسائر المؤمنين بعصيانكم أمره ورأيه، وما فعل بكم ذلك إلا ليمرنكم ويدربكم على الشدائد، ولئلا تحزنوا على شيء فات، ولا ما أصابكم من عدوكم، والله خبير بأعمالكم ومجازيكم عليها<sup>(٣)</sup>.

ثم بيّن الله فضله على المؤمنين الصادقين الملتفين حول الرسول بإلقاء النعاس عليهم، وكشف زيف المنافقين الذين لا يثقون بنصر الله، قائلين: لن يأتي النصر لنا، وإن محمداً ليس نبياً، إذ لو كان نبياً ما هزم، رابطين بين النبوة والنصر، ومضميرين الحقد والعداوة لبقية المؤمنين، فرد الله عليهم بأن النصر من عند الله، والأمر كله لله، فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا

(١) التفسير الوسيط: للزحيلي (١/ ٢٤٩).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٥٣).

(٣) التفسير الوسيط: للزحيلي (١/ ٢٥٠).



يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي يُتُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الْغُيُوبِ ﴿١٥٤﴾ (١)، فالنصر من عند الله، وهذا رد على المنافقين القائلين: هل لنا من الأمر والنصر نصيب، ولو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا، أي إن الخروج للقتال خطأ، ولو لم يخرج المسلمون لم يقتل أحد (٢).

وتنتهي هذه الآيات بوضع اليد على سبب المتاعب التي لقيها المسلمون يوم أحد، وذلك بغية تنبيه الجيل الإسلامي الأول إلى تجنب عوامل الهزيمة وأسبابها، بالنسبة لما ينتظره من جهاد طويل في سبيل الله، ثم تنبيه كل الأجيال الإسلامية اللاحقة إلى نفس العوامل والأسباب، حتى يتجنبها، ولا تبلى بها ولا بنتائجها الحتمية، وهذه الأسباب يلخصها كتاب الله في أربعة أشياء:

١ - الفشل الذي يصيب بعض ضعفاء النفوس، فيجرون الهزيمة على من معهم، يقول تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ (٣).

٢ - التنازع بين المحاربين وعدم الاتفاق فيما بينهم ﴿وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.

٣ - عصيان المحاربين ومخالفتهم لأوامر القيادة العليا وعدم تنفيذهم لما أمروا به، ﴿وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَّا تُحِبُّونَ﴾.

٤ - اختلاف الوجهة وعدم الاتحاد في الهدف ﴿مِّنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٥٤).

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي (١/ ٢٥٠، ٢٥١).

(٣) سورة آل عمران، الآية: (١٥٢).

## يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴿١﴾.

فهذه الأسباب الأربعة التي حددها كتاب الله أوضح تحديد.

ومما سبق يتبين أن الله تعالى أوضح في هذه الآيات بأن الذين تركوا أماكنهم أو انهزموا إنما أوقعهم الشيطان في هذا الخطأ بسبب أفعالهم وذنوبهم السابقة، ولكن عفا الله عنهم لما تابوا، وهكذا تجري سنة الله تعالى في من ارتكب خطأ ثم تاب منه، أما من ارتكب خطأ ولم يتب منه فإن سنة الله تعالى ستجري عليه بالهزيمة كما حصل للمسلمين في غزوة أحد، ولقد كان انهزام المسلمين في أحد بسبب الحرص على المادية والغنائم، ومخالفة أوامر الرسول ﷺ، والإصغاء لوساوس الشيطان، واقتراف الخطايا والذنوب، وإن الاستفادة من دروس الهزيمة أهم من فوائد النصر والغلبة، فلا يمكن تحقيق النصر إلا بتجنب وسائل الضعف والهزيمة، والله برحمته ينبّه هؤلاء المخطئين كيلا يقعوا في الخطأ المماثل إلى الأبد<sup>(٢)</sup>.

وهذه هي الأسباب المباشرة في كل هزيمة لحقت المسلمين، في يوم أحد أولاً، وفي كل الغزوات والفتوحات التي أخل فيها المسلمون بشروط النصر وأسبابه. واقرأوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾<sup>(٣)</sup> (٤).

---

(١) التيسير في أحاديث التفسير: لمحمد المكي الناصري، (ت: ١٤١٤هـ) الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان،

ط: الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م (١/ ٢٦٩).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط: للزحيلي (١/ ٢٥١).

(٣) سورة آل عمران، الآية: (١٥٢).

(٤) التيسير في أحاديث التفسير، لمكي الناصري (١/ ٢٧٠).

## المطلب الثالث سنة الله تعالى في الاستبدال

### الاستبدال في اللغة:

استبدل يستبدل، استبدالاً، فهو مُستبدل، واستبدل العفو بالعقاب<sup>(١)</sup>، يقول تعالى: ﴿أَسْتَبْدِلُوكَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وقيل المعنى: إن تتولوا يستبدل قوماً أطوع له منكم<sup>(٣)</sup>.

### الاستبدال في الاصطلاح:

أصل "الاستبدال": هو ترك شيء لآخر غيره مكان المتروك<sup>(٤)</sup>.  
وقال القرطبي: الاستبدال: وضع الشيء موضع الآخر، ومنه البذل<sup>(٥)</sup>.  
وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾<sup>(٦)</sup> أي: "إن تعرضوا عن الإيمان والتقوى وعن طاعة الله واتباع شرعه، يستبدل قوماً آخرين يكونون مكانكم هم أطوع لله منكم، أي يكونون سامعين مطيعين لله ولأوامره، وليسوا أمثالكم في التولي عن الإيمان والتقوى، وفي البخل بالإنفاق في سبيل الله"<sup>(٧)</sup>.  
وقد أرشدت الآيات إلى أن الله قد أنذر عباده وحذرهم من إهمال حمل المسؤولية والقيام بأعباء التكاليف، فهم إن أعرضوا عن الإيمان والجهاد والتقوى، استبدل قوماً غيرهم يكونون

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار، (١٧٢/١).

(٢) سورة البقرة: الآية (٦١).

(٣) لسان العرب: لابن منظور، (٥٠٦/١٢).

(٤) جامع البيان، للطبري، ت شاكر (١٣٠ / ٢).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٤٢٨ / ١).

(٦) سورة محمد، الآية: (٣٨).

(٧) التفسير المنير للزحيلي (١٣٩ / ٢٦).

أطوع لله منهم، ثم يكونون أفضل وأمثل وأحسن منهم، وتلك هي سنة الله في خلقه، وليسوا أمثال المستبدل بهم في البخل بالإنفاق في سبيل الله، كما قال الطبري. والأولى العموم، أي لا يكونوا أمثالكم في الوصف، ولا في الجنس، كما ذكر الرازي. وقال الزمخشري: أي يخلق قوماً على خلاف صفتكم راغبين في الإيمان والتقوى، غير متولين عنهما، كقوله تعالى: ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٦).<sup>(١)</sup>

وقد اختلف المفسرون في تعيين أولئك القوم الجدد، ف قيل: هم الملائكة، أو الأنصار، أو التابعون، أو أهل اليمن، أو كندة والنخع، أو العجم، أو فارس والروم. والأولى تفويض ذلك إلى علم الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

ولنا نماذج كثيرة في سنة الاستبدال التي ذكرها الله عز وجل في كتابه الكريم، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١١٢).<sup>(٣)</sup>

وفي هذه الآية بيان سنة الاستبدال، وهي استبدال نعمة الأمن والطمأنينة بالجوع والخوف، أي جعل الله تعالى القرية التي هذا حالها، وهي أنها كانت تعيش بأمن واطمئنان ولا يزعجها قلق ولا خوف ويأتيها رزقها رغداً أي واسعاً من كل مكان، جعل الله تعالى هذه القرية مثلاً لأهل مكة ولكل قوم أنعم الله تعالى عليهم بنعمة الأمن والرزق الوفير الواسع فأبطرتهم هذه النعمة فلم يقدروها حق قدرها ولم يشكروا الله عليها ولم يقوموا بحقها فأنزل الله فيهم نعمته، فليحذر غيرهم أن يفعلوا فعل أهل هذه القرية التي ضربها الله مثلاً؛ لنلا يصيبهم ما

---

(١) سورة فاطر، الآية: (١٦).

(٢) التفسير المنير للزحيلي (٢٦ / ١٤١).

(٣) سورة النحل، الآية: (١١٢).

أصابهم، كما أن هذه السنة الكونية جارية على كل قرية أو أمة لم تشكر الله تعالى على ما أنعم به عليها،<sup>(١)</sup>.

وهذه سنته سبحانه وتعالى في البطرين تخريب ديارهم وإهلاكهم، ومعنى ذلك أن بطر النعمة قد يستوجب مثل هذا الجزاء كما أنه قد يستوجب العقاب الجوع والخوف الذي ذكرته في الفقرة السابقة، فهذا الجزاء أو ذاك يمكن أن يصيب البطرين أو يصيبهم كلاهما. قال تعالى في جزاء البطرين بالتخريب والتدمير: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِشَتَهَا فَنَلَكْ مَسْكَنُهَا لَمْ تَسْكَنْ مِنْ بَعْدِهَا إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، أي وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها أي كانت حالهم كحال أهل مكة في الأمن وخفض العيش والدعة حتى بطروا واغتروا ولم يقوموا بحق النعمة ولم يشكروا الله عليها فدمرهم الله تعالى وخرّب ديارهم، فليعتبر كل قوم أن يصيبهم مثل ما أصاب أولئك إذا فعلوا فعلهم في بطر النعمة<sup>(٣)</sup>.

ومن سنة الله في البطرين إهلاك زروعهم وثمارهم، فليس عقاب البطرين واحداً فقد يكون بالخوف والجوع كما ذكرنا، وقد يكون بتخريب بيوتهم وإهلاكهم، وكما ذكرنا أيضاً، وقد يكون بإهلاك زروعهم وثمارهم، وقد تجتمع هذه الجزاءات عليهم فيعاقبوا بالخوف والجوع ثم بإهلاك الزروع والثمار ثم بتخريب بيوتهم وتدميرهم، وقد يحل بهم جزاء واحد فيتوبوا، والله الحكمة البالغة يفعل ما يشاء، فمن الجزاء بإهلاك زروع وثمار البطرين ما ذكره الله تعالى بأهل سبأ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُمْ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: الكشف للزمخشري، (٢/ ٦٣٨)، روح المعاني، للألوسي، (١٤ / ٢٤٢).

(٢) سورة القصص، الآية: (٥٨).

(٣) الكشف، للزمخشري (٣ / ٤٢٣)، روح المعاني، للألوسي (٢٠ / ٩٨).

(٤) سورة سبأ، الآية: (١٥).

وهذه الآيات الكريمة نزلت في أهل سبأ وقد كان من أخبارهم التي تشير إليها هذه الآيات أنهم كانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وفي عيشهم واتساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم وقد بعث الله إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه تعالى ويشكروه على نعمه بتوحيده وعبادته، فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى، ثم أعرضوا عما أمروا به أي أعرضوا عن توحيد الله وعبادته وحده وشكركه على ما أنعم به عليهم وعدلوا إلى عبادة غير الله تعالى فأرسل عليهم السيل العرم وهو المطر الشديد وعن ابن عباس وغيره هو اسم الوادي الذي كان يأتي السيل فيه ، وبني السدّ فيه فأغرق أرضهم وزروعهم وبساتينهم المثمرة وعوضهم الله عنها ببساتين ثمرها مرٌّ وبأثل وهو شجر يشبه الطرفاء وشيء من سدر قليل. ثم بيّن تعالى أن ما حلّ بهم من العقاب إنما هو جزاء كفرانهم النعمة التي أنعم الله بها عليهم ، وهل يعاقب إلا الكفور بنعم الله تعالى<sup>(١)</sup>.

فمن سنة الله تعالى في الذين لا يؤدون شكر الله على ما أنعم به عليهم، إنزال العقاب الذي يستحقونه، ومن أشد ذلك العقاب استبدال كل تلك النعم التي كانوا يتتعمون بها وسلبها منهم، ومنه العقاب المذكور في هذه الآيات التي عاقب بها أهل سبأ، استبدال البساتين المثمرة بأثل وشيء من السدر قليل.

فسنة الله في تغيير النعم واستبدالها واضح وجلي في آيتين:

**الأولى:** قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>، أي إن الله تعالى لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية بأن يسلبها منهم حتى يغيروا ما بأنفسهم أي ما اتصفت به أنفسهم من الأحوال الحميدة، فإذا حصل هذا التغيير منهم فقدوا ما عندهم من نعمة<sup>(٣)</sup>.

---

(١) ينظر: الكشف للزمخشري، (٣/ ٥٧٣، ٥٧٤)، وروح المعاني: للألوسي (٢٢/ ١٢٦).

(٢) سورة الرعد: الآية (١١).

(٣) ينظر: الكشف، للزمخشري (٢/ ٥١٧).

وقال الإمام الرازي في هذه الآية: إن كلام جميع المفسرين يدل على أن المراد: أن الله تعالى لا يغير ما هم فيه من النعم بإنزال الانتقام منهم إلا بأن يكون منهم المعاصي والفساد<sup>(١)</sup>.

**الثانية:** قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، أي لم يكن شأنه تعالى ولا مقتضى سننه العامة في خلقه أن يغير نعمة ما أنعمها على قوم حتى يغيروا هم ما بأنفسهم من الأحوال التي استحقوا بها تلك النعمة<sup>(٣)</sup>، فنعم الله تعالى على الأقوام والامم منوطة ابتداء ودواماً بأخلاق وصفات وعقائد وعوائد وأعمال تقتضيها، فما دامت هذه الأشياء لاصقة بأنفسهم متمكنة فيها كانت تلك النعم ثابتة بثباتها حسب سنة الله تعالى العامة في خلقه ، فإذا هم غيروا ما بأنفسهم من تلك العقائد والأخلاق وما يترتب عليها من محاسن الأعمال غيّر الله عندئذ ما بأنفسهم وسلب نعمته منهم فصار الغني فقيراً والعزيز ذليلاً والقوي ضعيفاً، هذا هو الأصل المطرد في الأقوام والأمم وهو كذلك في الأفراد<sup>(٤)</sup>.

فسنة الله في تغيير النعم تجري على الجماعة المسلمة، فما دامت مستمسكة بشرع الله في عملها وبالاعتصام بحبل الله في وحدتها فإن نعم الله عليها بالتأييد والنصر ودفع الأذى عنها باقية فإذا غيرت ذلك فلم تتقيد بشرع الله في عملها وفرطت في وحدتها فإنها تسلب من نعم الله بالتأييد لها بقدر ما ضيعته من موجبات هذه النعم.

---

(١) مفاتيح الغيب: الرازي (٢٢/١٩).

(٢) سورة الأنفال: الآية (٥٣).

(٣) تفسير القرآن الحكيم: لرشيد رضا (٣٦/١٠).

(٤) تفسير القرآن الحكيم: لرشيد رضا (٣٧/١٠).

## **المبحث الثاني**

### **السنن الربانية في القرآن الكريم المتعلقة بالأفراد الظالمين**

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** بلعم بن باعورا.

**المطلب الثاني:** الوليد بن المغيرة.



## المطلب الأول

### السنة الربانية في بلعم بن باعورا

يقول الحق سبحانه وتعالى في شأن هذا الظالم لنفسه: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايِنًا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيِنِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيِنِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾<sup>(١)</sup>.

في معاني هذه الآيات، يقول الحق سبحانه وتعالى لرسوله محمد ﷺ، ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>: أي اقرأ على قومك وعلى كل من يبلغه هذا الكتاب من سائر الناس.

﴿نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايِنًا﴾ أي: خبر الرجل الذي أعطيناه آيتنا تحمل الأدلة والحجج والشرائع والأحكام والآداب فتركها وابتعد عنها فلم يتلها ولم يفكر فيها ولم يعمل بها لا استدلالاً ولا تطبيقاً، ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: لحقه وأدركه وتمكن منه إبليس؛ لأنه بتخليه عن الآيات وجد الشيطان له طريقاً إليه، ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ أي: الضالين الفاسدين الهالكين، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ أي: بالآيات إلى قمم المجد والكمال، وإلى الدرجات العلا في الدار الآخرة<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾<sup>(٤)</sup>: أي مال إليها وركن فأكب على الشهوات والسرف في

(١) سورة الأعراف، الآية: (١٧٥ - ١٧٧).

(٢) سورة الأعراف: الآية (١٧٥).

(٣) أيسر التفاسير: للجزائري (٢/ ٢٦٢).

(٤) سورة الأعراف: الآية (١٧٦).

الملذات، وأصبح لا هم له إلا تحصيل ذلك.

﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾: وترك عقله ووحى ربه عنده، فصار مثله أي صفته الملائمة له.

﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾: أي في اللهث والإعياء، والتبعية وعدم الاستقلال الذاتي.

﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾: فحيرته وتعبه لا ينقطعان أبداً.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾<sup>(١)</sup>: أي هذا المثل الذي ضربناه

لذلك الرجل الذي آتيناه آيتنا فانسلخ منها وكان من أمره ما قصصنا عليك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا في كل زمان ومكان، وعليه<sup>(٢)</sup>.

﴿فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> يا رسولنا، أي لعل قريشاً تتفكر فتعتبر وترجع

إلى الحق فتكمل وتسعد.

وقوله تعالى: ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾<sup>(٤)</sup>: أي قبح مثلاً مثل القوم الذين

كذبوا بآياتنا فجحدها بها حتى لا يوحدوا الله تعالى ولا يسلموا إليه.

﴿وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾: بتدنيسها بآثار الشرك والمعاصي<sup>(٥)</sup>.

وفي بيان هذه السنة الربانية على من ظلم نفسه بعد أن آتاه الله العلم، يقول صاحب الظلال في تفسيره لهذه الآية- رحمه الله:- " إنسان يؤتيه الله آياته، ويخلع عليه من فضله، ويكسوه من علمه، ويعطيه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع، ولكن ها هو ذا ينسلخ من هذا كله انسلاخاً، ينسلخ كأنما الآيات أديم له متلبس بلحمه فهو ينسلخ منها بعنف وجهد

(١) سورة الأعراف: الآية (١٧٧).

(٢) أيسر التفاسير: للجزائري (٢/ ٢٦٣).

(٣) سورة الأعراف: الآية (١٧٧).

(٤) أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٢٦٣).

ومشقة، انسلخ الحي من أديمه اللاصق بكيانه، أو ليست الكينونة البشرية متلبسة بالإيمان بالله تلبس الجلد بالكيان، ها هو ذا ينسلخ من آيات الله ويتجرد من الغطاء الواقى، والدرع الحامي وينحرف عن الهدى ليتبع الهوى ويهبط من الأفق المشرق، فيلتصق بالطين المعتم فيصبح غرضاً للشيطان لا يقيه منه واق، ولا يحميه منه حام فيتبعه ويلزمه ويستحوذ عليه، ثم إذا نحن أولاء أمام مشهد مفزع بئس نكد، إذا نحن بهذا المخلوق، لاصقاً بالأرض، ملوثاً بالطين، ثم إذا هو مسخ في هيئة الكلب، يلهث إن طورد ويلهث إن لم يطارد، كل هذه المشاهد المتحركة تتتابع وتتوالى والخيال شاخص يتبعها"<sup>(١)</sup>.

ومن هذه السنة الربانية المتمثلة في خطر شأن هذا الخبر الذي أمر تعالى رسوله أن يتلوه على الناس نستنبط فوائد كثيرة ومنها:

١ - ترك القرآن الكريم بعدم تلاوته والتدبر فيه، وترك العمل به مفض بالعبد إلى أن يكون هو صاحب المثل في هذه الآية، فأولاً: يتمكن منه الشيطان فيصبح من الغواة. وثانياً: يخلد إلى الأرض كما هو حال الكثيرين، فلا يكون لأحدهم هم إلا الدنيا. ثم يتبع هواه لا عقله ولا شرع الله، فإذا به صورة لكلب يلهث لا تتقطع حيرته وإتباعه لغيره كالكلب سواء بسواء وهذه حال من أعرضوا عن كتاب الله تعالى في هذه الآية فليتأملها العاقل<sup>(٢)</sup>.

٢ - لا رفعة ولا سعادة ولا كمال إلا بالعمل بالقرآن فهي الآية الرافعة لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ أي بالآيات التي انسلخ منها والعياذ بالله.

٣ - الهداية بيد الله ألا فليطلبها من أرادها من الله بصدق القلب وإخلاص النية فإن الله تعالى لا يحرمه منها، ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ

---

(١) في ظلال القرآن: لسيد قطب (٣/ ١٣٩٦).

(٢) أيسر التفاسير: للجزائري (٢/ ٢٦٣).

كَثِيرًا مِّنَ الْجِنَّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا  
أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ  
يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ (١) (٢).

٥ - إنه مثل لكل من آتاه الله من علم الله فلم ينتفع بهذا العلم ولم يستقم على طريق الإيمان، وانسلخ من نعمة الله؛ ليصبح تابعاً ذليلاً للشيطان، ولينتهي إلى المسخ في مرتبة الحيوان! ثم ما هذا اللهاث الذي لا ينقطع؟ (٣).

وللإشارة إلى هذه السنة الربانية في هذا المثال للعبد الظالم لنفسه، هي أيضاً خسارة في الآخرة، وبعد خسارته دنياه، يخسر آخرته، وذلك هو الخسران المبين، والله أعلم.

(١) سورة الأعراف، الآية: (١٧٩ - ١٨١).

(٢) أيسر التفاسير للجزائري (٢ / ٢٦٤).

(٣) في ظلال القرآن (٣ / ١٣٩٨).

## المطلب الثاني

### السنة الربانية في الوليد بن المغيرة

إن سنة الله تعالى تتحقق في هذا العبد لما قام به من ظلم نفسه، وذلك بإنكاره للرسالة السماوية المنزلة على سيد الخلق محمد ﷺ، وجحوده وتكذيبه لكل ما جاء به ﷺ من الحق والهدى،

١ - قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾<sup>(١)</sup>.

هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة وهي إحدى سنن الله تعالى الربانية في فرد من أفراد هذه الأمة الذي كان ظالم لنفسه، فقد قال الوليد ذات يوم: لو كانت النبوة حقاً، لكنت أولى بها من محمد لأنني أكبر منه سناً، وأكثر منه مالاً وولداً، والمناسبة في هذه الآية: يمكننا القول بأن الله بعد أن أبان سنته في البشر، بأن يكون في كل بلد أو جماعة زعماء مجرمون يقاومون دعوة الرسل والإصلاح، أوضح أن هذه السنة موجودة في زعماء مكة الذين دفعهم المكر والحسد وأنه متى ظهرت لهم معجزة قاهرة تدل على نبوة محمد ﷺ، قالوا: لن نؤمن حتى يحصل لنا مثل هذا المنصب من عند الله<sup>(٢)</sup>.

وكذلك يجعل الله كبار أئمة الهدى وأفاضلهم، يناضلون هؤلاء المجرمين، ويردون عليهم أقوالهم ويجاهدونهم في سبيل الله، ويسلكون بذلك السبل الموصلة إلى ذلك، ويعينهم الله ويسدد رأيهم، ويثبت أقدامهم، ويداول الأيام بينهم وبين أعدائهم، حتى يدول الأمر في عاقبته بنصرهم وظهورهم، والعاقبة للمتقين. وإنما ثبت أكابر المجرمين على باطلهم، وقاموا برد

(١) سورة الأنعام: الآية (١٢٤).

(٢) التفسير المنير للزحيلي (٨/ ٣٣، ٣٤)

الحق الذي جاءت به الرسل، حسداً منهم وبغياً، فقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى تُؤْتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup> من النبوة والرسالة<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا اعتراض منهم على الله، وعجب بأنفسهم، وتكبر على الحق الذي أنزله على أيدي رسله، وتحجر على فضل الله وإحسانه. فرد الله عليهم اعتراضهم الفاسد، وأخبر أنهم لا يصلحون للخير، ولا فيهم ما يوجب أن يكونوا من عباد الله الصالحين، فضلاً أن يكونوا من النبيين والمرسلين، فقال: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾<sup>(٣)</sup> فيمن علمه يصلح لها، ويقوم بأعبائها، وهو متصف بكل خلق جميل، ومتبرئ من كل خلق دنيء، أعطاه الله ما تقتضيه حكمته أصلاً وتبعاً، ومن لم يكن كذلك، لم يضع أفضل مواهبه، عند من لا يستأهله، ولا يزكو عنده<sup>(٤)</sup>.

وفي هذه الآية، دليل على كمال حكمة الله تعالى، لأنه، وإن كان تعالى رحيمًا واسع الجود، كثير الإحسان، فإنه حكيم لا يضع جوده إلا عند أهله، ثم توعده المجرمين فقال تعالى: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾<sup>(٥)</sup> أي: إهانة وذل، كما تكبروا على الحق، أذلهم الله.

﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾<sup>(٦)</sup> أي: بسبب مكرهم، لا ظلما منه تعالى<sup>(٧)</sup>. فالنبوة أو الرسالة تمنح لمن هو مأمون عليها وموضع لها، وأقدر على تحمل أعبائها،

(١) سورة الأنعام: الآية (١٢٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص (٢٧٢).

(٣) سورة الأنعام، الآية: (١٢٤).

(٤) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٢٧٢).

(٥) سورة الأنعام، الآية: (١٢٤).

(٦) سورة الأنعام، الآية: (١٢٤).

(٧) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٢٧٢).

وليست هي مثل مناصب الدنيا التي تعتمد على النفوذ والسلطة أو المال والجاه، أو النسب، أو كثرة الأعوان والأولاد. وما على الناس إلا الإيمان بما جاء به الأنبياء لأن نبوتهم تثبت بدليل قاطع، وبمعجزة خارقة للعادة. فإن لم يؤمنوا أصابهم أمران: صغار وذل وهوان، وعذاب الله الشديد في الآخرة، بسبب إجرامهم ومكرهم، وحسدهم وحقدهم، وهذا حق وعدل، تمييزا بين الطائعين وبين العصاة، وإنما قدم الصغار على ذكر الضرر، لأن القوم إنما تمردوا على طاعة محمد ﷺ طلبا للعز والكرامة، فقابلهم الله بضد مطلوبهم<sup>(١)</sup>.

٢ - قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۖ وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۖ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۚ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۚ عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ۚ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۚ ۝١٥ سَنَسِفُهُ عَلَىٰ غُرُطٍ ۚ ۝١٦﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي معاني هذه الآيات: يقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾<sup>(٣)</sup>: أي ولا تطع يا محمد كثير الحلف بالحق والباطل، الذي يكثر من الحلف مستهينا بعظمة الله. ﴿مَّهِينٍ﴾: أي فاجر حقير ﴿هَمَّازٍ﴾: أي مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والعيب. ﴿مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾<sup>(٤)</sup>: أي يمشي بالنميمة بين الناس، وينقل حديثهم ليقع بينهم وهو الفتان، وفي الحديث الصحيح «لا يدخل الجنة نام»<sup>(٥)</sup>، ﴿مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ﴾: أي بخيل ممسك عن الإنفاق في سبيل الله.

(١) التفسير المنير للزحيلي (٨ / ٣٥).

(٢) سورة القلم، الآية: (٩ - ١٦).

(٣) سورة القلم، الآية: (١٠).

(٤) سورة القلم، الآية: (١١).

(٥) صفوة التفاسير: لمحمد علي الصابوني (٣ / ٤٠٢).

﴿مُعْتَدٍ أَثِمٍ﴾<sup>(١)</sup>، أي: ظالم متجاوز في الظلم والعدوان، كثير الآثام والإجرام، وجاءت الأوصاف {حلاف، هماز، مشاء، مناع} بصيغة المبالغة للدلالة على الكثرة.

﴿عُتِلَ﴾، أي: جاف غليظ، قاسي القلب عديم الفهم ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾، أي: بعد تلك الأوصاف الذميمة التي تقدمت.

﴿زَنِيمٍ﴾: أي ابن زنا، وهو أشد معايبه واقبحها، أنه لصيق دعي ليس له نسب صحيح، وقال المفسرون: نزلت في «الوليد بن المغيرة» فقد كان داعياً في قريش وليس منهم، ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة أي تبناه ونسبه لنفسه بعد أن كان لا يعرف له أب قال ابن عباس: لا نعلم أحدا وصفه الله بهذه العيوب غير هذا، فألحق به عارا لا يفارقه أبداً، وإنما ذم بذلك؛ لأن النطفة إذا خبثت خبث الولد<sup>(٢)</sup>.

وهذه الآية عند أكثر المفسرين نزلت في الوليد بن المغيرة<sup>(٣)</sup>.

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قوله تعالى: ﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>، قال: «رجل من قريش له زنمة مثل زنمة الشاة»<sup>(٥)</sup>.

وقد روي أن الآية لما نزلت جاء الوليد إلى أمه فقال لها: إن محمداً وصفني بتسع صفات، كلها ظاهرة فيّ، أعرفها غير التاسع منها يريد أنه زنيم، فإن لم تصدقيني ضربت عنقك

---

(١) سورة القلم، الآية: (١٢).

(٢) صفوة التفاسير: لمحمد علي الصابوني (٣/ ٤٠٢).

(٣) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: لمحمد بن عمر نووي الجاوي البننتي، التتاري، (ت: ١٣١٦هـ)، تحقيق: محمد أمين الصناوي، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط: الأولى - ١٤١٧هـ (٢/ ٥٥١).

(٤) سورة القلم، الآية: (١٣).

(٥) (عتل) غليظ جاف شديد الفتك وقيل الأكل الشروب القوي الشديد. (بعد ذلك) مع ذلك. (زنيم) دعي ملحق النسب ملصق بالقوم وليس منهم والزنيم أيضاً اللثيم المعروف بلؤمه وشره. (رجل) هو الوليد ابن المغيرة وقيل غيره. (زنمة) قطعة جلد أو لحم زائدة. (زنمة الشاة) هي ما يقطع من أذننها ويترك معلقاً، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (٦/ ١٥٩).



بالسيف، فقالت له: إن أباك كان عنيماً أي لا يستطيع معايشة النساء فخفت على المال فمكنت راعياً من نفسي فأنت ابن ذلك الراعي، فلم يعرف أنه ابن زنا حتى نزلت الآية ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾<sup>(١)</sup>: أي لأن كان ذا مال وبنتين قال في القرآن ما قال، وزعم أنه أساطير الأولين؟ وكان ينبغي أن يقابل النعمة بالشكر لا بالجحود والتكذيب، وقوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾<sup>(٢)</sup>: أي إذا قرئت آيات القرآن على ذلك الفاجر قال مستهزئاً ساخراً: إنها خرافات وأباطيل المتقدمين اختلقها محمد ونسبها إلى الله، قال تعالى رداً عليه متوعداً له بالعذاب: ﴿سَنَسِفُهُ عَلَىٰ غُرُطِهِ﴾<sup>(٣)</sup>: أي سنجعل له علامة على أنفه بالخرطوم عليه يعرف بها إلى موته، وكني بالخرطوم عن أنفه على سبيل الاستخفاف به؛ لأن الخرطوم للفقير والخنزير، فإذا شبه أنف الإنسان به كان ذلك غاية في الإذلال والإهانة كما يعبر عن شفاة الناس بالمشافر، وعن أيديهم وأرجلهم بالأظلاف والحوافر<sup>(٤)</sup>.

ومن هذه السنة الإلهية نستنبط فوائد وهي ما أرشدت إليها الآيات وهي كالتالي:

١ - نهى الله تعالى نبيه - والنهي يقتضي التحريم - ومثله المؤمنون، عن ممايلة المشركين المكذبين لرسالته، وكانوا يدعونه إلى أن يكف عنهم ليكفوا عنه، فبين الله تعالى أن مما يلتهم كفر.

٢ - تمنى الكفار ملاينة النبي ﷺ ومصانعتهم ومجاملتهم في أديانهم، فيلينون له في دينه، فإنهم طلبوا أن يعبد آلهتهم مدة، ويعبدوا إلهه مدة، ولكن الله نهاه عن ذلك.

٣ - خصص الله من بين المكذبين النهي عمن اتصف بصفات عشر: هي الحلاف:

(١) سورة القلم: الآية (١٤).

(٢) سورة القلم: الآية (١٥).

(٣) سورة القلم: الآية (١٦).

(٤) صفوة التفاسير: لمحمد علي الصابوني (٣/ ٤٠٣، ٤٠٤).

الكثير الحلف، المهين: الحقير الرأي والتمييز والتفكير، الهماز: الذي يذكر الناس في وجوههم، وهو غير اللماز: الذي يذمهم في مغيبهم، النمام: الذي يمشي بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم، المناع للخير: للمال أن ينفق في وجوهه، ويمنع الناس عن الإسلام، المعتدي: أي الظالم، المتجاوز الحد، صاحب الباطل، الأثيم: الكثير الإثم والذنوب، العتل: الغليظ الجافي الشديد في كفره الشديد الخصومة بالباطل، الزنيم: الملتصق بالقوم الدعي، وكان الوليد بن المغيرة المخزومي دعياً في قريش، ليس من أصلهم، ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده، كما تقدم، [الطاغية المفتري]<sup>(١)</sup>.

٤ - وبخ الله الوليد على مقابلته الإحسان والنعمة بالإساءة، فقد أنعم الله عليه بالمال والبنين، فكفر واستكبر، وهكذا تجري سنة الله تعالى الكونية فيمن لم يقابل ما أنعم الله به عليه بالحمد والشكر.

٥ - هدد الله الوليد بالوسم على أنفه في الدنيا، وبالعلامة الظاهرة على أنفه في الآخرة. قال ابن عباس: سنسمه: سنخطمه بالسيف، وقد خطم الذي نزلت فيه يوم بدر بالسيف، فلم يزل مخطوماً إلى أن مات. وقال قتادة: سنسمه يوم القيامة على أنفه سمة يعرف بها، وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾<sup>(٢)</sup> فهذه علامة ظاهرة، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾<sup>(٣)</sup>، وهذه علامة أخرى ظاهرة، فأفادت هذه الآية: سنسمه، علامة ثالثة وهي الوسم على الأنف بالنار، والراجح لدى الباحث أيضاً أن هذا الوسم يكون في الدارين، وهذا كله نزل في الوليد بن المغيرة، ولا نعلم أن الله تعالى بلغ من ذكر

---

(١) التفسير المنير للزحيلي (٢٩ / ٥٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٠٦).

(٣) سورة طه: الآية (١٠٢).

عيوب أحد ما بلغه منه فألحقه به عاراً، لا يفارقه في الدنيا والآخرة كالوسم على الخرطوم<sup>(١)</sup>. وقال ابن العربي<sup>(٢)</sup> بمناسبة قوله تعالى: سنسمه: كان الوسم في الوجه لذي المعصية قديماً عند الناس، حتى إنه روي أن اليهود لما أهملوا رجم الزاني<sup>(٣)</sup>، اعتاضوا عنه بالضرب وتحميم الوجه<sup>(٤)</sup>، وهذا وضع باطل، ومن الوسم الصحيح في الوجه: ما رأى العلماء من تسويد وجه شاهد الزور علامة على قبح المعصية، وتشديداً لمن يتعاطاها لغيره، ممن يرجى تجنبه بما يرجى من عقوبة شاهد الزور وشهرته، وقد كان عزيزاً بقول الحق، وصار مهيناً بالمعصية، وأعظم الإهانة: إهانة الوجه، وكذلك كانت الاستهانة به في طاعة الله سبباً لحياة الأبد، والتحریم له على النار فإن الله قد حرم على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود حسبما ثبت في الصحيح<sup>(٥)</sup>.

وهكذا تتجلى سنن الله الربانية في الظلمة والمجرمين سواء كانوا أفراداً كما هو حال الوليد بن المغيرة، أو جماعات كما ذكرنا عنهم في مبحث سابق والله أعلم.

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٢٩ / ٥٦).

(٢) هو: الإمام العلامة الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي، تفقه بالإمام أبي حامد الغزالي، والفقيه أبي بكر الشاشي، والعلامة الأديب أبي زكريا التبريزي، وجماعة، رجع إلى الأندلس بعد أن دفن أباه في رحلته أظن ببيت المقدس وصنف، وجمع، وفي فنون العلم برع، وكان فصيحاً بليغاً خطيباً، له مصنفات عدة منها (عارضة الأحوزي في شرح جامع أبي عيسى الترمذي، وكتاب "ستر العورة وأحكام القرآن، وغيرها، ينظر: تاريخ دمشق: لابن عساكر، (٢٤ / ٥٤)، وسير أعلام النبلاء: للذهبي، (٤٣ / ١٥).

(٣) التفسير المنير للزحيلي (٢٩ / ٥٥).

(٤) تحميم الوجه: تسخيمه بالفحم وتسويده، ينظر: عمدة الباري شرح صحيح البخاري، (٢٩٤ / ٢٣).

(٥) أحكام القرآن لابن العربي: (٤ / ١٨٤٥).

## **المبحث الثالث**

### **السنن الربانية في حاضر الأمة**

وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** كثرة الكوارث الطبيعية.

**المطلب الثاني:** الأزمات الاقتصادية.

**المطلب الثالث:** كثرة انتشار الحروب والأوبئة.

## المطلب الأول

### كثرة الكوارث الطبيعية

لا شك أن الطبيعة لا تفعل شيئاً بذاتها، فهي من صنع الله تعالى وخلقه، فهذا من المعلوم عند كل مسلم، ونسبة الكوارث للطبيعة نسبة لمحلها لا لفاعلها، وهذه النسبة مجازية، فإن الفاعل حقيقة هو الله تعالى وحده، والمسلم إذا قال هذا اللفظ فإنه يقصد محل وقوعه لا أن الطبيعة هي التي فعلته، وعلى ذلك لا حرج في استعماله إن شاء الله تعالى.

وإن من آثار ونتائج من يتعاملون مع السنن الربانية بسلبية؛ أن الله يعاقبهم بعقاب من عنده، ولا سيما عن طريق الكوارث الطبيعية، كالزلازل والفيضانات والأعاصير والأوبئة والأمراض وأنواع القحط والجذب، وغيرها<sup>(١)</sup>.

وعند حدوث مثل هذه الكوارث يجب ربطها بالسنن الربانية، والتذكير بانتقام الله تعالى، وبآثار الذنوب والمعاصي على تغير الأحوال<sup>(٢)</sup>.

وإن من رحمة الله بالخلق أنه لا يعذبهم بعذاب عام ينال المسيء والمحسن إلا إذا فشا فيهم الخَبَثُ، وابتعدوا عن منهج الله، قال المهلب<sup>(٣)</sup>: ظهور الزلازل والآيات وعيدٌ من الله

---

(١) التيسير في أحاديث التفسير: لمحمد المكي، (١/١٩٠).

(٢) خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة: عبد الغني أحمد جبر مزهر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ، ص (١١٢).

(٣) هو: أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة، البصري قال الحاكم: أنه ولد على عهد رسول الله ﷺ وأن أباه وفد على أبي بكر ومعه عشرة من أولاده وكان المهلب أصغرهم فنظر إليه عمر فقال لأبي صفرة هذا سيدهم وأشار إلى المهلب، روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابن عمر وسمرة بن جندب والبراء بن عازب وغيرهم، توفي سنة (٨٣هـ)، ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥هـ (٣ / ٥٣٥).

تعالى لأهل الأرض، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخَوِيفًا﴾ (٥٩)، والتخويف والوعيد بهذه الآيات إنما يكون عند المجاهرة والإعلان بالمعاصي، ألا ترى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حين زلزلت المدينة في أيامه قال: يا أهل المدينة! ما أسرع ما أحدثتم، والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم، فخشي أن تصيبه العقوبة معهم» (٢).

"حينها يكون الهلاك خيراً عند أهل الإيمان المغلوبين على أمرهم من الحياة وسط بيئة يُحَارَب فيها الله صباح مساء، ويجاهر فيها بمعصيته ومخالفته، وعلى هذا جرت سنة الله في خلقه؛ فمتى استشرى السرطان في الجسد وتمكن منه فغلب عليه وساد أعضائه؛ بعث الله برحمته ملك الموت؛ ليقبض المصاب على الرغم من صلاح الكبد والطحال أو غيرها من الأعضاء، فيموت المريض وله قلب ينبض، وعقل يحمد، ولو مدَّ الله في أجله لفسدا تأثراً بالبيئة السرطانية، وهكذا إذا استشرى الفساد في المجتمعات، وأبى مفارقتها أهلُ الصلاح، أوشك أن يعمهم العذاب، إما عقوبة لهم على بقائهم، أو رحمة بهم قبل أن ينالهم الفساد الذي أحكم قبضته فحال بينهم وبين المفارقة" (٣).

وعندما يتفكر الإنسان في عقوبة فرعون على سبيل المثال ويتفكر في قدرة الله سبحانه وتعالى، يعلم أن هذه العقوبة ليست خاصة بفرعون وجنوده، والدليل على ذلك هو ما حدث من فيضان وبركان تسونامي في إندونيسيا، فقد كان الصيادون على شاطئ البحر يصطادون، وكان في هذه الشواطئ النساء العرايا، وكان فيها بلاء، فإذا بأمواج البحر تتحسر على بعد اثنين كيلو، فوجدوا أمامهم السمك على الأرض اليابسة، فجروا وراء السمك، ودخلوا

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٥٩).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: لأبي محمد محمود بن بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د، ت، ط، ح، رقم (٦٣٠١) (٥٧/٧)، (باب ما قيل في الزلازل والآيات)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) مجلة البيان: تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد الثالث، (٢١٩/٣).

اثنين كيلو في البحر وراء السمك حتى يأخذوها، ونسوا ما حصل لفرعون، فلما وصلوا إلى السمك جاءهم الطوفان العجيب، فأخذهم وارتفع بهم وأهلكهم ودمرهم، وجاءهم أمر الله سبحانه وتعالى، وقد ظنوا أنهم في أمان؛ لأن البحر صار يابساً، فنزلوا ليأخذوا ما فيه، فإذا بالأمواج تأتي عليهم، وكما صنع بفرعون وجنوده صنع بهؤلاء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فالقصاص القرآنية ليست للتسلية وإنما؛ ليعتبر بها أولو الألباب، فما من قصة إلا وفيها الكثير من العبر، فإذا صنعت أمة أو مجتمع صنعة تغضب الله تعالى فسيصيبها من الله تعالى ما أصاب الأمم السابقة من البلاء والبطش والانتقام، فسنة الله تعالى جارية على كل من خالف منهجه تعالى، كما جرت على من كان قبلهم، فمن تعالى على الله أذله، ومن تكبر عليه قصمه، وهكذا تجري سنة الله تعالى الربانية على جميع خلقه.

## المطلب الثاني

### الأزمات الاقتصادية

من العقوبات التي يمكن أن تنزل على الناس: الأزمات الاقتصادية التي تحل بالمجتمعات، والناس قد يفسرون الظواهر تفسيراً مادياً، الأزمة بسبب كذا، وبسبب كذا، بسبب حروب مادية، والمؤمن الذي يؤمن بالقضاء والقدر، ويؤمن بما جاء في سنة الرسول ﷺ، يلحظ كثيراً من الأمور، قد يكون لها سبب مادي، لكن وراء السبب المادي سبب شرعي وقع الناس فيه، أو خضعوا لسنة من السنن الكونية، فالأزمات الاقتصادية التي تحل بالمجتمعات هي من العقوبات، وقد تصل هذه الأزمات في بعض المجتمعات الإسلامية إلى حالة من الفقر يرثى لها، حتى إنك تجد أن الإنسان يتعب وراء لقمة العيش فلا يجدها، وهذا يؤدي بهم إلى أنواع من التقصير الشرعي -أيضاً-؛ لأن الإنسان إذا انشغل بالبحث عن لقمة العيش قد ينسى كثيراً من أوامر الدين -أيضاً- فيعاقب -أيضاً- بعقوبة أخرى حتى في دينه، والمنكرات سلسلة إذا بدأ الإنسان فيها تسلسلت بعضها وراء بعض<sup>(١)</sup>.

وفي سبيل توضيح توجيهات القرآن في جانب الاقتصاد، سلك القرآن الكريم مسالك عديدة، وتنوعت مفاهيم التعبير فيه من خلال النصوص الاقتصادية التي تشكل مجموعة القواعد الأساسية التي يبني عليها الإنسان اختياراته؛ ليحقق رفايته ورفاهية مجتمعه ومن هذه المفاهيم:

أ- مفهوم الادخار وترشيد الاستهلاك: وهما سبيلان، للحفاظ على ثروات الأمة، ودرعان واثقان لها، في الأزمات، وأوقات الشدة، ويظهر هذا المعنى جلياً واضحاً في قصة يوسف عليه السلام لما قال الله تعالى على لسان الملك: ﴿إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ

---

(١) دروس صوتية، للشيخ: سلمان بن فهد بن عبد الله العودة، قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ( ١٤/٢٥٠ ).



عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضِرَ وَأُخِرَ يَابِسَتْ يَتَايَاهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

﴿١﴾، فرد الله تعالى على لسان نبيه يوسف عليه وعلى نبينا أزكى الصلاة وأتم التسليم، ﴿٤٣﴾

قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ

شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ

﴿٤٩﴾ ﴿٢﴾، فأوضح له السبيل والمخرج من الأيام العجاف بوجوب العمل بمفهوم الادخار،

وبصحبه ترشيد الاستهلاك، فينفعهم ما ادخروه أيام رخائهم في أيام شدتهم وقحطهم. وبهذا

الحزم وحسن التخطيط، تحيا الأمم مزدهرة، وتتجو من قبضة الأزمات الاقتصادية التي

تعصف بالأمم، فتتركها أثراً بعد عين (٣).

ب- ذم الترف والتباهي، والإسراف والاستطالة بالثراء على الخلق، وهي آفات، وخطايا

سلوكية تُعَجِّلُ بهلاك الأمم، وضياح الثروات. وفي هذا المعنى جاءت قصة عاد في سورة

الشعراء حين ينهاهم نبيهم هود عليه السلام، وينكر عليهم أعمالهم كما ورد على لسانه في

قوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَخْدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ

بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾﴾ (٤).

فبعد أن دعاهم هود عليه السلام لتقوى الله وطاعة رسوله، انتقل لحال خاص من

تصرفات القوم "فينكر عليهم الترف في البنیان، لمجرد التباهي بالمقدرة، والإعلان عن الثراء،

(١) سورة يوسف: الآية (٤٣).

(٢) سورة يوسف: الآية (٤٧ - ٤٩).

(٣) صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم - دراسة في التفسير الموضوعي: لعاطف إبراهيم المتولي رفاعي، إشراف

فضيلة الدكتور: حاتم محمد منصور مزروعة: رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة

المدينة العالمية، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م ص (٢٣٨).

(٤) سورة الشعراء: الآية (١٢٨ - ١٣١).

والتكاثر والاستطالة في البناء، كما ينكر عليهم غرورهم بما يقدرون عليه من أمر هذه الدنيا، وما يسخرونه فيها من القوى، وغفلتهم عن تقوى الله ورقابته، وفي الآيات توجيه إلى أن يُنفق الجهد، وتتفق البراعة، وينفق المال فيما هو ضروري، ونافع، لا في الترف والزينة ومجرد إظهار البراعة والمهارة ... وكان الأجدر بهم أن يتذكروا فيشكروا، ويخشوا أن يسلبهم ما أعطاهم، وأن يعاقبهم على ما أسرفوا في العبث والبطش والبطر الذميم<sup>(١)</sup>.

ولو تأمل متأمل؛ لوجد أن السبب المشترك في جميع الكوارث الاقتصادية، التي تحلّ بالدول، هم هؤلاء المترفون، الذين يجعلون جل همهم الاستمتاع بالتباهي، والاستطالة بالثراء على الخلق، والاستزادة من كل ما هو غير ضروري، ولا مفيد لأمتهم ومجتمعاتهم، فتراهم يعيشون لأنفسهم، لا يشاركون في نهضة، ولا يعاونون في عمل، وضررهم على مجتمعاتهم خطير جداً، مادياً ومعنوياً<sup>(٢)</sup>.

ج - تقرير حقيقة القيم، والاستمتاع بالطيبات. وفي هذا السياق "تجيء قصة قارون؛ لتعرض سلطان المال والعلم، وكيف ينتهي بالبوار مع البغي والبطر، والاستكبار على الخلق، ووجود نعمة الخالق. وتقرر حقيقة القيم، فتُرخص من قيمة المال والزينة، إلى جانب قيمة الإيمان، والصلاح، مع الاعتدال والتوازن في الاستمتاع بطيبات الحياة، دون علو في الأرض، ولا فساد"<sup>(٣)</sup>. يقول الله تعالى ﴿إِنَّ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٦٠٩، ٢٦١٠).

(٢) صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم: لعاطف ابراهيم، ص (٢٣٩).

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٦٠٩ - ٢٦١٠).

الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ (١).

قارون "نموذج مكرر في البشرية، فكم من الناس يظن أن علمه وكده هما وحدهما سبب غناه، ومن ثم فهو غير مسؤول عما ينفق وما يمسك، غير محاسب على ما يفسد بالمال وما يصلح، غير حاسب لله حساباً، ولا ناظر إلى غضبه ورضاه! والإسلام يعترف بالملكية الفردية، ويقدر الجهد الفردي الذي بذل في تحصيلها من وجوه الحلال التي يشرعها؛ ولا يهون من شأن الجهد الفردي أو يلغيه، ولكنه في الوقت ذاته يفرض منهجاً معيناً للتصرف في الملكية الفردية كما يفرض منهجاً لتحصيلها وتنميتها وهو منهج متوازن متعادل، لا يحرم الفرد ثمرة جهده، ولا يطلق يده في الاستمتاع به حتى الترف ولا في إمساكه حتى التقدير؛ ويفرض للجماعة حقوقها في هذا المال، ورقابتها على طرق تحصيله، وطرق تنميته. وطرق إنفاقه والاستمتاع به، وهو منهج خاص واضح الملامح متميز السمات" (٢).

ولكن قارون لم يستمع لنداء قومه، ولم يشعر بنعمة ربه، ولم يخضع لمنهجه القويم. وأعرض عن هذا كله في استكبار لئيم وفي بطر ذميم، وعندما تبلغ فتنة الزينة ذروتها، وتنهافت أمامها النفوس وتتهاوى، تتدخل يد القدرة؛ لتضع حداً للفتنة، وترحم الناس الضعاف من إغرائها، وتحطم الغرور والكبرياء تحطماً، ويجيء المشهد الثالث حاسماً ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ (٣).

هكذا في جملة قصيرة، وفي لمحة خاطفة: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ فابتلعت وابتلعت داره، وهوى في بطن الأرض التي علا فيها واستطال فوقها جزاء وفاقاً" (٤).

(١) سورة القصص: الآية (٧٦، ٧٧).

(٢) صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم: لعاطف إبراهيم المتولي، ص، (٢٤٠).

(٣) سورة القصص: الآية (٨١).

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٦١٢ - ٢٦١٣).

د - حسن الوفاء والعدالة في المعاملات، مع ذم بخس حقوق الناس. وهذا كله مما يساعد على تكوين مناخ اقتصادي مستقر، تسوده الأمانة، والإنصاف، والاطمئنان، فيزدهر به الاقتصاد، وتتمو به الأسواق، ويعم النفع على الجميع، ويبدو هذا الأمر واضحاً جلياً في سياق قصة شعيب عليه السلام مع قومه، قال الله تعالى ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومُ عَبْدُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ۝٨٤ وَيَنْقُومُ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٨٥﴾<sup>(١)</sup>، فها هنا شعيب عليه السلام حين أمر قومه بعبادة الله وحده، أتبع ذلك بالنهي "عن نقص المكيال والميزان وهو التطفيف إذا أعطوا الناس، ثم أمرهم بوفاء الكيل، والوزن بالقسط آخذين ومعطين"<sup>(٢)</sup>.

قال سيد قطب - رحمه الله -: "والقضية هنا هي قضية الأمانة والعدالة بعد قضية العقيدة والدينونة أو هي قضية الشريعة والمعاملات التي تنبثق من قاعدة العقيدة والدينونة، فقد كان أهل مدين وبلادهم تقع في الطريق من الحجاز إلى الشام ينقصون المكيال والميزان، ويبخسون الناس أشياءهم، أي ينقصونهم قيمة أشياءهم في المعاملات. وهي رذيلة تمس نظافة القلب واليد كما تمس المروءة والشرف. كما كانوا بحكم موقع بلادهم يملكون أن يقطعوا الطريق على القوافل الذاهبة الآيلة بين شمال الجزيرة وجنوبها. ويتحكموا في طرق القوافل ويفرضوا ما يشاءون من المعاملات الجائرة التي وصفها الله في هذه السورة، ومن ثم تبدو علاقة عقيدة التوحيد والدينونة لله وحده الجهة التي ترزقهم هذا الرزق. لا من إحياء الشيطان

(١) سورة هود: الآية (٨٤ - ٨٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٥٨٩ - ٥٩٠).

الذي لا يوحى بخير؛ لأنه عدو للناس بين العداوة. لا يأمرهم إلا بالسوء وبالفحشاء" (١).

وقوله سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١٧٢) (٢). "هذا أمر للمؤمنين خاصة، بعد الأمر العام، وذلك أنهم هم المنتفعون على الحقيقة بالأوامر والنواهي، بسبب إيمانهم، فأمرهم بأكل الطيبات من الرزق، والشكر لله على إنعامه، باستعمالها بطاعته، والتقوي بها على ما يوصل إليه، ... فالشكر في هذه الآية، هو العمل الصالح. وهنا لم يقل "حلالاً"؛ لأن المؤمن أباح الله له الطيبات من الرزق خالصة من التبعة؛ ولأن إيمانه يحجزه عن تناول ما ليس له." (٣).

وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢٧٨) (٤).  
وقوله تعالى أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٣٠) (٥)، هاتان الآيتان "نداء الله تعالى عباده المؤمنين ناداهم بعنوان الإيمان؛ لأن المؤمن حيّ بإيمانه، يسمع، ويعقل، ويقدر على الفعل، والترك، بخلاف الكافر، فإنه لا يسمع، ولا يعقل، ولا يفعل إن أمر، ولا يترك إن نُهي" (٦)، "إن النص يعلق إيمان الذين آمنوا على ترك ما بقي من الربا. فهم ليسوا بمؤمنين إلا أن يتقوا الله ويذروا ما بقي من الربا... فإنه لا إيمان بغير طاعة وانقياد واتباع لما أمر الله به... فالذين يفرقون في الدين بين الاعتقاد والمعاملات ليسوا بمؤمنين. مهما ادعوا الإيمان وأعلنوا بلسانهم أو حتى بشعائر العبادة

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (١/ ١٥٥).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٧٢).

(٣) تفسير الكريم المنان، السعدي. ص (٨٨).

(٤) سورة البقرة: الآية (٢٧٨).

(٥) سورة آل عمران: الآية (١٣٠).

(٦) نداءات الرحمن لأهل الإيمان: أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة

المنورة، المملكة العربية السعودية، (د، ت) ط: الثالثة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م ص (٧).

الأخرى أنهم مؤمنون! " (١). وقال تبارك وتعالى ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ بَذِيرًا﴾ (٢).

وقال سبحانه ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (٣). وللإسلام موقفه الصريح والحاسم حيال ما تتعرض له الدولة أو الأمة أو الجماعة من نكبات أيًا كان مصدرها وعواملها، في مثل تلك الحالات الطارئة لا يترك البعض؛ ليموت جوعًا، ويعيش الآخرون (٤).

وفي الأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عام الرمادة يقول مخاطبًا أحد حكام أقاليم الدولة: "أفتراني هالكًا ومن معي، وتعيش أنت ومن معك"، كما يقول: "لو لم أجد للناس ما يسعهم لأدخلت على أهل بيتي مثلهم، فإن الناس لا تهلك على أنصاف بطونها"، وترجمة هذه التوجيهات والأحكام إلى واقع عملي مناسب مسؤولية المجتمع كله، شعوبًا وحكومات. ويمكن لصندوق الزكاة وصندوق التكافل الاجتماعي أن يلعبا دورًا مهمًا في ذلك (٥).

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُ مِنْكُمْ فَمُسْكُوهُنَّ بِمَعْرِفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرِفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوْعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (١/٣٣٠).

(٢) سورة الإسراء: الآية (٢٦).

(٣) سورة الإسراء: الآية (٢٩).

(٤) صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم: لعاطف إبراهيم المتولي، ص (٢٤١).

(٥) مجلة مجمع الفقه الإسلامي، التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة: تصدر عن منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، أعدها للشاملة: أسامة بن الزهراء، (١١ / ٢٧٠، بترقيم الشاملة آليا).

قَدَرًا ﴿٣﴾ ﴿١﴾ هذا ليس للأفراد فقط، بل للأمة جميعاً، يجعل الله عز وجل للأمة مخرجاً من همومها ومشاكلها ومصائبها، يرزق الله الأمة من حيث لا تحتسب، وترفع عنها الأزمات الاقتصادية، ويكثر الخير في أيدي الناس، ويهابها أهل الأرض جميعاً، أمة تقية: ﴿وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ ﴿٢﴾ ويقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ ﴿١٢٨﴾ ﴿٣﴾، فأمة يكون الله - عز وجل - معها، من يكون عليها؟ لا أحد.

---

(١) سورة الطلاق: الآية (٢، ٣).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٢٠).

(٣) سورة النحل: الآية (١٢٨).

### المطلب الثالث

#### كثرة انتشار الحروب والأوبئة

إن من شروط الساعة الصغرى التي ذكرها النبي ﷺ؛ كثرة الفتن وما يستتبعها من كثرة الهرج الذي هو القتل، وقد أبانه النبي ﷺ، فقال: « والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قُتل، ولا يدري المقتول على أي شيء قُتل »<sup>(١)</sup>.

ونجد مصداق هذه النبوة النبوية في كثرة الحروب والفتن التي يقتل فيها الأبرياء، فلا يدري القاتل من يقتل، ولا لماذا يقتل، ومثله المقتول. أجازنا الله من الفتن، "وهذا يفسر لنا العلامة الخامسة من علامات النبوة، الواردة في قول النبي ﷺ: " من أشراط الساعة: أن يقل العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، وتكثر النساء، ويقل الرجال، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد " <sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر <sup>(٣)</sup>: "قل سببه أن الفتن تكثر، فيكثر القتل في الرجال؛ لأنهم أهل الحرب دون النساء، والظاهر أنها علامة محضة لا لسبب آخر، بل يُقدّر الله في آخر الزمان أن يقل من يولد من الذكور، ويكثر من يولد من الإناث، وكون كثرة النساء من العلامات مناسبة لظهور الجهل ورفع العلم" <sup>(٤)</sup>.

يقول تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ

---

(١) أخرجه مسلم، ح، رقم (٢٩٠٨) (٢٢٣١/٤)، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، من حديث أبي هريرة ؓ.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه) ح، رقم (٨١) (٢٧/١)، باب رفع العلم وظهور الجهل، من حديث أنس بن مالك ؓ.

(٣) هو: أبو الفضل، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ابن حَجَر الكِنَانِي العسقلاني، من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة (٨٥٢ هـ)، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر، منها (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، و لسان الميزان)، وغيرها، ينظر، الأعلام، للزركلي (١٧٨/١).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني، (١ / ١٧٩)، (قوله باب رفع العلم).



دُو فَضِّلَ عَلَى الْعَلَمِينَ ﴿٢٥١﴾<sup>(١)</sup>، يتبين من هذه الآية: أن الحرب من لوازم الحياة الدنيا، وأنه بدونها لا يتم العمران، فيها يحفظ التوازن الكوني، ولا يبقى على ظهر الأرض سوى من يصلح للبقاء، وللخلافة فيها؛ اللهم إلا إذا أراد الله تعالى لأرضه الفناء؛ فيشيع الفجور، وتعم الفوضى، ويملك الأرض العتاة المتجبرون؛ فيعيشون فيها فساداً، وفي أهلها إفساداً؛ ليتم الله تعالى أمره، ويرث الأرض ومن عليها؛ يقول تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى﴾ ﴿٣١﴾<sup>(٢)</sup>.

ومما يجب التنويه عليه هو "حاجة الكون إلى الحرب؛ كحاجته إلى الأوبئة والطواعين؛ إذ لو ترك العالم بغير حرب، وبغير وباء؛ لتكدس الناس فوق هذه الأرض تكدس الذباب، ولتكاثروا تكاثر الجراد؛ ولأكل بعضهم بعضاً شأن أحقر الحيوانات وأدنىها، ولكن شتان بين الحروب التي يحتاجها الكون، والحرب التي يدبرها الآن بعض المخلوقين للبعض الآخر؛ فإن الأولى يجب أن تكون لدفع ظلم، أو رد عدوان، وكثيراً ما يقع الظلم، ويحقيق العدوان، أما الثانية فهي حروب تدبرها رؤوس خوت من العقل، وقلوب خلت من الرحمة ولا سبب لها سوى حب السيطرة، والسيادة، والتوسع"<sup>(٣)</sup>.

وانظر إلى الأمم ذوات الحضارة والمدنية تراها أصلحت كل شيء من معدن ونبات وحيوان، ولكنها عجزت عن إصلاح نفس الإنسان، ومن ثم تحول كل ما هدوا إليه من وسائل العمران إلى إفساد نوع الإنسان، وتعاادت الشعوب وتنازعت على الملك والسلطان، وأباحت الكفر والعصيان، وبذل الثروة في سبيل التنكيل بالخصوم والجناية على الأعداء ولو بالجناية على أنفسهم، وما الحروب القائمة في مشارق الأرض ومغاربها بين الدول الكبرى والتي أكلت

(١) سورة البقرة: الآية (٢٥١).

(٢) سورة النجم: الآية (٣١).

(٣) أوضح التفاسير: للخطيب (١/ ٤٨).

الحرث والنسل وأزهقت أرواح الملايين من الناس بين حين وآخر إلا شاهد صدق على ما نقول<sup>(١)</sup>.

وإذا تأملنا في كتب التفسير سنجد أن الله - عز وجل - "بعد أن ذكر أن المشركين عبدوا مع الله سواه، وأشركوا به غيره، والشرك سبب الفساد، كما يرشد إلى ذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَٰهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، أعقب ذلك ببيان أن الناس قد انتهكوا حرمت الله، واجتروا المعاصي، وفشا بينهم الظلم والطمع، وأكل القوى مال الضعيف، فصب عليهم ربهم سوط عذابه، فكثر الحروب، وافتن الناس في أدوات التدمير والإهلاك، فمن غائصات البحار تهلك السفن الماخرة فيها، إلى طائرات قاذفات للحم والمواد المحرقة، إلى مدافع تحصد الناس حصداً، إلى دبابات سمكة الدروع تهد المدن هذا وما الحرب القائمة الآن إلا مثال الوحشية الإنسانية، والمجازر البشرية التي سلط الله فيها العالم بعضه على بعض، فارتكب المظالم، واجترح المآثم، والإنسان في كل عصر هو الإنسان"<sup>(٣)</sup>. ومما لا شك فيه إن ظهور الفساد سبب للدمار والهلاك في الدنيا، والعقاب في الآخرة، وعقاب الدنيا على المعاصي التي عملها بعض الناس في البر والبحر، كحبس الغيث وغلاء الأسعار، وكثرة الحروب، والفتن والقلاقل، قد يكون باعثاً على التوبة، وحافزاً على الرجوع إلى الله والاستقامة على الطاعة، واجتناب الذنوب والمنكرات<sup>(٤)</sup>.

مما سبق يتبين أن سنة الله تعالى في انتشار الحروب وظهور الأوبئة، إنما هي سنة جارية على بنى البشر حال وجود الظلم والجور والفساد وحب السيطرة والأنانية في

---

(١) تفسير المراغي (٨ / ١٧٩).

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٢٢).

(٣) تفسير المراغي (٢١ / ٥٤، ٥٥).

(٤) التفسير المنير للزحيلي (٢١ / ١٠١).

المجتمعات أو الأمم على حد سواء، كما تنتشر الحروب وتُعقبها الأوبئة أيضاً.

**خاتمة البحث**  
**وتحتوي على:**  
**أولاً: النتائج**  
**ثانياً: التوصيات**

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، فالشكر لله تعالى الذي أعانني على إتمام هذه الرسالة العلمية في رحاب سنن الله تعالى وعلاقتها بسلوكيات وأفعال البشر، حتى وصلت إلى بيان النتائج التي تعد ثمرة البحث والتي خلصت فيما يلي:

### أولاً: النتائج:

١- تبين أن السنن نوعان: كونية وهي ما تتعلق بالنظام أو الظواهر الكونية التي تفوق قدرة البشر وحدودهم، مثل الشمس والأرض، وسنن تتعلق بالتصرفات البشرية وترجع إلى أفعالهم وتصرفاتهم وما ينتج عنها، مثل الهداية والإيمان والتقوى والنصر والتمكين.

٢- إن سنة الله تعالى ثابتة ومطرودة وعامة وغير مقتصرة على فرد دون فرد أو على قوم دون قوم، أو على أمة دون أمة.

٣- إن صلاح الحال مرهون بصلاح الأعمال، وصلاح الأعمال وقبولها مرهونة بصدق الإيمان.

٤- إن حدوث بعض الكوارث الطبيعية وتغيير أحوال المجتمع والأمة بسبب الذنوب التي يقتربونها ، فالقصص القرآنية ليست للتسلية، وإنما للعبرة والاعتاض.

٥- إن تحقيق الاستخلاف والتمكين وعد إلهي للمؤمنين به فإذا نال غيرهم الاستخلاف والتمكين إنما هو استدراج وابتلاء لأهل الحق.

٦- دوام النعم مرتبطة بدوام الشكر، ويتقوى الله تعالى ينال العبد معية الله ومحبه في الدنيا والآخرة.

٧- إن الخلاص من الحاكم الظالم أو الكافر يكون بالجهاد الشرعي بأنواعه وإعداد القوة اللازمة لذلك، ومن أولى خطواته ومستلزماته وحدة الكلمة وضم الجهود بعضها إلى بعض.

٨- إن من سنة الله في الطغاة سواء كانوا أفراداً أو جماعات إنزال العقاب فيهم في الدنيا، كما جرت على الطغاة السابقين، فلن يفلت أحد منهم من عقاب الله في الدنيا كما لا يفلت أحد منهم من عقابه في الآخرة.

٩- من سنن الله الجارية انتشار الحروب وظهور الأوبئة حال وجود الظلم والجور والفساد في المجتمعات أو الأمم على حد سواء.

## ثانياً: التوصيات:

- ١- يوصي الباحث قسم التفسير في كليات القرآن الكريم أن تحت الطلاب الخريجين والباحثين في مراحل الدراسات العليا على البحث في السنن الكونية وعلاقتها وتأثيرها على حياة البشر والربط بينها في سائر سور القرآن و ذلك كمشروع متكامل بشكل أوسع بطريقة علمية أكاديمية.
- ٢- يوصي الباحث واضعي المناهج في وزارات التربية والتعليم وموجهي مادة القرآن الكريم، وأن يجعلوا من مضامين المناهج، دراسات السنن الكونية بشكل موسع خصوصاً لطلاب الثانوية العامة.
- ٣- يوصي الباحث المرشدين في وزارة الأوقاف والارشاد تبني هذا الموضوع وطرحه على الخطباء والدعاة والوعاظ؛ لتكون مادة يحثوا الناس على الالتزام بالمنهج القويم دون التصادم مع السنن الكونية؛ لما في مخالفة الشرع من عواقب وكوارث تصيب الأفراد والدول في الدنيا على حدٍ سواء.
- ٤- يوصي الباحث الحكومات عند وضعها لأي خطط اقتصادية أو اجتماعية أن تراعي فيها المشروعية لما في مخالفة الشرع من وبال على شعوبهم نتيجة خطط وبرامج ترضي الغرب أو الشرق وتسخط رب الشرق والغرب.

**الفهارس**

**فهرس الآيات القرآنية**

**فهرس الأحاديث النبوية والآثار**

**فهرس الأعلام**

**فهرس المصادر والمراجع**

**فهرس الموضوعات**



## فهرس الآيات القرآنية

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة			
٠١	﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾	٦	٣٤
سورة البقرة			
٠٢	﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾	٣٠	١٥٥
٠٣	﴿ قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ﴾	٣٨	٣٦
٠٤	﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	٣٨	١٨٨
٠٥	﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾	٦١	٢٨٦
٠٦	﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾	٨١	٢٦٦
٠٧	﴿ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾	٨٦	١١٠
٠٨	﴿ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَن يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ ۖ ﴾	١١٤	٢٢٠
٠٩	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ ۖ مِّنَ الشَّجَرِ ﴾	١٢٦	١٩٧
٠١٠	﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾	١٥٢	٥٧
٠١١	﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾	١٧٢	٣١٢
٠١٢	﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ ﴾	١٧٧	١٢٣
٠١٣	﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾	١٨٣	٩١
٠١٤	﴿ وَقِيلُوا لَهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾	١٩٣	٢١٠
٠١٥	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾	٢٠٤	٢٤٨
٠١٦	﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۖ ﴾	٢٠٥	١٨٩

١٨٥	٢١٤	﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا ﴾	١٧.
١٩٦	٢٢٩	﴿ وَمَنْ يَنْعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾	١٨.
٢٢٦	٢٢٩	﴿ وَمَنْ يَنْعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾	١٩.
٨٦	٢٣٨	﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾	٢٠.
١٣٢	٢٤٧	﴿ قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ﴾	٢١.
١١١	٢٥٠	﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾	٢٢.
١٢٢	٢٥٠	﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبِّنَا أَمْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾	٢٣.
٣١٥	٢٥١	﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾	٢٤.
٢١٦	٢٥٤	﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾	٢٥.
٢١٧	٢٥٨	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾	٢٦.
٢١٨	٢٥٩	﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾	٢٧.
٢٠٣	٢٦٨	﴿ وَاللَّهُ يَعِدْكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾	٢٨.
٩٦	٢٧٥	﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ ﴾	٢٩.
٨٧	٢٧٦	﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾	٣٠.
١٠٢	٢٧٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾	٣١.
٩٦	٢٧٨	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾	٣٢.
٧٩	٢٨٢	﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	٣٣.
سورة آل عمران			
١٧٦	٤	﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾	٣٤.
٥٣	٧	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾	٣٥.

١٢٩	٣٣	﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِصْمَةَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾	٣٦
١٢٢	٤١	﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ۖ ﴾	٣٧
٧٥	٧٦	﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾	٣٨
١٩٧	٩٧	﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾	٣٩
٦٩	١٠٢	﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾	٤٠
٢١٠	١٠٤	﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾	٤١
٣٠١	١٠٦	﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾	٤٢
٨٠	١٢٠	﴿ وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۖ ﴾	٤٣
١٧٠	١٢٠	﴿ إِنْ تَمَسَّسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوءُهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ ﴾	٤٤
١٨٥	١٢٥	﴿ بَلَىٰ إِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا ۖ ﴾	٤٥
٢١٠	١٣٢	﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾	٤٦
١٨٢	١٣٦	﴿ وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴾	٤٧
٧	١٣٧	﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾	٤٨
٢١٣	١٣٧	﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾	٤٩
١٥٥	١٤٠	﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾	٥٠
١٢٤	١٤٢	﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾	٥١
١٨٢	١٤٦	﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾	٥٢
٢٦٦	١٥١	﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ ﴾	٥٣
١١٥	١٥٢	﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ۖ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۖ ﴾	٥٤
٢٨٢	١٥٢	﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ۖ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۖ ﴾	٥٥

٢٨٥	١٥٢	﴿ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾	٥٦.
٢٨٣	١٥٣	﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ ﴾	٥٧.
٢٨٣	١٥٤	﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ ﴾	٥٨.
٢٦٩	١٥٥	﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ ﴾	٥٩.
١٣٥	١٥٩	﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا ﴾	٦٠.
١٣٧	١٥٩	﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾	٦١.
١٧٧	١٥٩	﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾	٦٢.
١٧٩	١٧٣	﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾	٦٣.
١٨٢	٢٠٠	﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾	٦٤.
سورة النساء			
٨	٢٦	﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾	٦٥.
١٦٣	٤٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾	٦٦.
٤٥	٦٥	﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾	٦٧.
١٧٧	٧١	﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴾	٦٨.
١٧٧	٨١	﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾	٦٩.
٥٣	٨٢	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا ﴾	٧٠.
٢٦٦	١٢٣	﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾	٧١.
١٠٢	١٢٤	﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ﴾	٧٢.
١٠٣	١٢٤	﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ﴾	٧٣.
٧١	١٣١	﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾	٧٤.

١١٩	١٣١	﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾	٧٥.
٦١	١٤١	﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾	٧٦.
سورة المائدة			
١٧٥	٢٣	﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ ﴾	٧٧.
١٨١	٢٣	﴿ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾	٧٨.
١٧٠	٢٩	﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَأَ بِإِثْمِي وَإِثْمُكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾	٧٩.
١٦٤	٧٢	﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾	٨٠.
١٧٠	٨٥	﴿ فَأَنْبَهُهُمُ اللَّهُ يَمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾	٨١.
سورة الأنعام			
١٥٧	٦	﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾	٨٢.
٢٦٨	٦	﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾	٨٣.
٢٧٥	٤٢	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴾	٨٤.
١٩٢	٨٢	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ ﴾	٨٥.
١٩٤	٨٢	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ ﴾	٨٦.
١٨٤	١١٢	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾	٨٧.
٢٩٦	١٢٤	﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ﴾	٨٨.
٢٢١	١٤٦	﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾	٨٩.
٢٦٦	١٦٠	﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾	٩٠.
٩٣	١٦٢	﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	٩١.
١٥٥	١٦٥	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ ﴾	٩٢.
سورة الأعراف			

١٥٨	١٠	﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ ﴾	٩٣.
٢١٨	٢٩	﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾	٩٤.
٢٠٢	٣٢	﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾	٩٥.
٢٦٦	٩٥	﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ ﴾	٩٦.
١٦٨	٩٦	﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾	٩٧.
١٥٥	١٢٨	﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾	٩٨.
١٨٥	١٣٧	﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾	٩٩.
٢٢٣	١٣٧	﴿ وَأَوْزَيْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرُوقَ الْأَرْضِ ﴾	١٠٠.
١٠٠	١٥٣	﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَءَامَنُوا ﴾	١٠١.
٢٩٢	١٧٥	﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ ﴾	١٠٢.
٢٩٥	١٧٩	﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ﴾	١٠٣.
٥١	١٨٠	﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾	١٠٤.
سورة الأنفال			
٤٥	٢	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾	١٠٥.
٧٢	٢٩	﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾	١٠٦.
١١٨	٢٩	﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾	١٠٧.
٧٦	٣٤	﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾	١٠٨.
٩	٣٨	﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾	١٠٩.
١٤٩	٤٣	﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَدْنَاكَ كَثِيرًا لَّفَشَلْتُمْ ﴾	١١٠.
١١٩	٤٥	﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾	١١١.

١٨٢	٤٦	﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	١١٢
١٧٤	٥١	﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾	١١٣
٢٠٧	٥٣	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾	١١٤
١٤٣	٦٠	﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾	١١٥
١٢٤	٦٥	﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾	١١٦
١١١	٧٢	﴿وَإِنْ أَسْتَضْرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّضْرُ﴾	١١٧
سورة التوبة			
٧٥	٤	﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ﴾	١١٨
١١٧	٣٦	﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾	١١٩
٧٤	٤٠	﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾	١٢٠
٤٨	٧٢	﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾	١٢١
١٧٠	٩٣	﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَفْزِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾	١٢٢
٨٨	١٠٣	﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾	١٢٣
١٧١	١٠٥	﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾	١٢٤
سورة يونس			
٢٧٩	١٣	﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾	١٢٥
٢٢٠	١٧	﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾	١٢٦
٥٩	٦٢	﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	١٢٧
٧٦	٦٢	﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	١٢٨
٦٣	٦٤	﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾	١٢٩



١٥	٩١	﴿إِنَّمَا أَكُنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾	١٣٠
٢٢٤	٩٢	﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾	١٣١
سورة هود			
٢٠٣	٦	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾	١٣٢
٢٠٤	٩	﴿وَلَيْنَ آذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾	١٣٣
١٨٣	١١	﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	١٣٤
٢٢٠	١٨	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾	١٣٥
٢٠٤	٥٢	﴿وَيَقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾	١٣٦
٢١٠	٩٠	﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾	١٣٧
٢٧٩	١١٧	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾	١٣٨
سورة يوسف			
١٢٧	١٢	﴿وَجَزَيْنَهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾	١٣٩
٢٢٥	١٣	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾	١٤٠
١٥٧	٢١	﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾	١٤١
١٥٣	٥٦	﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾	١٤٢
١٥٦	٥٦	﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾	١٤٣
سورة الرعد			
٢٠٧	١١	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾	١٤٤
٩٥	١٧	﴿فَاحْتَمِلْ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾	١٤٥
سورة إبراهيم			
١٧٠	١	﴿الرَّ كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾	١٤٦



١٧٦	٢٣	﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾	١٤٧.
٤٠	٢٤	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾	١٤٨.
سورة النحل			
١٧٩	٢	﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾	١٤٩.
١٧٠	٣٢	﴿ الَّذِينَ تُؤَفِّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾	١٥٠.
١٨٧	٩٠	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ ﴾	١٥١.
٩٥	٩٢	﴿ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ ﴾	١٥٢.
٦٠	٩٧	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾	١٥٣.
١٠٣	٩٧	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾	١٥٤.
٢٨٧	١١٢	﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾	١٥٥.
٢٢١	١١٨	﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾	١٥٦.
١٨٢	١٢٧	﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾	١٥٧.
٧٣	١٢٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾	١٥٨.
٣١٤	١٢٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾	١٥٩.
سورة الإسراء			
١٧٣	١٨	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ﴾	١٦٠.
١٧٣	١٨	﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾	١٦١.
١٧٣	٢٠	﴿ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾	١٦٢.
٨٥	٢٣	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾	١٦٣.
٣١٣	٢٦	﴿ وَءَاتَٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذَرِ بَذِيرًا ﴾	١٦٤.

٣١٣	٢٩	﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾	١٦٥
٣٠٥	٥٩	﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾	١٦٦
١١	٧٧	﴿ إِلَّا سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾	١٦٧
سورة الكهف			
١٢	٥٥	﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ ﴾	١٦٨
٢٠٠	٨٢	﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ﴾	١٦٩
١٥٦	٨٤	﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾	١٧٠
١٦٧	١٠٥	﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾	١٧١
١٠٠	١٠٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾	١٧٢
سورة مريم			
١٧٢	٢٥	﴿ وَهَرَيَ إِلَيْكَ بِجَنَاحِ النَّخْلَةِ تَسْقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴾	١٧٣
٢٠٣	٥٠	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾	١٧٤
٦٥	٩٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾	١٧٥
سورة طه			
٤٨	٧٥	﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾	١٧٦
٣٠١	١٠٢	﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾	١٧٧
١٠٢	١١٢	﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾	١٧٨
١٨٨	١٢٣	﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾	١٧٩
٣٨	١٣٢	﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾	١٨٠
سورة الأنبياء			
٢٧٨	١١	﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَبْرٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾	١٨١

٣١٧	٢٢	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	١٨٢
١٧١	٨٠	﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُخْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ﴾	١٨٣
٢١٨	١٠٤	﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا﴾	١٨٤
سورة الحج			
٩٤	٥	﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾	١٨٥
٧٩	٣٢	﴿ذَلِكَ وَمَن يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾	١٨٦
٦١	٣٨	﴿إِنَّ اللَّهَ يَذْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾	١٨٧
١٥١	٤٠	﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾	١٨٨
١٧٩	٤٠	﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾	١٨٩
١٥٩	٤١	﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ﴾	١٩٠
١٧٩	٤٢	﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ أَتَبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾	١٩١
٢٠٩	٧٧	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾	١٩٢
١١١	٢٩٠	﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾	١٩٣
سورة النور			
٢٥٠	١١	﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾	١٩٤
٢٥٧	٢١	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ﴾	١٩٥
١٦٦	٣٩	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً﴾	١٩٦
١٥١	٥٥	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾	١٩٧
١٥٣	٥٥	﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾	١٩٨
١٦٢	٥٥	﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾	١٩٩

٢٠٠.	﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	٥٦	١٦٤
سورة الفرقان			
٢٠١.	﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾	٥٨	١٧٧
٢٠٢.	﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ﴾	٦٨	٢١٦
٢٠٣.	﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾	٧٥	١٢٧
سورة الشعراء			
٢٠٤.	﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾	٦٣	١٧٤
٢٠٥.	﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾	٦٣	٢٢٥
٢٠٦.	﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾	١٢٩	٣٠٨
سورة القصص			
٢٠٧.	﴿طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾	٣	٢٢٢
٢٠٨.	﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾	٨	٢٢٩
٢٠٩.	﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾	٤٠	٢٣٠
٢١٠.	﴿أَوَلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَّى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾	٥٧	١٥٧
٢١١.	﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ بَطَرْتَ مَعِيشَتَهَا﴾	٥٨	٢٨٨
٢١٢.	﴿إِنَّ قُرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾	٧٦	٢٣٣
٢١٣.	﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ﴾	٧٧	٢٣٦
٢١٤.	﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ﴾	٧٨	٢٣٧
سورة العنكبوت			
٢١٥.	﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾	٢	١٨٥
٢١٦.	﴿أَتُلْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾	٤٥	٥٧

٢٠٢	٦٠	﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۖ ﴾	٢١٧.
١٩٨	٦٧	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَفِّطُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ ﴾	٢١٨.
سورة الروم			
٣٠	٣٠	﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۖ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾	٢١٩.
٩٥	٣٩	﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لَيْرَبُّوْا فِيْ أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوْا عِنْدَ اللَّهِ ۖ ﴾	٢٢٠.
١٦٩	٤١	﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ۖ ﴾	٢٢١.
١١٤	٤٧	﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ ﴾	٢٢٢.
٥٤	٥٦	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ ﴾	٢٢٣.
سورة لقمان			
٢١٦	١٣	﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبَنِيهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۚ يَبْنِىْ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ ﴾	٢٢٤.
٥٦	٣٠	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ ۖ ﴾	٢٢٥.
سورة السجدة			
١٢٥	٢٤	﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ ﴾	٢٢٦.
سورة الأحزاب			
٤٥	٣٦	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۖ ﴾	٢٢٧.
١٣	٣٨	﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ۖ سُنَّةَ اللَّهِ ۖ ﴾	٢٢٨.
١٤	٦٢	﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ ﴾	٢٢٩.
سورة سبأ			
١٩٦	١٥	﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ ﴾	٢٣٠.
٢٠٥	٣٩	﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۖ ﴾	٢٣١.
سورة فاطر			

٢٣٢	﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾	٤٣	٣
٢٣٣	﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾	٤٣	١٤
سورة الصافات			
٢٣٤	﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	٩٦	١٠١
٢٣٥	﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾	١٧١	١١٢
سورة ص			
٢٣٦	﴿كَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾	٢٩	٥٤
سورة الزمر			
٢٣٧	﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾	٩	١٨
٢٣٨	﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةُ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	١٠	٢٠٣
٢٣٩	﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾	٢٩	١٦٧
٢٤٠	﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾	٦٥	٢٦٢
سورة غافر			
٢٤١	﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾	١٣	١٧٥
٢٤٢	﴿فَاخْذَهُمُ اللَّهُ بِدُونِهِمْ﴾	٢١	٢٦٦
٢٤٣	﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾	٢١	٢٦٨
٢٤٤	﴿يَقَوْمَ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾	٢٩	١١٠
٢٤٥	﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾	٥١	٦٢
٢٤٦	﴿سُنَّتِ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾	٨٥	١٥
سورة فصلت			
٢٤٧	﴿سَرِّبْنَاهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾	٥	٥٦

٢٤٨.	﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾	١٧	٣٥
٢٤٩.	﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	٤٢	٥٣
٢٥٠.	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾	٤٦	٢١٣
سورة الشورى			
٢٥١.	﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾	٣٠	٢٧٠
٢٥٢.	﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾	٣٨	١٣٦
٢٥٣.	﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصَرُونَ﴾	٣٩	٢٢٨
سورة الزخرف			
٢٥٤.	﴿وَمَنْ يَعْمَلْ عِثْرًا غَيْرَ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾	٣٦	٣٥
سورة الجاثية			
٢٥٥.	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾	١٦	٢٠٢
سورة الأحقاف			
٢٥٦.	﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾	٢٦	١٥٨
٢٥٧.	﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْرِ مِنَ الرُّسُلِ﴾	٣٥	١٨٢
سورة محمد			
٢٥٨.	﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾	١	١٠٥
٢٥٩.	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾	٧	١١١
٢٦٠.	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَّاهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾	٨	١٦٧
٢٦١.	﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ فِيمَا﴾	١٦	٣٧
٢٦٢.	﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ يَقُولُهُمْ﴾	١٧	٣٥
٢٦٣.	﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ يَقُولُهُمْ﴾	١٧	٣٧

٥٣	٢٤	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِّاتِ أَمْرًا عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَالُهَا ﴾	٢٦٤.
٢٨٦	٣٨	﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾	٢٦٥.
سورة الفتح			
١٠٩	٢٢	﴿ وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَرِ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾	٢٦٦.
٣	٢٣	﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾	٢٦٧.
سورة الحجرات			
١٠	١٣	﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾	٢٦٨.
٤١	١٤	﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾	٢٦٩.
٤٥	١٥	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾	٢٧٠.
٤٧	٤٠	﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُفٍ ﴾	٢٧١.
سورة الذاريات			
١٧٥	٩	﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾	٢٧٢.
٩٨	٢٢	﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾	٢٧٣.
١٧٥	٢٢	﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾	٢٧٤.
٢٣٠	٤٠	﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾	٢٧٥.
٦٥	٥٥	﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	٢٧٦.
١٦٥	٥٦	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	٢٧٧.
٢٠٢	٥٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾	٢٧٨.
سورة النجم			
٣١٦	٣١	﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾	٢٧٩.
سورة القمر			



٢٦	٤٣	﴿ أَكْفَرُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾	٢٨٠.
سورة الرحمن			
٢١٣	٦٠	﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾	٢٨١.
سورة الواقعة			
٢٠٣	٨٢	﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾	٢٨٢.
سورة الحديد			
٤٩	١٩	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۖ ﴾	٢٨٣.
سورة المجادلة			
١١٣	٢١	﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنِي أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾	٢٨٤.
سورة الممتحنة			
٧٤	٧	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾	٢٨٥.
١٧٦	١١	﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾	٢٨٦.
سورة الصف			
١١٦	١٠	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُنُكُمْ عَلَى نَجْوِكُمْ مِّنْ عَذَابِ إِلِيمٍ ﴾	٢٨٧.
سورة المنافقون			
١٦٦	٨	﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ ۚ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٢٨٨.
سورة التغابن			
٢٠٩	٨	﴿ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾	٢٨٩.
٣٦	١١	﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾	٢٩٠.
سورة الطلاق			
٢٢٦	١	﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۖ ﴾	٢٩١.

٢٩٢.	﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾	٢	٧٣
٢٩٣.	﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُمْ فَاِمْسِكُوهُمْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾	٢	٣١٣
٢٩٤.	﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾	٤	٧٨
سورة التحريم			
٢٩٥.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾	٦	٢٠٠
سورة القلم			
٢٩٦.	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	٤	٢٤٣
٢٩٧.	﴿وَذُوا لَوْ تَذَهْنُ فَيَذْهَبُونَ ﴿١﴾ وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَاٍ مَّهِينٍ﴾	١٠	٢٩٨
٢٩٨.	﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾	١٧	٢٣٩
٢٩٩.	﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَصَالُونَ﴾	٢٦	٢٤٢
٣٠٠.	﴿بَلْ نَحْنُ مُخْرَمُونَ﴾	٢٧	٢٤٢
٣٠١.	﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تُسْحَرُونَ﴾	٢٨	٢٤٢
٣٠٢.	﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾	٣٥	١٨
٣٠٣.	﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٤٤	٢٧٧
سورة الحاقة			
٣٠٤.	﴿فَاخْذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾	١٠	٩٤
٣٠٥.	﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾	١١	٢٣٢
٣٠٦.	﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِي﴾	١٩	٦٣
سورة نوح			
٣٠٧.	﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾	١٢	٢٠٤
سورة الجن			

١٦٩	١٦	﴿وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا إِنَّمَا﴾	٣٠٨.
سورة المدثر			
١٢٣	٧	﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾	٣٠٩.
١٥٣	١٤	﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾	٣١٠.
سورة الأنسان			
٦٧	١١	﴿فَوْفَهُمْ أَثَرُ اللَّهِ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾	٣١١.
سورة النازعات			
٢٤٤	١٦	﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾	٣١٢.
٢٤٤	٢٣	﴿فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾	٣١٣.
سورة البلد			
١٩٣	٣	﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾	٣١٤.
٣٤	١٠	﴿وَهَدَيْتُهُ الْجَدَيْنِ﴾	٣١٥.
سورة الليل			
٧٧	٥	﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْتَفَى ﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى﴾	٣١٦.
سورة العلق			
٢٤٣	٢-١	﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾	٣١٧.
سورة قريش			
١٩٣	٤	﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾	٣١٨.

## فهرس الأحاديث النبوية والآثار

م	طرف الحديث	الصفحة
١.	اتق الله حيثما كنت	١١٩
٢.	إذا أحب الله العبد نادى جبريل	٧٥
٣.	إذا أقبل الليل وأدبر النهار وغربت الشمس فقد أفطر الصائم»	١٩
٤.	إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم	١٢٩
٥.	إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب	٢٧٦
٦.	الإشراك بالله، وعقوق الوالدين	١٦٣
٧.	أشيروا عليّ معشر المسلمين	١٣٧
٨.	أصبت السنة وأجزأتك صلاتك	٢٠
٩.	اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله	١١٩
١٠.	ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه	٨٦
١١.	ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي	١٤٨
١٢.	ألا وإن كل ربا كان في الجاهلية موضوع	٩٧
١٣.	إلي عباد الله، إلي عباد الله، أنا رسول الله	٢٨٣
١٤.	أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون	٤٩
١٥.	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله	٨٨
١٦.	إن الحلال بين وإن الحرام بين	٩٧
١٧.	إن الله كتب على ابن آدم.....	٤٢
١٨.	إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة	٤٨
١٩.	إن المقسطين عند الله على منابر من نور	١٨٧
٢٠.	إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ	٢٥٩
٢١.	إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم	٥٠

٢٢.	إن في الجنة باباً يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة	٩٢
٢٣.	إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها	٥١
٢٤.	إن من عباد الله لأناس ما هم بأنبياء، ولا شهداء	٥٩
٢٥.	أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني	٥٨
٢٦.	إنا لا نولي هذا من سألته، ولا من حرص عليه	١٢٨
٢٧.	انظر ما نقول، فإن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك	٩٩
٢٨.	إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً	١٨٧
٢٩.	أوصيك بتقوى الله، والتكبير على كل شرف	٧٢
٣٠.	أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة	٢٠
٣١.	أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا	١٤٦
٣٢.	أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب	٦٤
٣٣.	أوه أوه عين الربا عين الربا	٩٦
٣٤.	أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعو الله ندأ وهو خلقك	٢١٦
٣٥.	أيما رجل استعمل رجلاً على عشرة أنفس	١٣٢
٣٦.	أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة	٦٣
٣٧.	بروا آباءكم تبركم أبناؤكم، وعفوا تعف نساؤكم	٢٠١
٣٨.	التقوى هاهنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات	٨٠
٣٩.	تلك عاجل بشرى المؤمن	٦٣
٤٠.	ثلاثة لا يرد دعاؤهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم	٩١
٤١.	جلد رسول الله ﷺ ابن أبي ثمانين جلدة	٢٥٩
٤٢.	الحج عرفة	١٤٨
٤٣.	حد يقام في الأرض، خير للناس من أن يمطروا ثلاثين	١٩٦
٤٤.	حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا	١٨١

١٨٠	حسبنا الله ونعم الوكيل، «قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار	٤٥.
٨٩	حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة	٤٦.
٩٧	الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس	٤٧.
١٢٦	خرجنا مع النبي ﷺ في غزوة ونحن ستة نفر، بيننا بغير نعتبه	٤٨.
١٣٤	خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم	٤٩.
٩٥	الربا وإن كثر إلى قُل	٥٠.
٢٠٠	الصلاة على ميقاتها، قلت: ثم أي	٥١.
٩١	صوموا تصحوا	٥٢.
٩٢	الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة	٥٣.
٢٠٩	عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير	٥٤.
١٨٣	عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد	٥٥.
٤	فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَسْنُوا عَلَيَّ التُّرَابَ سَنًا	٥٦.
٦١	قد أفلح من أسلم، ورزق كفافا	٥٧.
٩٢	كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام	٥٨.
٣٠	كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه «	٥٩.
١٣٤	كلكم راع فمسئول عن رعيته	٦٠.
٢٠٦	لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا	٦١.
٦٤	لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان	٦٢.
٨٤	لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله	٦٣.
١٣٠	لأعطين الراية غدا رجلاً يفتح الله على يديه	٦٤.
٩٦	لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه	٦٥.
٤٦	اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا، ولا تهنا	٦٦.
١٨١	اللهم لك أسلمت، وبك آمنت	٦٧.

١٧٦	لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله؛ لرزقكم كما يرزق الطير	٦٨.
٨٩	ليس في المال حق سوى الزكاة	٦٩.
٩٠	مَا تَلَفَ مَالٌ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ إِلَّا بِمَنْعِ الزَّكَاةِ	٧٠.
١٣٩	ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار	٧١.
٢٠٥	ما طلعت شمس قط إلا بعث بجنبتيها ملكان	٧٢.
١١٥	ما من مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه	٧٣.
٧٨	ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان	٧٤.
١٢٥	ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم	٧٥.
٣١٥	من أشراط الساعة: أن يقل العلم	٧٦.
٥٧	من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته، وصيامه	٧٧.
٧٠	من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم لله	٧٨.
٨٨	من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب	٧٩.
٢٥٢	من سن في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها بعده	٨٠.
١٨٠	من قال إذا خرج من بيته: بسم الله، توكلت على الله	٨١.
٢٦٢	من لا يرحم لا يرحم	٨٢.
٢٠٥	من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً	٨٣.
١٦٣	من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار	٨٤.
١٧٢	من يشتري هذين؟ قال رجل: أنا، آخذهما بدرهم	٨٥.
١٤٨	الندم توبة	٨٦.
١٩	هكذا كان رسول الله ﷺ يصنع	٨٧.
١٧٨	هم الذين لا يتطيرون، ولا يسترقون، ولا يكتوون	٨٨.
٣١٥	والذي نفسي بيده لياتين على الناس زمان لا يدري القاتل	٨٩.
٢٦١	والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن	٩٠.

١٢٨	يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة	٩١.
٣٠٥	يا أهل المدينة! ما أسرع ما أحدثتم	٩٢.
٢٠٦	يا أيها الناس، اتخذوا تقوى الله تجارة يأتاكم الرزق بلا بضاعة	٩٣.
٧٣	يا أيها الناس، اتخذوا تقوى الله تجارة يأتاكم الرزق بلا بضاعة ولا تجارة	٩٤.
١٨٦	يا غلام إنني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك	٩٥.
١٨٦	يا غلام، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده	٩٦.
١٨١	يا فلان إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك	٩٧.
٨٥	يا معاذ بن جبل « قلت: لبيك رسول الله وسعديك	٩٨.
٨١	يا معلم الخير: علمني شيئاً تعلمه وأجهله	٩٩.



## فهرس الأعلام

م	اسم العلم	الصفحة
١.	إبراهيم بن السري بن سهيل الزجاج أبو إسحاق	٤١
٢.	أبي بن شريق بن عمرو بن وهب	٢٤٧
٣.	أحمد بن مصطفى المراغي	٢٣٤
٤.	إرميا بن حلقيا من سبط لاوي بن يعقوب	٢١٨
٥.	إسماعيل بن عبد الرحمن الأعور السدي أبو محمد	١٠٢
٦.	أم حرام بنت ملحان بن خالد ابن زيد	١٤٦
٧.	تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس	١٧
٨.	الحسن بن أبي الحسن يسار البصري أبو سعيد	١٣٦
٩.	حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا	١٦١
١٠.	زيد بن ثابت بن الضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة	٦٤
١١.	زين الدين محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي	٢٣
١٢.	سعيد بن جبير بن هشام الكوفي أبو عبد الله	٢٣٨
١٣.	سعيد بن كيسان بن أبي سعيد المقبري أبو سعيد	٨١
١٤.	سفيان بن سعيد بن مسروق أبو عبد الله الثوري	٢٣٠
١٥.	السيد علي بن محمد بن علي، نور الدين	٧٠
١٦.	سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي	٨
١٧.	شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية	١٨
١٨.	شهاب الدين أحمد بن علي ابن حَجَر الكناني العسقلاني أبو الفضل	٣١٥
١٩.	الشهاب محمود بن عبد الله بهاء الدين بن محمود	٢٢٨
٢٠.	صفوان بن المعطل بن ربيعة	٢٥٣
٢١.	الضحاك بن مزاحم الهلالي البلخي أبو القاسم	٢٥٢

٢٢.	عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم	٩٠
٢٣.	عبد الرحمن بن كيسان أبو بكر الأصم	٢٤١
٢٤.	عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجزائري أبو زيد	١١
٢٥.	عبد الرحمن بن يسار بن أبي ليلى الأنصاري	٦٥
٢٦.	عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية	٢٨٢
٢٧.	عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن	٦٤
٢٨.	عزيز بن سروخا	٢١٩
٢٩.	عقبة بن عامر بن عيس أبو عيس	٢٧٥
٣٠.	علي بن محمد بن حبيب البصري أبو الحسن	١٩٠
٣١.	عويمر ابن عامر بن مالك بن زيد بن قيس	١١٥
٣٢.	فاطمة بنت قيس بن خالد الأكبر	٨٩
٣٣.	فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن علي الرازي أبو عبد الله	٢٣٤
٣٤.	قارون بن يصهر بن لاوي	٢٣٣
٣٥.	محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي	٢٨٠
٣٦.	محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى ابن جزى الكلبي الغرناطي أبو القاسم	١٢
٣٧.	محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي أبو بكر	٣٠٢
٣٨.	محمد بن كعب بن حبان بن سليم بن أسد القرظي	٢٨٢
٣٩.	محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب أبو بكر	٨٧
٤٠.	محمد رشيد بن علي رضا بن خليفة القلموني	٧
٤١.	المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة	١٣٩
٤٢.	المهلب بن أبي صفرة أبو سعيد	٣٠٤
٤٣.	نضلة بن عبيد بن الحارث أبو بزة الأسلمي	١٤٥
٤٤.	نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج	١٦٣

١٨٩	وليّ الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون	٤٥.
٢٢٨	يوسف بن عبد الله بن محمد أبو عمر	٤٦.

## المصادر والمراجع

١. أحكام القرآن: لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي، (ت: ٥٤٣هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الاشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م.
٢. إحياء علوم الدين: لأبي حامد الغزالي، (ت: ٥٠٥هـ) الناشر: دار المعرفة- بيروت، (د، ت، ط).
٣. أدب الدنيا والدين: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، (ت: ٤٥٠هـ) الناشر: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م، (د، ط).
٤. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: لأبي العباس، شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، (ت: ٩٢٣هـ) الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط: السابعة، ١٣٢٣هـ، (د، ت).
٥. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، (ت: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، (د، ت، ط).
٦. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: دار ابن الجوزي، ط: الرابعة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٧. أساس البلاغة: للزمخشري، (ت: ٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٨. أسباب النصر والهزيمة في الكتاب والسنة"، إعداد: الطالب حماد أبو شعر، رسالة الماجستير، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤٠٦هـ.
٩. الاستقامة: لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، (ت: ٧٢٨هـ) تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود- المدينة المنورة، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ.
١٠. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١١. أسد الغابة في معرفة الصحابة: لأبي الحسن علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق: علي محمد معوض- عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
١٢. أسد الغابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، الناشر: دار الفكر- بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٣. أسرار ترتيب القرآن: لأبي بكر، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ) الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، (د، ت، ط).
١٤. الإسلام وأوضاعنا السياسية: عبد القادر عودة، (ت: ١٣٧٣هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان: ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م.
١٥. الإصابة في تمييز الصحابة: لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.
١٦. الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع: حسن بن عمر بن عبد الله السيناوي المالكي، (ت: بعد ١٣٤٧هـ) الناشر: النهضة، تونس، (د، ت) ط: الأولى، ١٩٢٨م.
١٧. أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: محمد حسن عبد الغفار، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية (د، ت، ط).
١٨. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، (ت: ١٣٩٣هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٩. إعلام الموقعين عن رب العالمين: لابن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٢٠. الأعلام: لخير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.
٢١. إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان: لأبن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ) المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، (د، ط).
٢٢. الإقناع لابن المنذر: لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، (ت: ٣١٩هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ.
٢٣. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: لأبي العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني، (ت: ٨٤٥هـ) تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٤. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ) الناشر: وزارة

- الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٨هـ.
٢٥. الانشراحُ وَرَفْعُ الصِّيقِ فِي سِيرَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ شَخْصِيَّتِهِ وَعَصْرِهِ: عَلِيٌّ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدُ الصَّلَافِي، الناشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة - مصر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.
٢٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لأبي سعيد عبد الله ناصر الدين عبد الله بن عمر البضاوي، (ت: ٦٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨هـ.
٢٧. أوضح التفاسير: محمد عبد اللطيف بن الخطيب، (ت: ١٤٠٢هـ) الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، ط: السادسة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤ م.
٢٨. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: لأبي بكر جابر بن موسى بن عبد القادر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط: الخامسة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م.
٢٩. الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة: لعبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم: فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح، الناشر: مدار الوطن للنشر، الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م.
٣٠. بحر العلوم: لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، (ت: ٣٧٣هـ) (د، ت، ط).
٣١. البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان أثير الدين، (ت: ٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ، (١/٢٧٥).
٣٢. البحر المحيط: لأبي حيان محمد بن يوسف بن حيان، (ت: ٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ.
٣٣. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: لأبي العباس أحمد بن محمد الأنجري، (ت: ١٢٢٤هـ) تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، ١٤١٩هـ.
١. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، (ت: ٨١٧هـ) تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د، ط) ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م.
٣٤. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا، (د، ط).
٣٥. تاج العروس من جواهر القاموس: أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى، الرِّيْدي (ت: ١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، (د، ط).

٣٦. التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول: لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي القنوجي، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط: الأولى، ١٤٢٨هـ.
٣٧. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: لأبي عبد الله شمس الدين الذهبي، تحقيق: الدكتور بشار عوَّاد، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ط: الأولى، ٢٠٠٣م.
٣٨. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: لأبي عبد الله شمس الدين الذهبي، تحقيق: الدكتور بشار عوَّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ط: الأولى، ٢٠٠٣م.
٣٩. تاريخ الأمم والرسل والملوك: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٧هـ.
٤٠. تاريخ الخلفاء: أبي بكر عبد الرحمن بن جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) (ت: ٩١١هـ) تحقيق: حمدي الدمرداش، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٤١. تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم. : لأبي المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التتوخي (ت: ٤٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٤٢. التاريخ الكبير: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، الناشر: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، (د، ط).
٤٣. تاريخ بغداد وذيوله، ١- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ٢-المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الديبثي، للذهبي ٣- ذيل تاريخ بغداد، لابن النجار ٤- المستفاد من تاريخ بغداد، لابن الدمياطي ٥- الرد على أبي بكر الخطيب البغدادي، لابن النجار: لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: الأولى، ١٤١٧هـ.
٤٤. تاريخ دمشق: لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، (ت: ٥٧١هـ) تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والتوزيع: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٤٥. تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم (أنواعه - شروطه وأسبابه - مراحل وأهدافه): علي محمد محمد الصلابي، الناشر: مكتبة الصحابة، الشارقة- الإمارات، مكتبة التابعين، مصر - القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٤٦. التبيان في أقسام القرآن: لأبن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د، ط).

٤٧. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، (ت: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس(د)، (ت) ١٩٨٤هـ.
٤٨. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى: لأبى العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبارك فورى، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت.
٤٩. التَّراجُمُ السَّاقِطَةُ مِنْ كِتَابِ إِكْمَالِ تَهْذِيبِ الْكَمَالِ: أبو عبد الله، علاء الدين مغلطاى، تحقيق ودَراسة: طُلابٌ وَطالِبَاتُ مَرَحَلَةِ المَاجِسْتِيرِ (١٤٢٤هـ - ١٤٢٥هـ) شُعْبَةُ التَّفْسِيرِ وَالحَدِيثِ، الناشر: دار المحدث للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ.
٥٠. ترتيب الأمالي الخميسية للشجري: يحيى بن الحسين بن إسماعيل الشجري الجرجاني، (ت: ٤٩٩هـ) رتبها: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٥١. تسلية أهل المصائب: محمد بن محمد بن محمد، شمس الدين المنبجي، (ت: ٧٨٥هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الثانية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٥٢. التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي، (ت: ٧٤١هـ) تحقيق: د/عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت، ط: الأولى، ١٤١٦هـ.
٥٣. التعريفات: لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٥٤. تفسير ابن باديس ((في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)): لعبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت: ١٣٥٩هـ)، تحقيق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٥٥. التفسير الحديث: دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية- القاهرة، (د، ت)، ١٣٨٣هـ.
٥٦. تفسير الراغب الاصفهاني: لأبى القاسم الحسين بن محمد، (ت: ٥٠٢هـ) تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب- جامعة طنطا، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٥٧. تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، (ت: ١٤١٨هـ) الناشر: مطابع أخبار اليوم (د، ت، ط) ١٩٩٧م.
٥٨. تفسير الفاتحة والبقرة: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، (ت: ١٤٢١هـ) الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ.



٥٩. تفسير القرآن الحكيم: لمحمد رشيد رضا، (ت: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب(د)، (ت: ١٩٩٠م، ١١٥/٤، - ومفاتيح الغيب: لأبي عبد الله فخر الدين الرازي، (ت: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت(د، ت) ط: الثالثة، ١٤٢٠هـ.
٦٠. تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، (ت: ٧٧٤هـ) تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون- بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩هـ.
٦١. تفسير القرآن: لأبي المظفر منصور بن محمد المروزي السمعاني، (ت: ٤٨٩هـ) تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض- السعودية، ط: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٦٢. التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب، (ت: بعد ١٣٩٠هـ) الناشر: دار الفكر العربي- القاهرة (د، ت، ط).
٦٣. تفسير الماتريدي: لأبي منصور محمد محمود، الماتريدي، (ت: ٣٣٣هـ) تحقيق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م.
٦٤. تفسير الماوردي: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
٦٥. تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، (ت: ١٣٧١هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، (د، ت)، ط: الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
٦٦. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، (د، ت) ط: الثانية، ١٤١٨هـ.
٦٧. التفسير الموضوعي ٢- جامعة المدينة، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية.
٦٨. التفسير الميسر: نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- السعودية، ط: الثانية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.
٦٩. تفسير النكت والعيون: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، (ت: ٤٥٠هـ) تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان(د، ط).
٧٠. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م).

٧١. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، (ت: ١٤٣١هـ) الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، (د، ت)، ط: الأولى، ١٩٩٨م.
٧٢. تفسير آيات من القرآن الكريم: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، (ت: ١٢٠٦هـ) تحقيق: الدكتور محمد بلتاجي، الناشر: جمعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، السعودية، (د، ط).
٧٣. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: لأبي عبد الله بن أبي نصر محمد بن فتوح الأزدي، تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر: مكتبة السنة - القاهرة - مصر، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.
٧٤. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: لأبي عبد الله بن أبي نصر محمد بن فتوح الأزدي، (ت: ٤٨٨هـ) تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر: مكتبة السنة - القاهرة - مصر، ط: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٧٥. تهذيب الأسماء واللغات: لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان
٧٦. تهذيب الرئاسة وترتيب السياسة: لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن القلعي (ت: ٦٣٠هـ) تحقيق: إبراهيم يوسف مصطفى عجو، الناشر: مكتبة المنار - الأردن الزرقاء، ط: الأولى.
٧٧. تهذيب الكمال في أسماء الرجال: لأبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن أبي محمد القضاعي المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٠هـ.
٧٨. توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم: لأبي بكر شمس الدين محمد بن عبد الله بن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، الشهير بابن ناصر الدين (ت: ٨٤٢هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: الأولى، ١٩٩٣م.
٧٩. التوضيح والبيان لشجرة الإيمان: لأبي عبد الله عبد الرحمن آل سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) (د، ت، ط).
٨٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (ت: ١٣٧٦هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٨١. التيسير في أحاديث التفسير: لمحمد المكي الناصري، (ت: ١٤١٤هـ) الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٨٢. الثقات: لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي، (ت: ٣٥٤هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية،

- الناشر: دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن الهند، ط: الأولى، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
٨٣. ثلاث تراجم نفيسة للأئمة الأعلام: شمس الدين الذهبي، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، الناشر: دار ابن الأثير - الكوي، ط: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٨٤. جامع الأصول في أحاديث الرسول: لأبي السعادات مجد الدين المبارك بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرئووط - التتمة تحقيق بشير عيون، الناشر: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، ط: الأولى، ١٣٩١هـ ، ١٩٧١م.
٨٥. جامع البيان في تأويل القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٨٦. جامع الرسائل: لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، (ت: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار العطاء - الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٨٧. الجامع الصحيح للسنن والمسانيد: صهيب عبد الجبار، تاريخ النشر: ١٥ - ٨ - ٢٠١٤م.
٨٨. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٨٩. الجرح والتعديل: لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الأولى، ١٢٧١هـ ١٩٥٢م.
٩٠. الجزء المتمم لطبقات ابن سعد [الطبقة الرابعة من الصحابة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك]: لابن سعد، تحقيق ودراسة: الدكتور/ عبد العزيز عبد الله السلومي، الناشر: مكتبة الصديق - الطائف، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ.
٩١. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء: لابن قيم الجوزية، الناشر: دار المعرفة - المغرب، ط: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٩٢. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، (ت: ٨٧٥هـ) تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨هـ.
٩٣. الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، (ت: ٨٧٥هـ) تحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي -

- بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨هـ.
٩٤. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: لأبن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ) الناشر: مطبعة المدني، القاهرة (د، ت، ط).
٩٥. حاشية الأصول الثلاثة: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني، (ت: ١٣٩٢هـ) الناشر: دار الزاحم، ط: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م (د، ت).
٩٦. الحسبة في الإسلام، أو وظيفة الحكومة الإسلامية: لابن تيمية، الناشر: دار الكتب، ط: الأولى.
٩٧. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران الأصبهاني، (ت: ٤٣٠هـ) الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م (د، ت).
٩٨. حياة الصحابة: محمد يوسف بن محمد إلياس بن إسماعيل الكاندهلوي، (ت: ١٣٨٤هـ) تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٩٩. خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة: عبد الغني أحمد جبر مزهر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٠٠. الدر المنثور: أبي بكر عبد الرحمن السيوطي، (ت: ٩١١هـ) ن: دار الفكر - بيروت (د، ت، ط).
١٠١. الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند، ط: الثانية، ١٣٩٢هـ.
١٠٢. دروس صوتية، للشيخ: سلمان بن فهد بن عبد الله العودة، قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
١٠٣. الدعاء: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، الطبراني، (ت: ٣٦٠هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤١٣هـ.
١٠٤. الرد الوافر: محمد بن عبد الله بن أبي بكر القيسي، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، ط: الأولى، ١٣٩٣هـ.
١٠٥. الرسول القائد: محمود شيت خطاب، (ت: ١٤١٩هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت، ط: السادسة، ١٤٢٢هـ.
١٠٦. ركائز الإيمان: لمحمد قطب، حققه وخرج أحاديثه ونسقه: علي بن نايف الشحود، ط: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
١٠٧. روح البيان: لأبي الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الخلوتي، (ت: ١١٢٧هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت، (د، ت، ط).

١٠٨. روح المعاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، (ت: ١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.
١٠٩. زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد الجوزي، (ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.
١١٠. زاد المسير في علم التفسير: لأبي الفرج الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت، ط: الأولى- ١٤٢٢هـ.
١١١. زاد المعاد في هدي خير العباد: لأبن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت- مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.
١١٢. الزهد والرقائق: لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المزوزي، (ت: ١٨١هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي: دار الكتب العلمية- بيروت، (د، ط).
١١٣. الزهد: لأبي السري هناد بن السري بن مصعب بن أبي بكر التميمي الدارمي، (ت: ٢٤٣هـ) تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: دار الخفاء للكتاب الإسلامي- الكويت، ط، الأولى، ١٤٠٦هـ.
١١٤. الزهد: لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، (ت: ٢٤١هـ) وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
١١٥. زهرة التفاسير: لأبي زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى، (ت: ١٣٩٤هـ) الناشر: دار الفكر العربي، (د، ت، ط).
١١٦. سلسلة التفسير: لأبي عبد الله مصطفى بن العدوى: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، (د، ط، ت).
١١٧. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: مصطفى السباعي، (ت: ١٣٨٤هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي: دمشق- سوريا، بيروت- لبنان، ط: الثالثة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
١١٨. سنن ابن ماجه: لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي، (د، ط).
١١٩. سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا- بيروت.
١٢٠. سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن عمرو الأزدي (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا- بيروت.

١٢١. السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية: د/ عبد الكريم زيدان، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط: الأولى، ١٤١٣هـ.
١٢٢. السنن الإلهية وتفسير القرآن الكريم في العصر الحديث، د/ عمر حيدوسي، رسالة دكتوراه، قسم العلوم الإسلامية، إشراف: د/ عبدالحميد بو كعباش، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٢م.
١٢٣. سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، (ت: ٢٧٩هـ) (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.
١٢٤. السنن الكبرى: لأبي بكر أحمد ابن الحسين بن علي البيهقي، (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١٢٥. السنن الكبرى: لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
١٢٦. السنن الكونية في تفسير ابن باديس: محمد دراجي، ١٦ / ٧ / ٢٠١٧.
١٢٧. السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية: لابن تيمية، (ت: ٧٢٨هـ) الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٨هـ.
١٢٨. سير أعلام النبلاء: لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٢٩. سير أعلام النبلاء: لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الحديث - القاهرة: (د، ط)، ١٤٢٧هـ.
١٣٠. سير السلف الصالحين: لأبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، (ت: ٥٣٥هـ) تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
١٣١. السيرة النبوية: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ) تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م.
١٣٢. السيرة النبوية: لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، (ت: ٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

١٣٣. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة- الرياض، ط: الأولى، ١٤١٧هـ.
١٣٤. شرح العقيدة الأصفهانية: لأبي العباس تقي الدين عبد الحليم ابن تيمية، (ت: ٧٢٨هـ) تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، الناشر: المكتبة العصرية- بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ.
١٣٥. شرح العقيدة الطحاوية: عبد الرحمن بن ناصر بن إبراهيم البراك، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، الناشر: دار التدمرية، ط: الثانية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١٣٦. شعب الإيمان: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريره أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومبي- الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومبي بالهند، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
١٣٧. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: لأبي بكر شمس الدين محمد ابن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ) الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د، ت) ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
١٣٨. الشكر: لأبي بكر عبد الله بن محمد القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق، (ت: ٢٨١هـ) الناشر: بدر البدر: المكتب الإسلامي- الكويت، ط: الثالثة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
١٣٩. الصبر في القرآن، د. يوسف القرضاوي، الناشر: مكتبة وهبة، ط: الثالثة، ١٤١٠هـ.
١٤٠. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (ت: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين- بيروت، ط: الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٤١. صحيح ابن حبان: لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي، (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط: الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م،
١٤٢. صحيح ابن خزيمة: لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة النيسابوري (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي- بيروت.
١٤٣. صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (ت: ٢٥٦هـ) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٤٤. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، (ت: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، (د، ط).
١٤٥. صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، (د،

- (ت)، ط، ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م (١٠٣/٣، ١٠٤).
١٤٦. الصلاة وأحكام تاركها: لأبن قيم الجوزية، (المتوفى: ٧٥١ هـ) الناشر: مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة (د، ت، ط).
١٤٧. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة: لأبن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١ هـ) تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، السعودية، ط: الأولى، ١٤٠٨ هـ.
١٤٨. صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم - دراسة في التفسير الموضوعي: لعاطف إبراهيم المتولي رفاعي، إشراف فضيلة الدكتور: حاتم محمد منصور مزروعة: رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
١٤٩. الطب النبوي: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت: ٤٣٠ هـ)، تحقيق: مصطفى خضر دونمز التركي، الناشر: دار ابن حزم، ط: الأولى، ٢٠٠٦ م.
١٥٠. طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الثانية، ١٤١٣ هـ.
١٥١. طبقات الفقهاء: لأبي اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، (ت: ٤٧٦ هـ) هذب: محمد بن مكرم ابن منظور، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٩٧٠ م.
١٥٢. الطبقات الكبرى: لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠ هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
١٥٣. طبقات النحويين واللغويين (سلسلة ذخائر العرب ٥٠): لأبي بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مزحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، (ت: ٣٧٩ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الثانية، الناشر: دار المعارف.
١٥٤. العبودية: لابن تيمية، (ت: ٧٢٨ هـ) تحقيق: محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، ط: السابعة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
١٥٥. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن قيم الجوزية، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.
١٥٦. العدل وتطبيقاته في التربية الإسلامية: للطالب، يوسف بن أحمد محمد العجلاني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٢١ هـ.
١٥٧. عشرون حديثاً من صحيح البخاري دراسة اسانيدها وشرح متونها: عبد المحسن بن حمد العباد



- البدر، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط: الأولى، ١٤٠٩هـ.
١٥٨. عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين: أكرم بن ضياء العمري، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
١٥٩. علاقة السنن الإلهية بالقوانين الاجتماعية: د/ ناهد يوسف رزق يوسف.
١٦٠. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفى بدر الدين العيني، (ت: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٦١. العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
١٦٢. غرائب القرآن: نظام الدين بن محمد النيسابوري، (ت: ٨٥٠هـ) تحقيق: الشيخ كريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤١٦هـ.
١٦٣. غريب الحديث: لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن محمد الجوزي، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ.
١٦٤. الغزو الثقافي: محمد الغزالي، الناشر: دار نهضة مصر، ط: الأولى، (١/١٤٥).
١٦٥. الفتاوى السعدية: للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، منشورات المؤسسة السعدية بالرياض، لصاحبها فهد بن عبدالعزيز السعيد، مطبعة الكيلاني.
١٦٦. الفتاوى الهندية: لجنة علماء برئاسة نظام الدين البلخي، الناشر: دار الفكر، (د، ت) ط: الثانية، ١٣١٠هـ.
١٦٧. فتح الباب في الكنى والألقاب: لأبي عبد الله محمد بن إسحاق العبدى، (ت: ٣٩٥هـ) تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: مكتبة الكوثر - السعودية - الرياض، ط: الأولى، ١٤١٧هـ، ص - ١٩٩٦م.
١٦٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت: ٨٥٢ هـ) الناشر: دار المعرفة - بيروت، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، أخرج وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، علق عليها العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ١٣٧٩هـ.
١٦٩. فتح البيان في مقاصد القرآن: لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن ابن لطف الله الحسيني، (ت: ١٣٠٧هـ) عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٧٠. فتح البيان في مقاصد القرآن: لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي البخاري، (ت:

- ١٣٠٧هـ) عني بطبعه وقدّم له وراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، (د، ط)، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م.
١٧١. فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، (ت: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٤هـ.
١٧٢. الفروق اللغوية: لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (ت: نحو ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر (د، ط).
١٧٣. فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة: محمد سعيد رمضان البوطي، الناشر: دار الفكر - دمشق، ط: الخامسة والعشرون، ١٤٢٦هـ.
١٧٤. فهرس الفهارس والأثبات: لمحمد عبد الحي بن عبد الكبير الإدريسي، (ت: ١٣٨٢هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط: الثانية، ١٩٨٢ م.
١٧٥. فهرس الفهارس: محمد عبد الحي بن عبد الكبير الإدريسي، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت ص. ب: ١١٣/٥٧٨٧، ط: الثانية، ١٩٨٢ م.
١٧٦. فوات الوفيات: محمد بن شاكر بن هارون، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، ط: الأولى، ١٩٧٣ م.
١٧٧. الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية: نعمة الله بن محمود النخجواني، (ت: ٩٢٠هـ) الناشر: دار ركابي للنشر - الغورية، مصر، (د، ت) ط: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩ م.
١٧٨. الفوائد: لابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣ م.
١٧٩. في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ) الناشر: دار الشروق - بيروت - القاهرة (د، ت) ط: السابعة عشر، ١٤١٢هـ.
١٨٠. فيض القدير شرح الجامع الصغير: لعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي، (ت: ١٠٣١هـ) الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.
١٨١. القاموس الفقهي: د/ سعدي أبو حبيب، الناشر: دار الفكر، دمشق - سورية، ط: الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م (د، ت).
١٨٢. القاموس المحيط: لأبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م.

١٨٣. قصة الاختلاف دراسة سننية: رندا عوني.
١٨٤. قصة الإفك، وما أنزل الله من براءتها، والسيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة: لأبي عمر محمد بن حمد الصوياني، الناشر: مكتبة العبيكان، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
١٨٥. قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد: لأبي طالب محمد بن علي المكي، (ت: ٣٨٦هـ) تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، ط: الثانية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٨٦. القيادة والجنديّة في السنة النبوية: طاهر حمد محمد النحال، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
١٨٧. كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: نخبة من العلماء، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢١هـ.
١٨٨. كتاب الديباج: لأبي القاسم إسحاق بن إبراهيم بن سنين الخثلي، (ت: ٢٨٣هـ) الناشر: دار البشائر، ط: الأولى، ١٩٩٤م.
١٨٩. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، (ت: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت، (د، ت) ط: الثالثة، ١٤٠٧هـ.
١٩٠. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (ت: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٧هـ.
١٩١. كشف الأسرار شرح أصول البزدوي: عبد العزيز بن أحمد بن محمد البخاري، (ت: ٧٣٠هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، (د، ت، ط).
١٩٢. الكشف والبيان عن تفسير القرآن: لابن إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، (ت: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
١٩٣. الكلمات البَيِّنَاتُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ} لمرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي، (ت: ١٠٣٣هـ) تحقيق: د. عبد الحكيم الأنيس، الناشر: المكتب الإسلامي لإحياء التراث، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
١٩٤. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القديمي، (ت: ١٠٩٤هـ): تحقيق: عدنان درويش و محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت.
١٩٥. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري

- الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (ت: ٩٧٥هـ)، تحقيق: بكري حيانى - صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الخامسة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
١٩٦. كيف نتعامل مع القرآن الكريم: محمد الغزالي، الناشر: دار نهضة مصر، ط: الأولى.
١٩٧. لباب التأويل في معاني التنزيل: لأبي الحسن علاء الدين بن محمد بن عمر الشيعي، المعروف بالخازن، (ت: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.
١٩٨. اللباب في علوم الكتاب: لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي النعماني، (ت: ٧٧٥هـ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٩٩. لسان العرب: لأبي الفضل محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت (د، ت) ط: الثالثة، ١٤١٤هـ.
٢٠٠. لسان الميزان: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: دار البشائر الإسلامية، ط: الأولى، ٢٠٠٢م.
٢٠١. لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، (ت: ٤٦٥هـ) تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط: الثانية.
٢٠٢. المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح الإمام البخاري: شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد الشافعي، (ت: ٩٥٦هـ) حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢٠٣. مجلة البيان: تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد الثالث.
٢٠٤. مجلة مجمع الفقه الإسلامي، التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة: تصدر عن منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة، أعدها أسامة بن الزهراء.
٢٠٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
٢٠٦. مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار: جمال الدين، الكجراتي، (ت: ٩٨٦هـ) الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط: الثالثة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
٢٠٧. مجموع الفتاوى: لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،

- المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٢٠٨. مجموعة رسائل: للإمام حسن البناء، الناشر: دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ط: الأولى، ١٤٤٢هـ - ٢٠٠٢م.
٢٠٩. محاسن التأويل: محمد جمال الدين الحلاق القاسمي، (ت: ١٣٣٢هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨هـ.
٢١٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، (ت: ٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٢١١. المحلى بالآثار: لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي، (ت: ٤٥٦هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت، (د، ت، ط).
٢١٢. المحمدون من الشعراء وأشعارهم: لأبي الحسن جمال الدين القفطي، تحقيق: حسن معمري، و راجعه: حمد الجاسر، الناشر: دار اليمامة، ١٣٩٠هـ، ص ١٨٧،
٢١٣. مختار الصحاح: لأبي عبد الله زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، (ت: ٦٦٦هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط: الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢١٤. مختصر اختلاف العلماء: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدى المعروف بالطحاوي، (ت: ٣٢١هـ) تحقيق: د. عبد الله نذير أحمد، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط: الثانية، ١٤١٧هـ.
٢١٥. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة: مؤلف الأصل ابن قيم الجوزية، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة - مصر، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢١٦. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار النشر: دار الفكر للطباعة، دمشق - سوريا، ط: الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٤م.
٢١٧. مختصر صحيح مسلم: لأبي محمد زكي الدين المنذري، (ت: ٦٥٦هـ) تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط: السادسة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢١٨. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لأبن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٢١٩. مدارك التنزيل وحقائق التأويل: لأبي البركات عبد الله بن أحمد حافظ الدين النسفي، (ت: ٧١٠هـ) تحقيق واخرج أحاديثه: يوسف علي بدوي، راجعه: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م.
٢٢٠. مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: لمحمد بن عمر نووي الجاوي البننتي، التتاري، (ت: ١٣١٦هـ)، تحقيق: محمد أمين الصناوي، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط: الأولى- ١٤١٧هـ.
٢٢١. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن حسام الدين الرحمانى المباركفوري، الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية- بنارس الهند، ط: الثالثة، ١٤٠٤هـ.
٢٢٢. المستدرك على الصحيحين: لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠ م.
٢٢٣. مسند ابن أبي شيبة: لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، (ت: ٢٣٥هـ) تحقيق: عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد، الناشر: دار الوطن - الرياض، ط: الأولى، ١٩٩٧ م.
٢٢٤. مسند أحمد: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، (ت: ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.
٢٢٥. مسند الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، التميمي السمرقندي، (ت: ٢٥٥هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٢٦. مشارق الأنوار على صحاح الآثار: لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، (ت: ٥٤٤هـ) الناشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.
٢٢٧. مشارق الأنوار على صحاح الآثار: لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي، الناشر: المكتبة العتيقة ودار التراث (د، ت، ط).
٢٢٨. مشاهير علماء نجد: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن محمد بن عبد الوهاب، الناشر: طبع على نفقة المؤلف بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ط: الأولى، ١٣٩٢هـ.
٢٢٩. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي، (ت: نحو

- ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية- بيروت، (د، ت، ط).
٢٣٠. مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى: مصطفى بن سعد السيوطي، (ت: ١٢٤٣هـ) الناشر: المكتب الإسلامي، (د، ت) ط: الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٢٣١. المطلع على ألفاظ المقنع: لمحمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البجلي، (ت: ٧٠٩هـ) تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٢٣٢. معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، (ت : ٥١٠هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ.
٢٣٣. معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط: الأولى ، ١٤٢٠هـ.
٢٣٤. معاني القرآن وإعرابه: لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، (ت: ٣١١هـ) تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب- بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٣٥. معاوية بن أبي سفيان- شخصيته وعصره: علي محمد محمد الصلابي، الناشر: دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، مصر، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٢٣٦. مُعْجَمُ أعلام الجزائر: عادل نويهض، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت- لبنان، ط: الثالثة، ١٤٠٠هـ.
٢٣٧. معجم الأدباء: لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٤هـ.
٢٣٨. المعجم الأوسط: لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، (ت: ٣٦٠هـ) تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين- القاهرة، (د، ط).
٢٣٩. معجم الشيوخ: لأبي القاسم ثقة الدين، علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، (ت: ٥٧١هـ) تحقيق: الدكتور وفاء تقي الدين، الناشر: دار البشائر- دمشق، ط: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٢٤٠. معجم الصحابة: لأبي الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي (ت: ٣٥١هـ)، تحقيق: صلاح بن سالم المصراطي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة المنورة، ط: الأولى، ١٤١٨هـ.
٢٤١. المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد

الرحمن الجريسي، (د، ط).

٢٤٢. المعجم الكبير: لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية- القاهرة، ط: الثانية.

٢٤٣. معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر، (ت: ١٤٢٤هـ) الناشر: عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م.

٢٤٤. معجم المفسرين: عادل نويهض، قدم له: مفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيخ حسن خالد، الناشر: مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر، بيروت- لبنان، ط: الثالثة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٢٤٥. معجم المؤلفين: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (ت: ١٤٠٨هـ)، الناشر: مكتبة المثنى- بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، (د، ت، ط).

٢٤٦. المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، وآخرون، الناشر: دار الدعوة، (د، ت، ط).

٢٤٧. معجم لغة الفقهاء: لمحمد رواس قلجعي- حامد صادق قنبي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م.

٢٤٨. معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٤٩. معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث: لأبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، الناشر: مكتبة الدار- المدينة المنورة- السعودية، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ.

٢٥٠. معرفة الصحابة: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، ط: الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٥١. المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت: ٥٠٢هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٥٢. مفهوم السنن الربانية: رمضان خميس زكي.

٢٥٣. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: لأبي الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، في، (ت: ٩٠٢هـ) تحقيق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.



٢٥٤. مقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين: لعمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر: رسالة دكتوراه، من جامعة الأزهر، الناشر: مكتبة الفلاح، الكويت، ط: الأولى، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٢٥٥. مقالات الشيخ محمد الغزالي.
٢٥٦. مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها: لأبي بكر محمد بن جعفر بن سهل بن شاکر الخرائطي، (ت: ٣٢٧هـ) تقديم وتحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٢٥٧. المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور: لأبي إسحاق تقي الدين، تحقيق: خالد حيدر، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ.
٢٥٨. المنتخب من مسند عبد بن حميد: لأبي محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكسبي، (ت: ٢٤٩هـ) تحقيق: صبحي البديري السامرائي، وآخرون، الناشر: مكتبة السنة- القاهرة، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٥٩. منهاج العابدين: لأبي حامد الغزالي، طبع بمطبعة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده- بمصر، ١٣٣٧هـ.
٢٦٠. موجز عن الفتوحات الإسلامية: د طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عبّية، الناشر: دار النشر للجامعات- القاهرة (د، ط).
٢٦١. موسوعة الدفاع عن رسول الله ﷺ، للباحث: علي بن نايف الشحود.
٢٦٢. موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور: أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، الناشر: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٦٣. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- الكويت: (من: ١٤٠٤- ١٤٢٧هـ)، ط: الثانية، طبع الوزارة- الكويت.
٢٦٤. الموسوعة القرآنية: لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري، (ت: ١٤١٤هـ) الناشر: مؤسسة سجل العرب، (د، ت، ط): ١٤٠٥هـ.
٢٦٥. ميزان العمل: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، حققه وقدم له: الدكتور سليمان دنيا، الناشر، الناشر: دار المعارف، مصر، ط: الأولى، ١٩٦٤هـ.
٢٦٦. نداءات الرحمن لأهل الإيمان: أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، (د، ت) ط: الثالثة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٢٦٧. النصر والهزيمة دراسة قرآنية، للطالب: عبداللطيف حسن محمد مرشود، رسالة ماجستير، جامعة

- النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٧.
٢٦٨. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط: الرابعة.
٢٦٩. النهاية في غريب الحديث والأثر: لأبي السعادات مجد الدين محمد ابن عبد الكريم ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ.
٢٧٠. النهاية في غريب الحديث والأثر: لمجد الدين أبو السادات ابن الأثير، (ت: ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، و محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٧١. نوارد الأصول في أحاديث الرسول ﷺ: لأبي عبد الله محمد بن علي بن بشر الترمذي (ت: ٣٢٠هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل- بيروت.
٢٧٢. نيل الأوطار: للشوكاني، (ت: ١٢٥٠هـ) تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر، ط: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٢٧٣. الهداية إلى بلوغ النهاية: لأبن محمد مكي بن ابي طالب بن مختار القيسي، (ت: ٤٣٧هـ) تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٢٧٤. الوابل الصيب من الكلم الطيب: لأبن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ) تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث- القاهرة، ط: الثانية، ١٩٩٩م.
٢٧٥. الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث- بيروت: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢٧٦. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: : أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ) تحقيق: صفوان عدنان داوود، الناشر: دار القلم، الدار الشامية- دمشق، بيروت، (د، ط).
٢٧٧. الوسيط في تفسير القرآن المجيد: لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، (ت: ٤٦٨هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٢٧٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين ابن خلكان البرمكي، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر- بيروت، ط: الأولى، ١٩٩٤م.

٢٧٩. الوفيات: لأبي العباس أحمد بن حسن بن الخطيب الشهير بابن قنفذ، (ت: ٨١٠هـ) تحقيق: عادل نويهض، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط: الرابعة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

## فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
البسمة	أ
الاستهلال	ب
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
ملخص الدراسة	هـ
STUDY ABSTRACT	ز
مقدمة	ط
أهمية البحث	ي
أسباب اختيار البحث	ي
أهداف البحث	ك
مشكلة البحث	ك
أسئلة البحث	ل
الدراسات السابقة	م
منهج البحث	م
هيكل البحث	ن
الفصل الأول: التعريف بموضوع البحث	١
المبحث الأول: التعريف بالسنن لغة واصطلاحاً.	٢
المبحث الثاني: أنواع السنن في القرآن الكريم.	٢٢
المبحث الثالث: بيان مفهوم السنن الربانية التي تحكم سلوك البشر.	٢٦
الفصل الثاني: السنن الربانية المتعلقة بالسلوك السليم وفضائل الأعمال.	٢٨
المبحث الأول: السنن المتعلقة بالسلوك السليم	٢٩

٣٠	المطلب الأول: الهداية
٣٩	المطلب الثاني: الإيمان.
٦٧	المطلب الثالث: التقوى.
٨٣	<b>المبحث الثاني: السنن الربانية المتعلقة بالأعمال الصالحة</b>
٨٤	المطلب الأول: العبادات.
٩٤	المطلب الثاني: المعاملات.
٩٩	المطلب الثالث: العمل الصالح.
١٠٧	<b>الفصل الثالث: سنن الله في خلقه عند الانقياد لأوامره</b>
١٠٨	المبحث الأول: سنة الله في المؤمنين كجماعات
١٠٩	المطلب الأول: سنة الله في جماعة المؤمنين بالنصر
١٥١	المطلب الثاني: سنة الله في جماعة المؤمنين بالاستخلاف والتمكين.
١٩٣	المطلب الثالث: سنة الله في جماعة المؤمنين بالأمن.
١٩٩	المبحث الثاني: سنة الله في إسعاد المؤمنين كأفراد.
٢٠٠	المطلب الأول: سنة الله في صلاح الذرية.
٢٠٢	المطلب الثاني: سنة الله في سعة الرزق.
٢٠٩	المطلب الثالث: سنة الله في الحياة الطيبة.
٢١١	<b>الفصل الرابع: السنن الربانية المتعلقة بالسلوك والأخلاق الباطلة والآثام.</b>
٢١٢	المبحث الأول: السنن الربانية المتعلقة السلوك والأخلاق الباطلة.
٢١٣	المطلب الأول: الظلم وسنة الله تعالى فيه.
٢٣٢	المطلب الثاني: الطغيان وسنة الله تعالى فيه.
٢٤٥	المطلب الثالث: النفاق وسنة الله تعالى فيه.
٢٦٥	<b>المبحث الثاني: السنن الربانية المتعلقة بالعصاة.</b>
٢٦٦	المطلب الأول: كبائر الذنوب وسنة الله تعالى في مرتكبيها.

٢٦٩	المطلب الثاني: صغائر الذنوب وسنة الله تعالى في مرتكبيها.
٢٧٢	<b>الفصل الخامس: سنة الله في خلقه وآثارها عند مخالفة أوامره</b>
٢٧٣	<b>المبحث الأول: السنن الربانية المتعلقة بالأُمم الظالمة عند مخالفتها لأوامر الله</b>
٢٧٤	المطلب الأول: الاستدراج.
٢٧٨	المطلب الثاني: الهزيمة.
٢٨٦	المطلب الثالث: الاستبدال.
٢٩١	<b>المبحث الثاني: السنن الربانية في القرآن الكريم المتعلقة بالظالمين كأفراد</b>
٢٩٢	المطلب الأول: بلعم بن باعورا.
٢٩٦	المطلب الثاني: الوليد بن المغيرة.
٣٠٣	<b>المبحث الثالث: نتائج السنن الربانية في حاضر الأمة.</b>
٣٠٤	المطلب الأول: كثرة الكوارث الطبيعية.
٣٠٧	المطلب الثاني: الأزمات الاقتصادية.
٣١٥	المطلب الثالث: كثرة انتشار الحروب.
٣١٩	<b>الخاتمة</b>
٣٢٠	<b>النتائج</b>
٣٢٢	<b>التوصيات</b>
٣٢٣	<b>الفهارس</b>
٣٢٤	<b>فهرس الآيات القرآنية</b>
٣٤٣	<b>فهرس الأحاديث النبوية والآثار.</b>
٣٤٨	<b>فهرس الأعلام.</b>
٣٥١	<b>فهرس المصادر والمراجع.</b>
٣٧٥	<b>فهرس الموضوعات</b>